الـصـحـيـح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ. ـ ٢٠٠٩م.

المركز الإسلامي للدراسات

الــصــحــيــح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الرابع والعشرون

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثالث:

حوارات وأسئلة من بعض المسلمين..

الفصل الأول:

لا تسأل تعنتاً..

أسئلة شامي وآخرين:

روى الصدوق عن محمد بن عمر بن علي بن عبد الله البصري، عن محمد بن عبد الله بن أحمد بن جبلة، عن عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي، عن أبيه، عن الرضا عن آبائه، عن الحسين بن علي «عليهم السلام» قال:

كان علي بن أبي طالب «عليه السلام» بالكوفة في الجامع، إذ قام إليه رجل من أهل الشام فقال: يا أمير المؤمنين، إني أسألك عن أشياء.

فقال: سل تفقهاً، ولا تسأل تعنتاً.

فأحدق الناس بأبصارهم.

فقال: أخبرني عن أول ما خلق الله تبارك وتعالى.

فقال: خلق النور.

قال: فمم خلق السماوات؟!

قال: من بخار الماء.

قال: فمم خلق الأرض؟!

قال: من زبد الماء.

قال: فمم خلقت الجبال؟!

قال: من الأمواج

قال: فلم سميت مكة أم القرى؟!

قال: لأن الأرض دحيت من تحتها.

وسأله عن سماء الدنيا: مما هي؟!

قال: من موج مكفوف.

وسأله عن طول الشمس والقمر وعرضهما؟!

قال: تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ.

وسأله: كم طول الكواكب وعرضه؟!

قال: اثنا عشر فرسخاً، في اثني عشر فرسخاً.

وسأله عن ألوان السماوات السبع وأسمائها؟!

فقال له: اسم السماء الدنيا: رفيع وهي من ماء ودخان.

واسم السماء الثانية: قيدرا، [في المصدر قيدوم] وهي على لون النحاس.

والسماء الثالثة اسمها: الماروم [أو المادون. أو الهاروم] وهي على لون الشبه.

والسماء الرابعة اسمها: أرفلون وهي على لون الفضة.

والسماء الخامسة اسمها هيعون [في المخطوطة: هيفوف. وفي المصدر: هيفون] وهي على لون الذهب.

والسماء السادسة اسمها: عروس، وهي ياقوتة خضراء.

والسماء السابعة اسمها: عجماء وهي درة بيضاء.

وسأله عن الثور: ما باله غاض طرفه، ولا يرفع رأسه إلى السماء؟!

قال: حياء من الله عز وجل، لما عبد قوم موسى العجل نكس رأسه(١).

وسأله عن المد والجزر: ما هما؟!

قال: ملك موكل بالبحار يقال له: رومان، فإذا وضع قدميه في البحر فاض، وإذا أخرجهما غاض.

وسأله عن اسم أبي الجن؟!

فقال: شومان الذي خلق من مارج من نار.

وسأله: هل بعث الله نبياً إلى الجن؟!

فقال: نعم، بعث إليهم نبياً يقال له: يوسف، فدعاهم إلى الله، فقتلوه.

وسأله عن اسم إبليس ما كان في السماء؟!

فقال: كان اسمه الحارث.

وسأله: لم سمي آدم آدم؟!

قال: لأنه خلق من أديم الأرض.

---

(١) في عيون أخبار الرضا زيادة تقول: وسأله عن الجمع بين الأختين، فقال: يعقوب بن إسحاق: جمع بين حبار وراحيل، فحرم بعد ذلك، ففيه أنزل: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾.راجع: عيون أخبار الرضا ج٢ ص٢١٩ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٤٨٣.

وسأله: لم صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين؟!

فقال: من قبل السنبلة، كان عليها ثلاث حبات، فبادرت إليها حواء فأكلت منها حبة، وأطعمت آدم حبتين، فمن أجل ذلك ورث الذكر مثل حظ الأنثيين.

وسأله عمن خلق الله من الأنبياء مختوناً؟!

فقال: خلق الله آدم مختوناً، وولد شيث مختوناً، وإدريس، ونوح[(١)]، وإبراهيم، وداود، وسليمان، ولوط، وإسماعيل، وموسى وعيسى، ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

وسأله: كم كان عمر آدم؟!

فقال: تسعمائة سنة وثلاثين سنة.

وسأله عن أول من قال الشعر؟!

فقال: آدم.

قال: وما كان شعره؟!

قال: لما أنزل إلى الأرض من السماء فرأى تربتها وسعتها وهواها، وقتل قابيل هابيل قال آدم «عليه السلام»:

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح

(١) زاد في عيون أخبار الإمام الرضا: سام بن نوح. راجع: عيون أخبار الرضا ج٢ ص٢١٩ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٤٨٤.

تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح[١]

فأجابه إبليس:

تنح عن البلاد وساكنيها ففي الفردوس ضاق بك الفسيح[٢]
وكنت بها وزوجك في قرار وقلبك من أذى الدنيا مريح
فلم تنفك من كيدي ومكري إلى أن فاتك الثمن الربيح[٣]
فلولا رحمة الجبار أضحى بكفك من جنان الخلدريح[٤]

---

(١) أضاف في عيون أخبار الإمام الرضا:

أرى طول الحياة علي غماً وهل أنا من حياتي مستريح
ومالي لا أجود بكسب دمع وهابيل تضمنه الضريح
قتل قابيل هابيلا أخاه فوا حزنا لقد فقد المليح.

وفي البيت الأخير اختلال.

راجع: عيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٢٠ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٤٨٤.

(٢) في عيون أخبار الرضا: فبي في الخلد ضاق بك الفسيح.

(٣) في عيون أخبار الرضا زيادة البيت التالي:

وبدل أهلها أثلاً وخمطاً بجنات وأبواب منيح.

(٤) في عيون أخبار الرضا زيادة تقول:

وسأله عن بكاء آدم على الجنة، وكم كان دموعه التي جرت من عينه؟!

قال: بكاء آدم ماءة سنة، وخرج من عينه اليمنى قتل دجلة. ومن الأخرى مثل الفرات.

وسأله: كم حج آدم «عليه السلام» من حجة؟!

فقال له: سبعين حجة[١] ماشياً على قدميه. وأول حجة حجها كان معه الصرد يدله على مواضع الماء، وخرج معه من الجنة، وقد نهي عن أكل الصرد والخطاف.

وسأله: ما باله لا يمشي على الأرض؟!

قال: لأنه ناح على بيت المقدس، فطاف حوله أربعين عاماً يبكي عليه، ولم يزل يبكي مع آدم «عليه السلام» فمن هناك سكن البيوت. ومعه تسع آيات[٢] من كتاب الله عز وجل مما كان آدم يقرؤها في الجنة. وهي معه إلى يوم القيامة: ثلاث آيات من أول الكهف، وثلاث آيات من سبحان[٣] وهي ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ**﴾، وثلاث آيات من يس: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا**﴾.

وسأله عن أول من كفر وأنشأ الكفر؟!

فقال: إبليس لعنه الله.

وسأله عن اسم نوح ما كان؟!

راجع: عيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٢٠ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٤٨٥.

(١) في نسخة: سبع مئة حجة.

(٢) في عيون أخبار الرضا: ونزل ومعه تسع آيات.

(٣) في عيون أخبار الرضا: من سبحان الذي أسرى.

فقال: كان اسمه السكن، وإنما سمي نوحاً، لأنه ناح على قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً.

وسأله عن سفينة نوح «عليه السلام» ما كان عرضها وطولها؟!

قال: كان طولها ثمانمائة ذراع، وعرضها خمسمائة ذراع، وارتفاعها في السماء ثمانون ذراعاً.

ثم جلس الرجل وقال إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن أول شجرة غرست في الأرض فقال: العوسجة. ومنها عصا موسى «عليه السلام».

وسأله عن أول شجرة نبتت في الأرض؟!

فقال: هي الدبا. وهو القرع.

وسأله عن أول من حج من أهل السماء؟!

فقال له: جبرئيل «عليه السلام».

وسأله عن أول بقعة بسطت من الأرض أيام الطوفان؟![1].

فقال له: موضع الكعبة وكان زبرجدة خضراء.

وسأله عن أكرم واد على وجه الأرض؟!

---

(١) في عيون أخبار الرضا زيادة تقول:

وسأله عن أطهر موضع على وجه الأرض لا يحل الصلاة فيه.

فقال له: ظهر الكعبة.

راجع: عيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٢١ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٤٨٦.

فقال له: واد يقال له: سرنديب، سقط فيه آدم «عليه السلام» من السماء.

وسأله عن شر واد على وجه الأرض؟!

فقال له: واد باليمن يقال له: برهوت، وهو من أودية جهنم.

وسأله عن سجن سار بصاحبه؟!

فقال: الحوت سار بيونس بن متى «عليه السلام».

وسأله عن ستة لم يركضوا في رحم؟!

فقال: آدم، وحواء وكبش إبراهيم، وعصا موسى، وناقة صالح، والخفاش الذي عمله عيسى بن مريم، وطار بإذن الله عز وجل.

وسأله عن شيء مكذوب عليه ليس من الجن ولا من الإنس؟!

فقال: الذئب الذي كذب عليه إخوة يوسف «عليه السلام».

وسأله عن شيء أوحى الله عز وجل إليه ليس من الجن ولا من الإنس؟!

فقال: أوحى الله عز وجل إلى النحل.

وسأله عن موضع طلعت عليه الشمس ساعة من النهار ولا تطلع عليه أبداً.؟!

قال: ذلك البحر حين فلقه الله عز وجل لموسى «عليه السلام»، فأصابت أرضه الشمس، وأطبق عليه الماء فلن تصيبه الشمس(١).

وسأله عن شيء شرب وهو حي، وأكل وهو ميت؟!

---

(١) في عيون أخبار الرضا: فلن تصيبه الشمس بعد هذا أبداً.

فقال: تلك عصا موسى.

وسأله عن نذير أنذر قومه ليس من الجن ولا من الإنس.

فقال: هي النملة.

وسأله عن أول من أمر بالختان؟!

قال: إبراهيم.

وسأله عن أول من خفض من النساء؟!

فقال: هاجر أم إسماعيل خفضتها سارة لتخرج من يمينها.

وسأله عن أول امرأة جرت ذيلها؟!

فقال: هاجر لما هربت من سارة.

وسأله عن أول من جر ذيله من الرجال؟!

فقال: قارون.

وسأله عن أول من لبس النعلين؟!

فقال: إبراهيم «عليه السلام».

وسأله عن أكرم الناس نسباً؟!

فقال: صديق الله يوسف بن يعقوب إسرائيل الله، ابن إسحاق ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله.

وسأله عن ستة من الأنبياء لهم اسمان؟!

فقال: يوشع بن نون وهو ذو الكفل، ويعقوب وهو إسرائيل(١)، والخضر وهو تاليا(٢)، ويونس وهو ذو النون، وعيسى وهو المسيح، ومحمد وهو أحمد «صلوات الله عليهم».

وسأله عن شيء تنفس ليس له لحم ولا دم؟!

فقال: ذاك الصبح إذا تنفس.

وسأله عن خمسة من الأنبياء تكلموا بالعربية؟!

فقال: هود، وشعيب، وصالح، وإسماعيل، ومحمد «صلى الله عليه وعليهم».

ثم جلس، وقام رجل آخر، فسأله وتعنته، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن قول الله عز وجل: **﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾** من هم؟!

فقال: قابيل يفر من هابيل، والذي يفر من أمه موسى، والذي يفر من أبيه إبراهيم(٣)، والذي يفر من صاحبته لوط، والذي يفر من ابنه نوح يفر من ابنه كنعان.

وسأله عن أول من مات فجأة؟!

فقال: داود «عليه السلام» مات على منبره يوم الأربعاء.

---

(١) في عيون أخبار الرضا: إسرائيل الله.

(٢) في نسخة علل الشرايع: جعليا. وفي عيون أخبار الرضا: حلقيا. حليفا خ. ل.

(٣) زاد في عيون أخبار الرضا: يعني الأب المربي لا الوالد.

وسأله عن أربعة لا يشبعن من أربعة؟!

فقال: أرض من مطر، وأنثى من ذكر، وعين من نظر، وعالم من علم.

وسأله عن أول من وضع سكك الدنانير والدراهم؟!

فقال: نمرود بن كنعان بعد نوح.

وسأله عن أول من عمل عمل قوم لوط؟!

فقال: إبليس فإنه أمكن من نفسه.

وسأله عن معنى هدير الحمام الراعبية؟!

فقال: تدعو على أهل المعازف، والقينات، والمزامير والعيدان.

وسأله عن كنية البراق؟!

فقال: يكنى أبا هزال[١].

وسأله: لم سمي تبع تبعاً؟!

قال: لأنه كان غلاماً كاتباً، فكان يكتب لملك كان قبله، فكان إذا كتب كتب: بسم الله الذي خلق صبحاً وريحاً.

فقال الملك: اكتب وابدأ باسم ملك الرعد.

فقال: لا أبدأ إلا باسم إلهي، ثم اعطف على حاجتك، فشكر الله عز وجل له ذلك، وأعطاه ملك ذلك الملك، فتابعه الناس على ذلك فسمي تبعاً.

---

(١) في نسخة، وفي عيون أخبار الرضا: أبا هلال.

وسأله: ما بال الماعز مفرقعة[1] الذنب، بادية الحياء والعورة؟!

فقال: لأن الماعز عصت نوحاً لما أدخلها السفينة، فدفعها فكسر ذنبها، والنعجة مستورة الحياء والعورة، لأن النعجة بادرت بالدخول إلى السفينة فمسح نوح «عليه السلام» يده على حياها وذنبها فاستوت الإلية[2].

وسأله عن كلام أهل الجنة؟!

فقال: كلام أهل الجنة بالعربية.

وسأله عن كلام أهل النار؟!

فقال: بالمجوسية.

ثم قال أمير المؤمنين «عليه السلام»[3]: النوم على أربعة أصناف: الأنبياء تنام على أقفيتها مستلقية، وأعينها لا تنام متوقعة لوحي ربها، والمؤمن ينام على يمينه مستقبل القبلة، والملوك وأبناؤها تنام على شمالها ليستمرؤوا ما يأكلون، وإبليس وإخوانه وكل مجنون وذي عاهة تنام على وجهه منبطحاً[4].

ثم قام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن يوم الأربعاء

---

(١) في نسخة: معرقبة. وفي أخرى: مرفوعة.

(٢) في عيون أخبار الرضا: فاستترت الإلية.

(٣) في عيون أخبار الرضا: وسأله عن النوم على كم وجه هو؟! فقال أمير المؤمنين عليه السلام إلخ..

(٤) وفي عيون أخبار الرضا: تنامون على وجوههم منبطحين.

وتطيرنا منه، وثقله، وأي أربعاء هو؟!

قال: آخر أربعاء في الشهر، وهو المحاق، وفيه قتل قابيل هابيل أخاه، ويوم الأربعاء ألقي إبراهيم في النار، ويوم الأربعاء وضعوه في المنجنيق، ويوم الأربعاء غرق الله عز وجل فرعون، ويوم الأربعاء جعل الله عاليها سافلها(١)، ويوم الأربعاء أرسل الله عز وجل الريح على قوم عاد، ويوم الأربعاء أصبحت كالصريم، ويوم الأربعاء سلط الله على نمرود البقة، ويوم الأربعاء طلب فرعون موسى «عليه السلام» ليقتله، ويوم الأربعاء خر عليهم السقف من فوقهم، ويوم الأربعاء أمر فرعون بذبح الغلمان، ويوم الأربعاء خرب بيت المقدس، ويوم الأربعاء أحرق مسجد سليمان بن داود بإصطخر من كورة فارس، ويوم الأربعاء قتل يحيى بن زكريا، ويوم الأربعاء أظل قوم فرعون أول العذاب، ويوم الأربعاء خسف الله بقارون، ويوم الأربعاء ابتلي أيوب بذهاب ماله وولده(٢)، ويوم الأربعاء أدخل يوسف السجن، ويوم الأربعاء قال الله عز وجل: ﴿**أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾، ويوم الأربعاء أخذتهم الصيحة، ويوم الأربعاء عقرت الناقة، ويوم الأربعاء أمطر عليهم حجارة من سجيل، ويوم الأربعاء شج وجه النبي «صلى الله عليه وآله» وكسرت رباعيته، ويوم الأربعاء أخذت العماليق التابوت.

---

(١) في عيون أخبار الرضا: ويوم الأربعاء جعل الله عز وجل عاليها سافلها.

في عيون أخبار الرضا: بذهاب أهله، وماله، وولده.

وسأله عن الأيام وما يجوز فيها من العمل؟!

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: يوم السبت يوم مكر وخديعة، ويوم الأحد يوم غرس وبناء، ويوم الاثنين يوم سفر وطلب، ويوم الثلاثاء يوم حرب ودم(١)، ويوم الأربعاء يوم الشؤم فيه يتطير الناس، ويوم الخميس يوم الدخول على الأمراء وقضاء الحوائج، ويوم الجمعة يوم خطبة ونكاح(٢).

ونقول:

إننا نذكر في البداية إيضاحات العلامة المجلسي «رحمه الله»، ثم نذكر بعض ما نرى أنه قد يكون مفيداً، فنقول:

توضيحات العلامة المجلسي:

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»:

«من موج مكفوف» أي من جسم مواج، ممنوع من السيلان بقدرته

---

(١) في عيون أخبار الرضا: ويوم الاثنين يوم حرب ودم. ويوم الثلاثاء يوم سفر وطلب..

(٢) أخذنا النص المتقدم وهوامشه من بحار الأنوار ج١٠ ص٧٥ ـ ٨٢ وتوجد قطع أخرى منه حول ألوان السماوات في ج٥٥ ص٨٨ وفي الخصال (ط مؤسسة النشر الإسلامي سنة ١٤٢٤ هـ) ج٢ ص٣٧٨ وراجع: عيون أخبار الرضا ج١ ص٢٤١ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٢١٨ فما بعدها، وعلل الشرايع ج٢ ص٥٩٣ ـ ٥٩٨ وراجع ص٤٩٤ و٥٧١ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٤٨٢ فما بعدها.

سبحانه، أو بأن أجمدها بعد ما كانت سيالة.

ويحتمل أن يكون كناية عن كونها مخلوقةً من جسم لطيف قد استقر في محله، ولا ينزل ولا يسيل.

أو موجها كناية عن تلألؤ الكواكب فيها، بناءً على أنها فيها. ويمكن أن يكون المقدار المذكور للكواكب لأصغر الكواكب التي في المجرة، إذا المرصودة منها على المشهور أكبر من ذلك بكثير، بل ما سوى القمر والسفليين أكبر من الأرض بأضعافها.

وقد أول بعض السالكين مسالك الفلاسفة اختلاف الألوان الواردة في هذا الخبر باختلاف أنواعها وطبائعها، فإنهم يقولون: ليس للسماوات لون كما ستعرف إنشاء الله

وذكر السيد الداماد «رحمه الله» لتقدير الكواكب تأويلاً غريباً أوردته في مقام آخر، وإن كانت أقوالهم في أمثال ذلك لم تورث إلا ظناً

وقال «رحمه الله»:

قوله: «بشاشة الوجه المليح». لعل رفع المليح للقطع بالمدح، ويمكن أن يقرأ بشاشة بالنصب على التمييز.

وفي بعض النسخ بعده:

وما لي لا أجود بسكب دمع وهابيل تضمنه الضريح

قتل قابيل هابيلا أخاه فوا حزنا لقد فقد المليح

قوله: «ما باله لا يمشي» أي الخطاف.

وقال الجوهري: العوسج: ضرب من الشوك، الواحدة عوسجة وقال

الفيروز آبادي: رعبت الحمامة رفعت هديلها وشددته(١).

قوله: «مفرقعة الذنب» قال الفيروزآبادي: فرقع فلاناً: لوى عنقه، والافرنقاع عن الشيء: الانكشاف عنه والتنحي.

أقول: وفي بعض النسخ: معرقبة الذنب أي مقطوعة، مجازاً من قولهم: عرقبه فقطع عرقوبه. وفي بعضها: مرفوعة الذنب وهو أظهر، والحياء بالمد: الفرج من ذوات الخف والظلف والسباع، وقد يقصر، وبطحه كمنعه: ألقاه على وجهه فانبطح(٢).

انتهى كلام العلامة المجلسي «رحمه الله»..

سل تفقهاً، ولا تسأل تعنتاً:

إن سؤال التعنت يعبر عن رذيلة أخلاقية، لأن المفروض هو: أن يكون دور المعرفة هو الإسهام في حل مشكلات البشر، وإزالة العوائق من طريقهم في مسيرتهم لإعمار الكون، واستجلاب الكمالات لهم، والنهوض بهم، وإخراجهم من دائرة الفقر والحاجة والعجز، إلى رياض الغنى، والواجدية، والقدرة والكمال..

فإذا حول مسار المعرفة عن هذا الاتجاه، وأريد لها أن تكون معولاً لهدم القيم، وفرض العجز، وتوطيد الفقر والحاجة، فإن هذا سيخرج من حدود

---

(١) بحار الأنوار ج٥٥ ص٨٨ و ٨٩.

(٢) بحار الأنوار ج١٠ ص٨٢ و ٨٣.

كونه رذيلة، ليدخل في نطاق الجريمة القبيحة جداً في حق الإنسان والإنسانية، والإساءة الصريحة لمنظومة القيم والمبادئ والغايات التي أراد الله لها أن تهيمن على مسيرة الإنسان في هذه الحياة..

هذا كله عدا كون سؤال التعنت يهدر الوقت، ويصرف الجهد، ويسهم في إنتاج التشوهات القبيحة في مرآة النفس التي أرادها الله على درجة من النقاء والصفاء، ويلوث طهرها بالأرجاس والرذائل.

ولأجل هذا جاء هذا التوجيه الرائع والرائد من أمير المؤمنين «عليه السلام»: «سل تفقهاً، ولا تسأل تعنتاً»، ليضع النقاط على الحروف، ويعيد الأمور إلى نصابها، وليقطع الطريق على المتعنتين وإفهامهم أن تعنتهم سيكون مفضوحاً أمامه، وأمام الناس، ليفرض عليهم من خلال هذا التحذير مراقبة حركتهم بأنفسهم، وأن يلتزموا في حوارهم بالحدود المعقولة، والمقبولة لدى العقلاء، حتى لا يدفعهم تعنتهم للمراوغات الباطلة، والعناد السمج والممجوج.

ما لا طريق لمعرفته إلا النقل:

وقد تضمنت الرواية المتقدمة أسئلة لا سبيل إلى الوصول إلى أجوبتها إلا بالنقل عن المعصوم الصادق المصدق، الذي يتلقى علمه من خالق الكون ومدبره وباعث الحياة.. من أجل ذلك لا بد من إثبات هذه العصمة، وهذه الصلة بالمعصوم، ثم الأخذ منه وعنه، والانتهاء إلى قوله فيه..

ولذلك، فنحن لا نرى حاجة، بل لا نجد سبيلاً لإثبات، ولا لنفي كثير مما ذكرته الرواية المتقدمة، مثل الإجابة على سؤال مم خلق الله

السماوات، أو الأرض، أو الجبال، وغير ذلك.. لأن أبواب الغيب موصدة أمامنا. ولا نرى أن التكهن والتظني، ينقع غلةً، أو يجدي نفعاً.

مكة أم القرى: لماذا؟!

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن مكة سميت أم القرى، لأن الأرض دحيت من تحتها.

وقال ياقوت: «سميت بذلك، لأنها أصل الأرض، منها دحيت»(١). ولعله أخذ قوله هذا عن الرواية التي نحن بصدد الحديث عنها.

وقال القمي: إنما سميت أم القرى، لأنها أول بقعة خلقت(٢).

ولكن في رواية عن الإمام الجواد «عليه السلام» قال: «ومكة من أمهات القرى»(٣).

---

(١) معجم البلدان ج١ ص٣٠٢ و (ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت) ج١ ص٢٥٤ و ٢٥٥.

(٢) تفسير القمي ج١ ص٢١٠ و ٢٦٨ والبرهان (ط سنة ١٤١٥هـ) ج٢ ص٤٥١ عنه، وج٤ ص٨٠٥.

(٣) بصائر الدرجات ص٢٤٥ و ٢٤٦ وعلل الشرايع ص١٢٤ و ١٢٥ والبرهان (ط سنة ١٤١٥هـ) ج٢ ص٤٥١ وج٥ ص٣٧٤ وج٤ ص٨٠٤ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٧٨ وج٤ ص٥٥٧ وج٥ ص٣٢٢ ومعاني الأخبار ص٥٣ و ٥٤ والاختصاص للمفيد ص٢٦٣ والفصول المهمة للحر العاملي ج١ ص٤١٣ و

فهذا التعبير يشير إلى أن أمهات القرى أكثر من بلد واحد.. ويتوافق من القول: بأن أم القرى هي المدينة الكبيرة، فإنها تكون بمثابة الأم والمرجع لما حولها من قرى وبلدات، كما عن الليث وغيره[١].

غير أن العبارة في رواية أخرى عن أبي جعفر «عليه السلام» جاء هكذا: «أم القرى مكة»[٢]، وهذا التعبير يتوافق مع جميع الأقوال.

أحجام النيرات:

ولا مجال للموافقة على ما ذكرته الرواية السابقة عن طول الشمس والقمر وعرضهما، وعن طول الكواكب وعرضها، فإن ذلك لا يتوافق مع ما هو معروف من أن أحجامها أكبر من ذلك بآلاف الأضعاف.. فضلاً عن تفاوتها فيما بينها بالأحجام، فالشمس أكبر من القمر بكثير، و..

إلا إن كان «عليه السلام» يكلم ذلك الشامي وفق اعتقاده، لا وفق ما يراه «عليه السلام» حقيقة وواقعاً. غير أن ذلك ـ لو صح ـ فالمتوقع أن يضم الأجوبة الصحيحة إلى الأجوبة التي يتوقعها ويريدها ذلك الشامي..

---

٤١٤ وبحار الأنوار ج١٦ ص١٣٢ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٣٣٤ .

(١) معجم البلدان ج١ ص٣٠٢ و ٣٠٣ و (ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت) ج١ ص٢٥٤.

(٢) راجع: تفسير العياشي ج٢ ص٣١ وعلل الشرايع ص١٢٥ والبرهان (ط سنة١٤١٥هـ) ج٢ ص٤٥١ و ٤٥٢ وج٥ ص٣٧٤ وتفسير القمي ج٢ ص٢٦٨ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٥٥٧ وبحار الأنوار ج٩٦ ص٧٦ .

دموع آدم مثل دجلة:

وذكرت الرواية ـ حسب ما ورد في عيون الأخبار ـ: أن ما خرج من إحدى عيني آدم من دموع في بكائه على الجنة كان مثل دجلة، وأخرج من الأخرى مثل الفرات.

ونقول:

إن هذا غير معقول، فإن ما يخرج من العينين لرجل واحد في مئة سنة فقط لا يمكن أن يكون بهذا المقدار، ولا أقل منه بآلاف المرات.

حياء الثور من الله تعالى:

كما أن الحديث عن أن الثور لا يرفع رأسه إلى السماء، حياءً من الله تعالى، فإنه منذ عبد قوم موسى العجل نكس رأسه. قد يكون مسوقاً على هذا النسق أيضاً، أي وفق ما يعتقده ذلك اليهودي..

وقد روي ما يوافق هذا المعنى عن جميل بن أنس قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أكرموا البقر، فإنه سيد البهائم، ما رفعت طرفها إلى السماء حياءً من الله عز وجل منذ عبد العجل»(١).

(١) بحار الأنوار ج١٣ ص٢٠٩ وج٦١ ص١٤١ وعلل الشرايع (ط المكتبة الحيدرية سنة ١٣٨٦ هـ) ج٢ ص٤٩٤ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٧٠ وقصص الأنبياء للجزائري ص٣٠٣ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص٣٨٤ وتذكرة الموضوعات للفتني ص١٥٢ والموضوعات لابن الجوزي ج٣ ص٣.

وفي الروايات ما يدل على أن لبعض الأحداث تأثير في طبائع الطيور والحيوانات، فقد ذكر ابن قولويه أربع روايات تقول: إنه عندما قتل الإمام الحسين «عليه السلام» خرجت البومة من العمران إلى الخراب وآلت ألا تأوي إلا إلى الخراب، فلا تزال هي صائمة حزينة، فإذا جنها الليل ترن وتندب الحسين «عليه السلام» إلى الصباح[١].

قال المجلسي «رحمه الله»: «تدل هذه الأخبار على أن الثور لم يكن قبل عبادة بني إسرائيل العجل على هذه الخلقة، ولا استبعاد فيه»[٢].

لكن ورد في خبر مرسل رواه الصفار عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن حملة العرش أحدهم على صورة ابن آدم، يسترزق الله لولد آدم، والآخر على صورة الديك يسترزق الله للطير، والثالث على صورة الأسد يسترزق الله للسباع، والرابع على صورة الثور يسترزق الله للبهائم. ونكس الثور رأسه منذ عبد بنو إسرائيل العجل إلخ..[٣].

وروى علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسحاق بن الهيثم، عن سعد بن

---

(١) كامل الزيارات باب ٣١ وراجع: بحار الأنوار ج٦١ ص٣٢٩.

(٢) بحار الأنوار ج٦١ص١٤١.

(٣) الخصال ج٢ ص٤٠٧ وبحار الأنوار ج٧ ص١٣٠ و ١٣١ وج٥٥ ص٢٨ والاعتقادات في دين الإمامية ص٤٥ وروضة الواعظين ص٤٥ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص١٥٩ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٤٠٤ وتفسير الميزان ج٨ ص١٧١ ومجمع البحرين ج١ ص٥٧٧ و ٥٧٨.

طريف، عن الأصبغ، قال: قال أمير المؤمنين «عليه السلام» في وصف حملة الكرسي ما ملخصه: أن له أربعة أملاك يحملونه:

الأول: في صورة الثور، وهو سيد البهائم..

إلى أن قال: ولم يكن في هذه الصورة أحسن من الثور، ولا أشد انتصاباً منه، حتى اتخذ الملأ من بني إسرائيل العجل إلهاً، فلما عكفوا عليه وعبدوه من دون الله خفض الملك الذي في صورة الثور رأسه استحياءً من الله أن عبد من دون الله شيء يشبهه، وتخوف أن ينزل به العذاب إلخ..[1].

ونقول:

لعل الأقرب إلى الاعتبار هو ما ورد في هذين الخبرين.

ولا يبقى لما ذكره العلامة المجلسي «رحمه الله» مورد، إذ يكون ما ورد في خبر الشامي قد تعرض لبعض التصرف من قبل الرواة.

---

(١) تفسير القمي ج١ ص٨٥ وبحار الأنوار ج٦١ ص١٤٠ وج٥٥ ص٢١ و ٢٢ وتفسير مجمع البيان ج٢ ص١٦٠ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٢٦١ و ٢٦٢ وج٣ ص٣٨٩ وتفسير كنز الدقائق ج١ ص٦٠٩.

وراجع بخصوص الملك الموكل بالبحار: رواية الإمام الرضا «عليه السلام» في: مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٨٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٢٠٣ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٥٩ وج٩ ص٣٤٦ وعلل الشرائع ج٢ ص٥٥٤ و ٥٩٣ وبحار الأنوار ج١٠ ص٨٤ و ٧٦ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٥٠٧

رومان ملك المد والجزر:

ونقول:

١ ـ المعروف: أن المد والجزر يكونان بسبب جاذبية القمر، فإنه متى حاذى جهة من البحر جذب مياهها إليه، فتنحسر عن الشواطئ. فيحصل الجزر، فإذا زال عن تلك الجهة ضعفت جاذبيته، فيكون المدّ، الذي يعني عودة المياه إلى حالته الأولى المعاكسة لحالة الجزر.

ويتجلى ذلك بصورةٍ أتم حين يكون القمر في الحضيض، أي يكون في أقرب منازله إلى الأرض.

٢ ـ قد يقال: إن هذا الحديث لا ينسجم مع هذا الذي يذكرونه في تفسير المد والجزر.

غير أننا نقول:

أولاً: إنه لا يمكن رفع اليد عن النص لمجرد ظهور نظريةٍ مبنيةٍ على الحدس والتخمين، نتيجة ملاحظة وجود تقارن بين حالتين، مع أن هاتين الحالتين قد تكونان مستندتين معاً إلى مؤثر ثالث ورابع أيضاً، فلا بد لرفع اليد عن الحدث من الاستناد إلى أدلةٍ ملموسةٍ ومحسوسةٍ تفيد اليقين.

وبعبارة أخرى: إن الأدلة المفيدة لليقين لا يمكن أن تكون مجرد ملاحظاتٍ لظواهر معينة، لا دليل على علاقتها ببعضها سوى الحدس أيضاً.. أو أنها تقوم على استقراءات ناقصة، وشياع غير ظاهر الوجه..

وقد عرفنا: أن الناس ظلوا يعتقدون بأن الأرض مسطحة طيلة قرونٍ متمادية، بل إن بعضهم لم يقتنع بكرويتها حتى الآن، حيث لا نزال نسمع

ونرى من يصر على تسطيحها، ويكفر من يقول بخلاف ذلك إلى يومنا هذا.

ثانياً: قد يرى البعض: أن هذا النوع من الأخبار وارد على سبيل الرمز والكناية، فيراد بالملك تلك القوة التي تحدث المد والجزر، حيث لم يكن بالإمكان الحديث عن جاذبية القمر لمياه البحار، فإن ذلك سيواجه بالإنكار والاستهجان إن لم يكن بالسخرية والاتهام الباطل.

ولكن هذا الوجه إنما يمكن قبوله بعد إثبات صحة دعوى أن المد والجزر نتيجة جاذبية القمر بصورة قاطعة ونهائية.

ولكن يمكن القول:

لو صح أن السبب في المد والجزر هو وضع الملك رومان رجله في البحار، وإخراجها منه، لكان ينبغي أن يكون المد والجزر في جميع شواطئ البحار، ولا يقتصر على بعض المواضع اليسيرة بالقياس إلى ما لا يكون فيه مد ولا جزر.

ملاحظة:

ذكر الطريحي: أن ثمة رواية عن عبد الله بن سلام تقول: إن ثمة ملكاً يأتي الميت في قبره، ويأمره بكتابة أعماله في كتاب.

واسم ذلك الملك رومان أيضاً(١). فهل رومان هذا هو نفس ذاك، أم

(١) بحار الأنوار ج٥٦ ص٢٣٤ ومجمع البحرين ج٣ ص٨٢ وراجع: نفس الرحمن في فضائل سلمان للطبرسي ص٦٢٧.

هو غيره؟!

وإن كانا اثنين، فهل تسميتهما معاً بـ «رومان» قد جاء على سبيل الصدفة؟! أم أن ثمة تشابهاً بينهما؟!

وما هو وجه هذا التشابه؟!

وعلى كل حال، فإن هذه الرواية ليست مما يعتد به من حيث السند، فضلاً عن أنها مخالفة لما ورد في القرآن والروايات، من أن هناك ملائكة تكتب كل أفعال الإنسان، وأنه يؤتى بكتابه، فيقول: **﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾**(١)..

وأيضاً، فلو صح هذا الخبر، فما الذي يمنع الإنسان من أن يكتب خصوص ما يراه حسناً، ويكتم الكثير من أفعاله ومن أعماله السيئة، فلا يكتبها ويتستر عليها، بل ينكرها.

ألا ترى إلى قوله تعالى: **﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾**(٢)..

وغير ذلك من الآيات والروايات التي تكذّب هذا الخبر.

إسم إبليس في السماء:

وتقدم: أن اسم إبليس في السماء هو الحارث.. مع أن القرآن يقول: إن

---

(١) الآية ٤٩ من سورة الكهف.

(٢) الآية ٢١ من سورة فصلت.

الله تعالى خاطب إبليس، حين امتنع من السجود لآدم بقوله: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾؟![١].

وفي آية أخرى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾؟![٢].

ومن المعلوم: أنه تعالى قد خاطب إبليس بهذا الخطاب حين كان مع الملائكة في السماء.

إلا أن يقال: إن المقصود هو أن الملائكة هي التي كانت تسمي إبليس بـ «الحارث».

غير أن بعض الأحاديث قد دلت على كراهة التكنية بأبي عيسى، وأبي الحكم، وأبي الحارث، وأبي القاسم إذا كان الاسم محمداً[٣].

وفي رواية: ذكر أبا مالك، بدل أبي الحارث[٤].

---

(١) الآية ٣٢ من سورة الحجر.

(٢) الآية ٧٥ من سورة ص.

(٣) بحار الأنوار ج١٠١ ص١١٦و ١٢٦ و ١٣٠ والهداية للصدوق ص٧٠ و (ط سنة ١٤١٨هـ) ص٢٦٨ وفقه الرضا ص٣١ و (ط سنة ١٤٠٦ هـ) ص٢٣٩ والجامع للشرايع ص٤٥٨ وراجع: جامع أحاديث الشيعة ج٢١ ص٣٤٨ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص١٣٣.

(٤) الكافي ج٦ ص٢١ ودعائم الإسلام ج٢ ص١٨٨ وبحار الأنوار ج١٦ ص٤٠١ وج١٠١ ص١٢٧ والخصال ج١ ص١٧١ و (ط جماعة المدرسين)

ودل بعضها على كراهة التسمية بالحارث أيضاً[(١)].

لكن هناك رواية أخرى عن النبي «صلى الله عليه وآله» تقول: ألا إن خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن وحارثة، وهمام[(٢)].

إلا أن يقال: إن اسم حارثة غير اسم الحارث، فيمكن أن تكون التسمية بأحدهما ممدوحة، وبالآخر مذمومة.

ص٢٥٠ وجواهر الكلام ج٣١ ص٢٥٦ وتهذيب الأحكام ج٧ ص٤٣٩ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢١ ص٤٠٠ و (الإسلامية) ج١٥ ص١٣٢ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص١٣٣ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص١٩٤ وجامع أحاديث الشيعة ج٢١ ص٣٤٧ وذكر أخبار إصبهان ج٢ ص٣٦٣.

(١) النوادر للراوندي ص٩ و (ط مؤسسة دار الحديث ـ قم) ص١٠٤ وبحار الأنوار ج١٠١ ص١٣٠ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص١٣٢ وجامع أحاديث الشيعة ج٢١ ص٣٣٥ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج١١ ص٣٨٨.

(٢) بحار الأنوار ج١٠١ ص١٢٧ والخصال ج١ ص١٧١ و (ط جماعة المدرسين) ص٢٥١ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢١ ص٣٩٩ و (الإسلامية) ج١٥ ص١٣١ وجامع أحاديث الشيعة ج٢١ ص٣٤٦ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٤ ص٧٢ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٦ ص٥٩٠ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص٢٤٢ والإصابة ج٤ ص٣٤ والكامل لابن عدي ج٦ ص٤٠٦.

كما أن التسمية بعبد الرحمان تتوافق مع ما صنعته عائشة حين استشهد علي «عليه السلام»، وسمت أحد خدمها بعبد الرحمن بن ملجم(١).

المختونون من الأنبياء:

وعن الأنبياء الذين ولدوا مختونين نقول:

١ ـ ذكرت الرواية: أن آدم «عليه السلام» ولد مختوناً، مع أنه قد روي: أن عبد الله بن سلام سأل النبي «صلى الله عليه وآله»: هل اختتن آدم أم لا؟!

فقال «صلى الله عليه وآله»: نعم يا ابن سلام ختن نفسه بيده..

قال: صدقت يا محمد(٢)..

ولكن هناك رواية صحيحة السند، عن محمد بن قزعة، قال: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: إن من قبلنا يقولون: إن إبراهيم خليل الرحمان ختن نفسه بقدوم على دن، فقال: سبحان الله، ليس كما يقولون. كذبوا على إبراهيم.

فقلت له: صف لي ذلك.

---

(١) راجع: تلخيص الشافي ج٤ ص١٥٨ والجمل (ط النجف) ص٨٤ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٢٣٤ وج٣٢ ص٣٤١ و ٣٤٢ وقاموس الرجال ج١٠ ص٤٧٥ والشافي ج٤ ص٣٥٦.

(٢) بحار الأنوار ج٥٧ ص٢٤٦ عن بعض الكتب القديمة، وعن كتاب: «ذكر الأقاليم، والبلدان، والجبال، والأنهار، والأشجار» ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٣٠.

فقال: إن الأنبياء، كانت تسقط عنهم غلفهم مع سررهم يوم السابع إلخ..[١].

وآدم من جملة الأنبياء، فيكون قد سقطت غلفته وسرته يوم السابع أيضاً.

وقد يقال: إن المقصود بالرواية ليس جميع الأنبياء، بل خصوص من ذكر أنهم ولدوا مختونين.

ولكن هناك رواية أخرى تقول: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: أول من اختتن إبراهيم، اختتن بالقدوم على رأس ثمانين سنة[٢]. مما

---

(١) بحار الأنوار ج١٢ ص٨ و ١٠٠ و ١٠١ وج١٠١ ص١١٣ وعلل الشرايع (ط سنة ١٣٨٦هـ) ص٥٠٥ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٣٠.

(٢) النوادر للراوندي ص٢٣ و (ط مؤسسة الوفاء سنة ١٤٠٣هـ) ص١٤٧ وبحار الأنوار ج٧٣ ص٦٩ وج١٢ ص١٠ و ١٠٢ عنه. ونيل الأوطار ج١ ص١٣٧ ودعائم الإسلام ج١ ص١٢٤ وجامع أحاديث الشيعة ج٢١ ص٣٨٥ و ٣٨٦ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص١٥١ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٣١ وراجع: مسند أحمد ج٢ ص٣٢٢ و ٤١٨ و ٤٣٥ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٤ ص١١١ وج٧ ص١٤٤ و صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٧ ص٩٧ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٥٥١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٣٢٥ وفتح الباري ج١١ ص٧٤ وعمدة القاري ج٢٢ ص٢٧٢ والمصنف للصنعاني ج١١ ص١٧٥ والأدب المفرد للبخاري ص٢٦٧ وكتاب الأوائل للطبراني ص٣٦ والتمهيد لابن عبد البر ج٢١ ص٥٩ وج٢٣ ص١٣٩ والفايق في

يعني: أن آدم لم يختن نفسه بيده، وإلا لكان هو أول من اختتن..

وفي الحديث المتقدم قوله: سأله عن أول من أمر بالختان، قال: قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: إبراهيم..

قال بعضهم: يعني أنه أول من أمر بختان ولده، وأن هذا الأمر قد صدر له وكان عمره ثمانين سنة. وليس المراد: أنه هو نفسه قد اختتن بعد ثمانين سنة، فقد تقدم تكذيب ذلك في رواية صحيحة السند. وأنه ولد مختوناً[1].

ونقول:

ما ذكره هذا البعض لا يتناسب مع ظاهر الرواية المتقدمة عن رسول

غريب الحديث ج٣ ص٧٢ وفيض القدير ج١ ص٥٩٦ وكشف الخفاء ج١ ص٢٦٧ والتفسير الكبير للرازي ج٢٠ ص١٣٥ والجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٩٨ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص١٧١ والدر المنثور ج١ ص١١٥ والكامل لابن عدي ج١ ص٢٢٢ وج٤ ص١٨٣ وتاريخ مدينة دمشق ج١ ص١٤١ وج٦ ص١٩٩ و ٢٠١ وميزان الاعتدال ج١ ص٥٩ ومعجم البلدان للحموي ج٤ ص٣١٢ والكامل في التاريخ ج١ ص١٢٤ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص٣٠٨.

(١) راجع: علل الشرائع ج٢ ص٥٩٤ وعيون أخبار الرضا ج٢ ص٢١٩ وبحار الأنوار ج١٠ ص٧٧ وج١١ ص٣٦ وج١٢ ص٣ و ١٥١ وج١٤ ص٢ وج١٥ ص٢٩٦ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٢٩ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٤٨٤ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٥١٤.

الله «صلى الله عليه وآله».. فالأولى الجمع بين الروايات بنحو آخر، وهو أن يقال: المقصود: أنه أول من اختتن، ولو بإمرار الموسى على الموضع.

الخفاش يلد:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة في جملة الأشياء الستة التي خلقت من غير رحم: الخفاش، فقد يتوهم أن ذكره في غير محله، لأن الطير يبيض ولا يلد..

والجواب: أنه قد روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن خلقة الخفاش أقرب إلى خلقة ذوات الأربع منها إلى خلقة الطير.

«وذلك أنه ذو أذنين ناشرتين، وأسنان، ووبر، وهو يلد ولاداً، ويرضع، ويبول، ويمشي إذا مشى على أربع. كل هذا خلاف صفة الطير»(١).

عصا موسى:

وذكر عصا موسى في جملة الستة التي لم تركض في رحم، وهي إنما تحولت إلى حية تسعى، والحية تبيض ولا تلد..

ويمكن أن يجاب: بأن احتمال أن تخلق حية بواسطة الرحم أيضاً مما لا يمكن أن نفيه.

كما أن من الممكن أن يخلق الله من تلك العصا موجوداً آخر يكون من

---

(١) التوحيد للمفضل بن عمر الجعفي ص٧٣ وبحار الأنوار ج٣ ص١٠٧ وج٦١ ص٦٨ عنه، ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص١٣٨ وراجع: حياة الحيوان للدميري (ط دار القاموس) ج١ ص٢٦٩.

جنس ما يتولد في الأرحام. من أجل ذلك نقول:

إن هذا يصحح أن تعد هذه العصا في جملة من لم يركض في رحم.

ويلاحظ هنا: أنه «عليه السلام» إنما ذكر العصا، ولم يذكر ما تحولت إليه، وهو الحية!

يوشع بن نون وذو الكفل:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن يوشع بن نون هو ذو الكفل. وقال المجلسي «رحمه الله»: إن هذا خلاف المشهور. وقيل: هو حزقيل. وقيل: إنه وصي اليسع بن أخطوب، وقيل: هو زكريا، وقيل: إلياس. وقيل: هو اليسع نفسه(١).

وفي أخباره الواردة من طرق غير الشيعة ما يدل على أنه ليس يوشع.

وروى الصدوق، عن الدقاق، عن الأسدي، عن سهل، عن الإمام الجواد «عليه السلام» التصريح: بأن ذا الكفل لم يكن نبياً، وكان بعد سليمان. وكان يقضي بين الناس كما يقضي داود، ولم يغضب إلا لله عز وجل. وكان اسمه عويديا(٢).

---

(١) بحار الأنوار ج١١ ص٣٦ وج١٣ ص٤٠٦. وراجع: مجمع البيان ج٧ ص٥٩ و ٦٠ وأنوار التنزيل للبيضاء ج٢ ص٨٩ والمحرر الوجيز ج٢ ص٣١٧ وتفسير البحر المحيط ج٤ ص١٧٨ والتفسير الكبير للرازي، وغير ذلك.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي ص٢١٥ وقصص الأنبياء للجزائري ص٣٦٥

ومن الواضح: أن يوشع كان وصي موسى، ولم يكن وصي سليمان، فإنه كان قبل سليمان بعهود طويلة.

الصرد دليل آدم:

وتقدم: أن الصرد كان يدل آدم على مواضع الماء في طريقه إلى الحج.

وقد روي عن أبي عبد الله ما يؤيد ذلك، فقد قال «عليه السلام»: وأما الصرد فإنه كان دليل آدم «عليه السلام» من بلاد سرانديب إلى بلاد جدة شهراً(١).

عمر آدم:

ذكرت الرواية: أن عمر آدم «عليه السلام» كان تسع مئة وثلاثين سنة(٢).

وبحار الأنوار ج١٣ ص٤٠٥ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص١٣٨ وتفسير الميزان ج١٧ ص٢١٦ .

(١) الخصال ج١ ص١٥٩ و (ط جماعة المدرسين) ص٣٢٧ وبحار الأنوار ج١١ ص١١١ وج٦١ ص٢٦٦ ومستدرك الوسائل ج١٦ ص١٢٣ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٣ ص٤٤ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٢٦٢ وقصص الأنبياء للجزائري ص٣٢.

(٢) علل الشرائع ج٢ ص٥٩٤ وعيون أخبار الرضا ج٢ ص٢١٩ وبحار الأنوار ج١٠ ص٧٧ وج١١ص٢٤٧ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٤٨٤ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٧١.

وهناك رواية أخرى عن الإمام الصادق «عليه السلام»[١].

وفي حديث آخر عن أبي جعفر «عليه السلام» كان عمره تسع مئة وستاً وثلاثين سنة. وبه قال البرقي وروي نحو ذلك عن ابن عباس[٢].

وينافي هذا: ما رواه الصدوق عن ابن المتوكل، عن الحميري، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن عبد الرحمان بن الحجاج، عن القاسم بن محمد، عن أبي جعفر «عليه السلام»: أتى آدم هذا البيت ألف أتية على قدمين (قدميه خ. ل.). منها سبع مئة حجة، وثلاث مئة عمرة[٣].

فهذه الرواية صريحة في أن عمره «عليه السلام» قد زاد على الألف سنة.

---

(١) بحار الأنوار ج١١ ص٢٦٩ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٣ ص٣٤٦.

(٢) بحار الأنوار ج١١ ص٢٦٧ عن قصص الأنبياء ص٢٦٨ و ٢٦٩ وعن سعد السعود ص٤٠ وراجع: الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٣٨٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٣ ص٢٧٢ وتاريخ الأمم والملوك ج١ ص١٠٧ والكامل في التاريخ ج١ ص٥١.

(٣) قصص الأنبياء للراوندي ص٥٢ وقصص الأنبياء للجزائري ص٣٣ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٢٩ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١١ ص١٢٨ و ١٣٢ و (الإسلامية) ج٨ ص٩١ و ٩٤ وعوالي اللآلي ج٢ ص٩٧ وبحار الأنوار ج١١ص١١٤ وج٩٦ ص٤٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٢٠١ و ٤٣٠ و ٤٥٢ و ٤٦٠ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٤٨٦ .

فإن قيل: لا مانع ن يكون حجته وعمرته في عام واحد كأن يعتمر في رجب وغيره، ويحج في ذي الحجة.

ونجيب:

بأننا حتى لو قلنا بهذا، فإن مجموع السنوات يصير ألف سنة، فلا بد أن يضاف إليها سنوات الصغر، فيزيد عمره «عليه السلام» على الألف عام، فلا ينسجم مع القول: بأنه تسع مائة وثلاثون سنة، أو غير ذلك من الأقوال التي لا تصل إلى الألف.

وعن أبي هريرة، عن النبي «صلى الله عليه وآله»: إنه كان كتب لآدم ألف سنة، فوهب ستين منها لداود، ثم رجع(١).

وعنه أيضاً: أنه وهب له أربعين سنة، ثم جحد(٢).

وروي عن الصادق «عليه السلام» عن أول كتاب كتب في الأرض، فأجاب: أنه كتاب جعل آدم ستين سنة من عمره لداود(٣).

---

(١) سنن الترمذي ج٥ ص١٢٣ والكامل في التاريخ ج١ ص٥٠ وبحار الأنوار ج١١ص٢٦٨ وكنز العمال ج٦ ص١٢٦ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٣٦٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٧ ص٣٩٢.

(٢) سنن الترمذي ج٤ ص٣٣٢ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٣٢٥ ومسند أبي يعلى ج١٢ ص٩ وأحكام القرآن لابن العربي ج٢ ص٣٣٣ والجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣١٥ والدر المنثور ج٣ ص١٤٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٧ ص٣٩٤ والبداية والنهاية ج١ ص٩٧ وقصص الأنبياء لابن كثير ج١ ص٤٣ .

(٣) الكافي ج٧ ص٣٧٨ ومستدرك الوسائل ج١٣ ص٢٦١ والجواهر السنية

وعن ابن عباس عن النبي «صلى الله عليه وآله»: كان عمر آدم ألف سنة، وكان عمر داود ستين سنة، فقال آدم: أي رب زده من عمري أربعين سنة.

فأكمل لآدم ألف سنة وأكمل لداود مائة سنة(١).

وفي إثبات الوصية: أنه وهب له منها سبعين(٢). وهذا يوافق القول: بأنه عاش تسع مئة وثلاثين سنة.

والتوراة المتداولة تزعم: أن عمر آدم منذ نفخ الله فيه الروح إلى وفاته تسع مئة وثلاثون سنة(٣).

وروي ذلك عن ابن عباس(٤).

ص١٠ وبحار الأنوار ج١١ ص٢٥٨ وج٤٧ ص٢٢٢ وقصص الأنبياء للجزائري ص٦٩ وجامع أحاديث الشيعة ج١٨ ص١١ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٣٣٧ و ٣٣٨ وج٩ ص٣١.

(١) المصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٤٧ والدر المنثور ج١ ص٣٧٠ وج٤ ص٣٢٦ ومسند أبي يعلى ج٥ ص٩٩ ـ ١٠١ والمعجم الكبير ج١٢ ص١٦٥ وكنز العمال ج٦ ص١٣٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٨ وتاريخ الأمم والملوك ج١ ص١٠٦ والكامل في التاريخ ج١ ص٥١.

(٢) بحار الأنوار ج١١ هامش ص٢٧٠ عن إثبات الوصية.

(٣) بحار الأنوار ج١١ص٢٦٨ و ٢٦٩ وسعد السعود ص٤٠ عن السفر الثالث من التوراة المتداولة، والمعارف لابن قتيبة ص٥٦ و (ط دار المعارف ـ القاهرة) ص١٩.

(٤) بحار الأنوار ج١١ص٢٦٨ والكامل في التاريخ ج١ ص٥١ .

وهو ما ذهب إليه المسعودي، واليعقوبي[١].

ونقله ابن طاووس في سعد السعود عن صحف إدريس[٢].

وقيل: بل عاش تسع مئة سنة، واثني عشرة سنة[٣].

اسم نوح:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن نوحاً سمى نوحاً لأنه ناح على قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً. وأن اسمه كان «السكن».

ونقول:

١ ـ إن هذا لا يتلاءم مع الروايات التي تقول: إن اسم نوح: عبد الغفار، أو عبد الملك، أو عبد الأعلى[٤].

قال الشيخ الصدوق «رحمه الله»: «الأخبار في اسم نوح كلها متقنة غير مختلفة، تثبت له التسمية بالعبودية، وهو عبد الغفار، والملك والأعلى..»[٥].

---

(١) بحار الأنوار ج١١ ص٢٦٩ وعن مروج الذهب ج١ ص٤٨ وتاريخ اليعقوبي ج١ ص٧ وراجع إثبات الوصية.

(٢) بحار الأنوار ج١١ ص٢٦٩ وسعد السعود ص٣٧ و ٣٨.

(٣) بحار الأنوار ج١١ ص٢٦٩ وسعد السعود ص٣٧ و ٣٨.

(٤) علل الشرايع (ط سنة ١٣٨٥ هـ) ج١ ص٢٨.

(٥) علل الشرايع ج١ ص٢٨ و ٢٩ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٥ ص٢٢٥ و (الإسلامية) ج١١ ص١٧٦ وبحار الأنوار ج١١ ص٢٨٦ و ٢٨٧ وقصص الأنبياء للجزائري ص٨٠ وجامع أحاديث الشيعة ج١٤ ص١٨٥ و ١٨٦

٢ ـ وعن بكائه على قومه نقول:

إن ما ذكره من أنه كان يبكي على قومه لا ينسجم مع الرواية التي تقول: إنه كان ينوح على نفسه(١).

٣ ـ ما ذكر من أنه قد بكى ألف سنة إلا خمسين عاماً لا ينسجم مع الروايات التي تقول: إنه ناح خمس مئة سنة(٢).

ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص١٦٠ وراجع: فيض القدير ج٣ ص١٢٥ وتفسير السمعاني ج٣ ص٢١٧ والتسهيل لعلوم التنزيل ج٢ ص٩٦ والإتقان في علوم القرآن ج٢ ص٣٦٣ و ٣٨١ وتفسير القمي ج١ ص٣٢٨ والتفسير الصافي ج٢ ص٢٠٨ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٣٤٨ وج٤ ص١٥٤.

(١) علل الشرايع ج١ ص٢٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٥ ص٢٢٤ و (الإسلامية) ج١١ ص١٧٦ وبحار الأنوار ج١١ ص٢٨٦ و ٢٨٧ وجامع أحاديث الشيعة ج١٤ ص١٨٥ وتفسير القمي ج١ ص٣٢٨ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٣٤٨ وج٤ ص١٥٤ وتفسير السمعاني ج٦ ص٥٣ والمحرر الوجيز ج٢ ص٤١٤ وزاد المسير ج١ ص٣١٩ والدر المنثور ج٣ ص٩٤ وقصص الأنبياء للراوندي ص٨٨ وقصص الأنبياء للجزائري ص٨٠.

(٢) علل الشرايع ج١ ص٢٨ وقصص الأنبياء للجزائري ص٨٠ ومجمع البحرين ج٤ ص٣٨٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٥ ص٢٢٤ و ٢٢٥ وبحار الأنوار ج١١ ص٢٨٦ و ٣٢٦ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص١٦٠ وقصص الأنبياء للراوندي ص٨٨.

لغة أهل النار:

وعن قول الرواية المتقدمة: إن لغة أهل النار هي المجوسية نقول:

إن المجوسية دين، وليست لغة. وأتباع هذا الدين قد يكونون من الأعراق المختلفة، وقد تكون لغتهم العربية، أو الكردية، أو الفارسية، أو الهندية، أو الرومية أو غيرها.

غير أننا نشتم من هذه الرواية إرادة الطعن بأهل فارس باعتبار أنهم يرون أن دين المجوسية كان له انتشار واسع في بلادهم، ولم تزل العصبية تظهر بين العرب الذين يعيشون في المناطق المتاخمة لبلاد الفرس، وبين الفرس بصورة أو بأخرى.

للذكر مثل حظ الأنثيين:

وزعمت الرواية المتقدمة: أن السبب في كون ميراث الذكر مثل حظ الأنثيين هو: أن حواء قد أكلت من السنبلة حبة واحدة، وأطعمت آدم «عليه السلام» حبتين.

ونقول:

إن هذا لا ينسجم مع ما روي عن الأئمة «عليهم السلام»، مثل:

١ ـ ما عن الإمام الصادق «عليه السلام»، من أن الحبات كانت ثمانية عشر، أكلت حواء منها ستاً، وأكل آدم اثني عشر حبة[1].

---

(١) علل الشرايع (ط سنة ١٣٨٥ هـ) ج٢ ص٥٧١ ووسائل الشيعة (آل البيت)

إلا أن يقال: المراد ملاحظة نسبة ما أكلته حواء إلى ما أكله آدم، فإنها نسبة واحد إلى اثنين.

٢ ـ ما عن أبي عبد الله «عليه السلام»، من أن السبب: هو أن المرأة «ليس لها عاقلة، ولا نفقة، ولا جهاد، وعد أشياء غير ذلك. وهذا على الرجال»[(١)].

٣ ـ في نص آخر عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: «لما جعل لها من الصداق»[(٢)].

٤ ـ وعن الإمام الرضا «عليه السلام»: إن سبب ذلك «أن المرأة إذا تزوجت أخذت، والرجل يعطي، فلذلك وفر على الرجال».

وعلة أخرى في إعطاء الذكر مثلي ما تعطى الأنثى، لأن الأنثى في عيال

ج٢٦ ص٩٦ و (الإسلامية) ج١٧ ص٤٣٨ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٤٥١ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٣٧٨ وقصص الأنبياء للجزائري ص٤٧.

(١) المحاسن للبرقي ج٢ ص٣٢٩ وعلل الشرايع ج٢ ص٥٧٠ و ٥٧١ وبحار الأنوار ج١٠١ ص٣٢٧ و تفسير نور الثقلين ج١ ص٤٥١ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٣٧٧.

(٢) علل الشرايع ج٢ ص٥٧٠ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٥٣٦ وغوالي اللآلي ج٢ ص١٥١ وبحار الأنوار ج١٠١ ص٣٢٧ وفقه القرآن للراوندي ج٢ ص٣٥٩.

الذكر إن احتاجت، وعليه أن يعولها، وعليه نفقتها. وليس على المرأة أن تعول الرجل، ولا تؤخذ بنفقته إن احتاج، فوفر على الرجل لذلك. وذلك قول الله تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾(١).

عصا موسى:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن أول شجرة غرست في الأرض هي العوسجة. ومنها عصا موسى.

ولكن في مقابل ذلك، ما روي عن الامام الصادق «عليه السلام»، من إن عصا موسى قضيب من آس الجنة، أتاه بها جبرائيل لما توجه تلقاء مدين(٢).

---

(١) علل الشرايع ج٢ ص٥٧٠ وعيون أخبار الرضا ج١ ص١٠٥ ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص٣٥٠ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٦ ص٩٥ و (الإسلامية) ج١٧ ص٤٣٧ وبحار الأنوار ج٦ ص١٠٣ وج١٠١ ص٣٢٦ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٤٢٤ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج١ ص٣٥٢ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٤٧٧ وتفسير الميزان ج٤ ص٢٢٢ وحياة الإمام الرضا للقرشي ج١ ص٣٠٤ وج٢ ص٥٨.

(٢) الغيبة للنعماني ص١٢٥ و (ط سنة ١٤٢٢ هـ) ص٢٤٣ وبحار الأنوار ج١٣ ص٢٢ و ٧٨ وج٥٢ ص٣٥١ ومجمع البيان ج٧ ص٢٣٩ ـ ٢٥٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٤ ص٣٢٣ وج٧ ص٤٣٢ وتفسير الميزان ج٨ ص٢١٩

أول شجرة نبتت في الأرض:

وذكرت الرواية المتقدمة أيضاً: أن أول شجرة نبتت في الأرض هي الدبا، وهي القرع..

وينافي هذا:

١ ـ ما روي عن الثمالي، عن أبي جعفر «عليه السلام»: أول شجرة نبتت على وجه الأرض النخلة[١].

٢ ـ روى عامر بن واثلة أجوبة أمير المؤمنين «عليه السلام» لأحد يهود المدينة، وفيها قال «عليه السلام»:

«أما أول شجرة نبتت على وجه الأرض، فإن اليهود يزعمون أنها الزيتونة، وكذبوا، ولكنها النخلة من العجوة نزل بها آدم «عليه السلام» معه من الجنة، فأصل النخل كله من العجوة.

ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٢٦٥ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص١٢٠ ونفس الرحمن في فضائل سلمان للطبرسي ص٨٣ وراجع: تفسير البحر المحيط ج١ ص٣٨٩ وتفسير الآلوسي ج١ ص٢٧٠ وج٢٠ ص٧٠ .

(١) الأمالي للطوسي ج١ ص٢١٩ و (ط دار الثقافة) ص٢١٥ وبحار الأنوار ج١٢ ص٧٨ و ١٨٢ وج٦٢ ص١١٢ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٣٦٤ وج٦ ص٢٨٦ وج٧ ص١١١ وج١٠ ص٢٢٨ وقصص الأنبياء للجزائري ص١٦٦ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٢ ص٢٢٢ و (الإسلامية) ج٨ ص٥٥٦ ومستدرك الوسائل ج١٦ ص٣٨٦ وجامع أحاديث الشيعة ج١٥ ص٥٨٠.

قال له اليهودي: أشهد بالله لقد صدقت(١).

وقريب من هذا الحديث روي عن الامام الصادق عن أمير المؤمنين «عليهما السلام»(٢).

إلا إن كان المراد: أن القرع أول ما نبيت بنفسه من الأرض، أما النخلة، فنبتت أولاً في الجنة، ثم نقلت إلى الأرض.

يوسف أكرم الناس نسباً:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن يوسف «عليه السلام» أكرم الناس نسباً.

---

(١) كمال الدين ص١٧٢ و (ط جماعة المدرسين) ص٢٩٥ و ٢٩٦ وبحار الأنوار ج١٠ ص٢١ وج٣٦ ص٢٢٠ و ٣٧٩ وج٥٧ ص٤٠ وخصائص الأئمة ص٨٩ ومستدرك الوسائل ج١٦ ص٣٨٦ ومقتضب الأثر للجوهري ص١٦ وكتاب الغيبة للنعماني ص٩٩ والإستنصار للكراجكي ص١٥ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٣ ص٣٨٥ وإعلام الورى ج٢ ص١٧٠ وتقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص٤٢٣.

(٢) عيون أخبار الرضا ص٣١ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٥٦ و ٥٧ وبحار الأنوار ج١٠ ص٩ و ١٠ والخصال ج٢ ص٧٧ و (ط جماعة المدرسين) ص٤٧٦ وكمال الدين ص١٧٥ و (ط جماعة المدرسين) ص٣٠١ و ٣٠٢ والاحتجاج ص١٢٠ و (ط دار النعمان) ج١ ص٣٣٦ و ٣٣٧ وغاية المرام ج١ ص٢١٧.

ونقول:

لاحظ الامور التالية:

١ ـ ورد في نص الزيارة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أكرم العالمين حسباً، وأفضلهم نسباً»(١).

وزيارة رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهذه الصيغة تدل على الأقل على أن ذلك كان معروفاً ومتداولاً عند الشيعة، من دون ظهور اعتراض أو نكير من أحد منهم، ولا سيما مع إشاعته بين الناس حتى في الزيارات.

٢ ـ وفي خطبة لأمير المؤمنين «عليه السلام» قال عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أكرم خلق الله حسباً، وأشرفهم نسباً»(٢).

٣ ـ وقال ثابت بن قيس في محضر رسول الله «صلى الله عليه وآله»: واصطفى من خير خلقه رسولاً، أكرمه نسباً، وأصدقه حديثاً(٣).

---

(١) بحار الأنوار ج٩٧ ص١٧٦ والمزار الكبير لابن المشهدي ص٦٣.

(٢) بحار الأنوار ج٣٢ ص١٤ وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج١ ص٢٩٧ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٢ ص١١ و ٢٧٢.

(٣) بحار الأنوار ج١٧ ص٢١ ومجمع البيان ج٩ ص١٢٩ ـ ١٣١ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٩ ص٢١٦ وتاريخ مدينة دمشق ج١٠ ص٢٧٢ وج٤٠ ص٣٦٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٧٦ والبداية والنهاية ج٥ ص٥١ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٨٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٨٠ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٨٨ .

وقد قرر رسول الله «صلى الله عليه وآله» على ما قال، ولم يعترض عليه بشيء.

ويتأكد لدينا هذا الشرف العظيم، والنسب الكريم إذا أخذنا بنظر الاعتبار ما دل على أن جميع آبائه «صلى الله عليه وآله» إلى آدم «عليه السلام» كانوا أنبياء(١).

وقد روي ذلك عن أبي جعفر الباقر والإمام الصادق، والكاظم «عليهم السلام»، وعن النبي «صلى الله عليه وآله».

أكرم وادٍ على وجه الأرض:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن أكرم وادٍ على وجه الأرض وادي سرنديب التي سقط آدم من السماء فيها.

---

(١) بحار الأنوار ج١٦ ص٣٧٤ وتفسير فرات (ط سنة ١٤١٠ هـ ق) ص٣٠٤ متناً وهامشاً، وتفسير القمي ج٢ ص١٢٥ وتأويل الآيات ج١ ص٣٩٦ ومجمع البيان ج٧ ص٣٢٣ و ٣٢٤ والبرهان في تفسير القرآن (ط سنة ١٤١٧ هـ ق) ج٤ ص١٩١ ـ ١٩٣ واختيار معرفة الرجال ج٢ ص٤٨٨ وزاد المسير لابن الجوزي ج٦ ص٥٤ وتفسير ابن أبي حاتم ج٩ ص٢٨٢٨ وتفسير السلمي ج٢ ص٨٣ وتفسير الثعلبي ج٧ ص١٨٤ وتفسير البغوي ج٣ ص٤٠٢ والدر المنثور ج٥ ص٩٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص٤٠٢ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص٢٣٥ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج١ ص٤٧ ومجمع الزوائد ج٧ ص٨٦ وتفسير السمعاني ج٤ ص٧١ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٣٦٥ .

ونقول:

لاحظ ما يلي:

١ ـ إن سرنديب ليس وادياً، وإنما هو جزيرة، يقال: إن طولها فرسخ في مثله. وفيها جبل يرى من مسيرة أيام كثيرة..

٢ ـ لماذا لا يكون وادي مكة، أو منى، أو وادي طوى أفضل وأكرم من وادي سرنديب، فقد وردت الروايات الكثيرة في فضل هذين الواديين، مثل:

ألف: عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال لمكة: «ما أطيبك من بلدة وأحبك إليّ الخ..»(١).

ومن الواضح: أن أحب البقاع إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أشرفها، وأكرمها..

وإذا كان للموضع الذي هبط فيه آدم شرف وكرامة، فإن لموضع ولادة الرسول، ونشأته، وموضع ولادة وصيه علي شرف أعلى، وكرامة أعظم. وإنما حصلت مكة على هذا الشرف، ونالت هذه الكرامة.

ب: وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» حتى لما أراد أن ينطلق الى المدينة التفت الى البيت فقال: «إني لأعلم ما وضع الله في الأرض بيتاً أحب

---

(١) الدر المنثور ج١ ص١٢٣ وبحار الأنوار ج٥٧ ص٣٢٩ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٤١١ والمستدرك للحاكم ج١ ص٤٨٦ وصحيح ابن حبان ج٩ ص٢٣ ومعجم البلدان ج٢ ص٢٥٥ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٩٦.

إليّ منك، وما في الأرض بلد أحب إليه منك الخ..»[١].

ولو كانت جزيرة سرانديب أكرم واد على وجه الأرض لكانت أحب الى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من سائر البقاع.

ج: عن الامام الصادق «عليه السلام»: شاطئ الوادي الأيمن الذي ذكره الله في القرآن هو الفرات، والبقعة المباركة هي كربلاء[٢].

د: روى المفضل بن عمر، عن الامام الصادق «عليه السلام»: أن بقاع الأرض تفاخرت، ففخرت الكعبة على البقعة كربلاء.

فأوحى الله اليها: أسكتي، ولا تفخري عليها، فإنها البقعة المباركة التي نودي منها موسى من الشجرة..

---

(١) السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٩٦والدر المنثور ج١ ص١٢٣ وبحار الأنوار ج٥٧ ص٢٢٩ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٤١١.

(٢) تهذيب الأحكام (ط دار الكتب الإسلامية) ج٦ ص٣٨ وبحار الأنوار ج٥٧ ص٢٠٢ و ٢٠٣ عنه. وراجع: ج١٣ ص٤٩ و ١٣٦ و ١٣٧ وج٩٧ ص٢٢٩ وكامل الزيارات ص٤٨ و ٤٩ و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص١٠٩ والمزار لابن المشهدي ص١١٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٤ ص٤٠٥ و (الإسلامية) ج١٠ ص٣١٤ والتفسير الصافي ج٤ ص٨٩ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص١٢٧ ومستدرك الوسائل ج١٧ ص٢٣ والمزار للشيخ المفيد ص١٥ وفضل الكوفة ومساجدها للمشهدي ص١٣ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٩ ص٣٢٥ وقصص الأنبياء للجزائري ص٢٨١.

وإنها الربوة التي آوت اليها مريم والمسيح.

وإن الدالية التي غسل فيها رأس الحسين «عليه السلام» فيها غسلت مريم عيسى «عليه السلام»، واغتسلت لولادتها[1].

هـ: روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: ما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه: الحقي بوادي السلام. وإنها لبقعة من جنة عدن[2].

و: عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: إن الله اختار من الأرض جميعاً مكة، واختار من مكة بكة، فأنزل في بكة سرادقاً من نور الخ..[3].

---

(١) بحار الأنوار ج١٤ ص٢٤٠ وراجع: ج١٣ ص٢٥ وج٥٣ ص١٢ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٢٢٥ وج٩ ص٨٧ وقصص الأنبياء للجزائري ص٤٦١ ومختصر بصائر الدرجات ص١٨٦ والهداية الكبرى للخصيبي ص٤٠٠ .

(٢) الكافي ج٣ ص٢٤٣ وبحار الأنوار ج٦ ص٢٦٨ وج٤١ ص٢٢٣ وج٥٨ ص٥١ وج٩٧ ص٢٣٤ والفصول المهمة للحر العاملي ج١ ص٣٣١ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٢٢٤ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج١٢ ص١٠٣ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٥٥٧.

(٣) تفسير العياشي ج١ ص٣٩ والبرهان (تفسير) ج١ ص٨٥ وبحار الأنوار ج٩٦ ص٦٣ ومستدرك الوسائل ج٩ ص٣٣٦ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٦٢ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص٣٩٣.

ز: وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(٣).

وقال عزوجل: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾(٤).

وآيات أخرى..

ولم نجد أحداً فسر أيّاً من هذه الآيات وسواها بوادي سرنديب فراجع..

أين هبط آدم؟!:

وحول ما ذكر، من أن آدم قد هبط في وادي سرنديب نقول:

إن ذلك لا يصح بدليل:

١ ـ ما رواه القمي «رحمه الله» عن أبيه، رفعه، قال: سئل الصادق «عليه السلام».. إلى أن قال: فهبط آدم على الصفا. وإنما سمّيت الصفا لأن

---

(١) الآية ٧١ من سورة الأنبياء.

(٢) الآية ٨١ من سورة الأنبياء.

(٣) الآية ٣٠ من سورة القصص.

(٤) الآية ١٦ من سورة النازعات.

صفي الله أنزل عليها، ونزلت حواء على المروة، وإنما سميت المروة لأن المرأة أنزلت عليها[١]. والروايات بذلك مستفيضة[٢].

٢ ـ عن عطاء عن أبي جعفر: أن آدم «عليه السلام» قال: فأهبطنا برحمتك إلى أحب البقاع إليك.

قال: فأوحى إلى جبرئيل أن أهبطهما الى البلدة المباركة مكة.. ثم ذكر إلقاء آدم على الصفا وحواء على المروة، فراجع[٣].

٣ ـ وهناك رواية أخرى عن الإمام الصادق «عليه السلام» تذكر هبوط آدم على الصفا، لا في سرنديب[٤].

٤ ـ وفي رواية عن الباقر «عليه السلام» قال: ووضع آدم على الصفا

---

(١) تفسير القمي ج١ ص٤٣ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٦١ وتفسير الميزان ج١ ص١٣٩ والبرهان (تفسير) ج١ ص٨١ وبحار الأنوار ج١١ ص١٦١ و ١٦٢ .

(٢) راجع: تفسير الميزان ج١ ص١٥٠.

(٣) تفسير العياشي ج١ ص٣٦ والبرهان (تفسير) ج١ ص٨٤ ومستدرك الوسائل ج٩ ص٣٤٤ وبحار الأنوار ج١١ ص١٨٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٨٥ .

(٤) الكافي ج٤ ص١٩٠ والبرهان (تفسير) ج١ ص٨٦ وراجع: علل الشرائع ج٢ ص٤٢٥ و ٤٢٦ ومختصر بصائر الدرجات ص٢١٩ و ٢٢٠ وبحار الأنوار ج ١١ ص١٦١ و ١٩٤ و ٢١١ وج٩٦ ص٢١٧ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٤٢٣ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٢١٣ وتفسير الميزان ج١ ص١٣٨.

وحواء على المروة[١].

الصلاة على ظهر الكعبة:

ذكرت الرواية المتقدمة: أنه لا تجوز الصلاة على ظهر الكعبة.

ويؤيده ما ورد في حديث المناهي، قال: نهى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن الصلاة على ظهر الكعبة[٢].

ورواية الإمام الرضا «عليه السلام» عن آبائه عن علي «عليه السلام» قال: وسأله عن أطهر موضع على وجه الأرض لا تحل الصلاة فيه.

فقال له: ظهر الكعبة[٣].

---

(١) الكافي ج٤ ص١٩٦ وعلل الشرائع ج٢ ص٤٢١ وتفسير العياشي ج١ ص٣٥ وتفسير القمي ج١ ص٤٣ ومستدرك الوسائل ج٩ ص٣٢٢ ومستدرك الوسائل ج٩ ص٣٤٤ وبحار الأنوار ج١١ ص١٨٢ و ٢٠٨ وج٩٦ ص٧٠ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص١١ و ١٣ و ٨٥.

(٢) راجع: من لا يحضره الفقيه ج٤ ص٥ ووسائل الشيعة (ط آل البيت) ج٤ ص٣٤٠ و (الإسلامية) ج٣ ص٢٤٨ باب حكم الصلاة على سطح الكعبة. وراجع: السنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٣٢٩ باب النهى عن الصلاة على ظهر الكعبة. وراجع: تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي ج١ ص١٢٤ وفتح العزيز للرافعي ج٣ ص٢٢١.

(٣) راجع: عيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٢١ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٤٨٦.

ولكن هناك رواية عن الإمام الرضا «عليه السلام»، في الذي تدركه الصلاة وهو على ظهر الكعبة قال:

إن قام لم يكن له قبلة. ولكن يستلقي على قفاه، ويفتح عينيه إلى السماء، ويعقد بقلبه القبلة التي في السماء: البيت المعمور، ويقرأ. فإذا أراد أن يركع غمض عينيه. وإذا أراد أن يرفع رأسه من الركوع فتح عينيه. والسجود على نحو ذلك[١].

وقد ادعى الشيخ «رحمه الله» الإجماع على مضمون هذا الحديث[٢].

وقد توقف فيه جماعة من المتأخرين، لأنه ينافي وجوب القيام والركوع والسجود، وحكموا: بأن المصلي على ظهر الكعبة يبرز بين يديه شيئاً منها، ويصلي إليه[٣].

وقال الحر العاملي: يمكن حمله (أي حمل حديث الإمام الرضا «عليه السلام») على النافلة، أو على العجز عن القيام، أو على الضرورة..[٤].

---

(١) الكافي ج٣ ص٣٩٢ وتهذيب الأحكام ج٢ ص٣٧٦ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٤ ص٣٤٠ و (الإسلامية) ج٣ ص٢٤٨ وغوالي اللآلي ج٣ ص٧٢ وجامع أحاديث الشيعة ج٤ ص٥٨٥.

(٢) الخلاف ج١ ص٤٤١.

(٣) راجع: القواعد للعلامة ج١ ص٢٦ والشرائع ج١ ص٦٥ والذكرى ص١٦١ ومفتاح الكرامة ج٢ ص٨٢.

(٤) وسائل الشيعة (آل البيت) ج٤ ص٣٤٠ و (الإسلامية) ج٣ ص٢٤٨.

كسر رباعية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن رباعية رسول الله «صلى الله عليه وآله» كسرت، وشج وجهه يوم الأربعاء.

ونحن لا نريد الخوض في تحديد اليوم الذي شج فيه وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولكننا نقول:

ورد في الروايات خلاف ما ذكر هنا، فقد سأل الصباح بن سيابة الإمام الصادق «عليه السلام»: كسرت رباعيته كما يقول هؤلاء؟!

قال: لا والله، ما قبضه الله إلا سليماً، ولكنه شج في وجهه[1].

هاجر تجر ذيلها:

وبعد.. فإن الرواية المتقدمة نسبت إلى هاجر زوجة إبراهيم: أنها جرَّت ذيلها حين تخلصت من سارة التي كانت تؤذيها..

ونحن لم نرَ في حياة هاجر ما يدل على أنها من النوع الذي يتجرأ على ما لا يرضي الله تبارك وتعالى، بل كانت مثال المرأة الصالحة التي تلد لإبراهيم أفضل أولاده، هو إسماعيل النبي «الذبيح»، فما معنى: أن تنسب إليها الرواية المتقدمة الإقدام على أمر لا يحبه الله بل يبغضه، وهو جرُّ الذيل الذي أكدت الروايات على ذمه، وبينت مبغوضيته لله تعالى؟![2].

---

(١) إعلام الورى ج١ ص١٧٩ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٩٦.

(٢) راجع: وسائل الشيعة (آل البيت) ج٥ ص٤١ ووسائل الشيعة (الإسلامية)

بل هذه الرواية تمعن في تجسيد قباحة هذا الأمر وشناعته، حين ذكرت: أنه لم يسبقها إلى جر الذيل أحد من النساء، ولا سيما بعد مقارنتها بقارون، وأنه كان أول من جر ذيله من الرجال قارون، الذي خسف الله به وبداره الأرض، خلد الله ذمه في القرآن الكريم..

فهل أريد بذلك التشويش على هاجر، لأنها أم إسماعيل، ثم تنزيه سارة التي هي أم إسحاق، وكان اليهود يهتمون بتعظيمه وتقديمه على إسماعيل؟!

وحسبنا ما ذكرناه حول هذه الرواية، فإنه يكفي لوضع علامة استفهام كبيرة حول صحتها، ويؤكد عدم إمكان الاعتماد عليها.

ج٣ ص٣٦٧ باب كراهة إسبال الثوب، وتجاوزه الكعبين للرجل ومستدرك الوسائل ٣ ص٢٦٢ نفس الباب.

الفصل الثاني:

ابن الكواء وعلي عليه السلام..

ابن الكواء: هل كلَم اللّه جميع خلقه؟!:

روى الرضي بإسناد مرفوع إلى الأصبغ قال، سأل ابن الكوا أمير المؤمنين ـ وكان متعنتاً في المسائل ـ فقال: يا أمير المؤمنين، خبرني عن الله عز وجل، هل كلم أحداً من ولد آدم قبل موسى؟!

فقال: قد كلم الله جميع خلقه برهم وفاجرهم، وردوا عليه الجواب.

قال: فثقل ذلك على ابن الكواء، ولم يعرفه، فقال: وكيف كان ذلك؟!

قال: أوما تقرأ كتاب الله إذ يقول لنبينا: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**..﴾؟! فقد أسمعهم كلامه، وردوا عليه الجواب. كما تسمع في قول الله يا بن الكواء: ﴿**قَالُوا بَلَى**..﴾[1]، وقال لهم: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا**..﴾[2]، وأنا ﴿**الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾. فأقروا له بالطاعة والربوبية..[3].

---

(١) الآية ١٧٣ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ١٤ من سورة طه.

(٣) خصائص الأئمة ص٨٧ وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط

ونقول:

طرح المسائل المشكلة على علي عليه السلام:

إن مواجهة أمير المؤمنين «عليه السلام» بالمسائل المشكلة من مختلف الفئات كانت هي السمة الطاغية على حياته «صلوات الله وسلامه عليه»..

كما أن الكثيرين من هؤلاء السائلين كانت نواياهم تتجه إلى إحراجه ولو بمقدار أن يتردد ولو في مسألة واحدة، طيلة عمره، لأنهم يريدون إسقاط معنى الإمامة فيه.

ولا يمكن استثناء ابن الكوا الخارجي الذي كان يحرص كل الحرص على هذا الأمر، ولم يزل يبذل المحاولة تلو الأخرى عله يظفر به.

حيرة ابن الكوا:

لقد فوجئ عبد الله ابن الكوا بجواب أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقد كان يظن: أن الله تعالى لا يكلم إلا الأنبياء. وإذ به يسمع: أنه تعالى ليس فقط يمكن أن يكلِّم غير الأنبياء، بل هو قد كلَّم بالفعل شرار خلقه

الأعلمي) ص١٠٢عنه، وبحار الأنوار ج٥ ص٢٥٨ وج٤٠ ص٢٨٤ و ٢٨٥ وج٦٤ ص١٠١ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج١١ ص١٩١ وتفسير العياشي ج٢ ص٤١ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٩٩ وتفسير الميزان ج٨ ص٣٢٤ وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين ص٢١٩.

وخيارهم على حد سواء. وأنهم قد ردوا عليه الجواب..

وكان الأشد على قلب ابن الكوا: أن يكون الجواب مذكوراً في القرآن بصورة صريحة ولا يتنبه له.

المضمون العام للآية:

إن الروايات التي شرحت الآية قد بينت: أن الله تعالى قد أخذ من بني آدم ذريتهم من ظهورهم ـ وكان ذلك في عالم الذر ـ وأشهدهم على ألوهيته، وعلى نبوة نبينا محمد «صلى الله عليه وآله»، وولاية مولانا أمير المؤمنين علي «عليه السلام».

وقد شهدوا بذلك. وأخذ الله عليهم الميثاق به. وأشهد الملائكة على قبولهم لهذا الميثاق.

وقد صرحت الآية المباركة أيضاً: بأنهم سيعتذرون يوم القيامة: بأنهم قد نسوا ميثاقهم في دار الدنيا، وعملوا بخلافه.

وقد توهم بعضهم: أن الآية تدل على أن الإنسان قد اختار أعماله في عالم الذر فهو يطبق في الدنيا ما اختاره في ذلك العالم.

وهو كلام غير دقيق، فإننا لا نرى أن الآية والروايات قد دلت على شيء من ذلك.

عالم الذر.. والإشهاد:

ويمكن تلخيص الكلام في الآية بما يلي:

إن الإنسان يمر في عوالم مختلفة في حالاتها، وأحكامها، ونظامها.

فهناك الحياة الآخرة، وحياة البرزخ، والحياة في هذه الدنيا. وهناك الحياة في الخزائن الإلهية التي لا حد لها. وإنما يتحدد الإنسان وغيره من المخلوقات ويُقدَّر بعد خروجه من الخزائن. ونزوله إلى الدنيا.

كما أن إخراج الله للإنسان من الخزائن، وإيجاده في الدنيا، يكون بإفاضة دفعية، بكلمة «كن»، فيأخذ أحكام الدنيا في تدرجه وفي حالاته وتلحقه أحكامها، ويخضع لنظمها. ويتكامل تدريجاً، إلى أن يحين نقله إلى العالم الآخر وهو عالم البرزخ، فتتبدل حالاته بما يتناسب مع أحوال عالمه الجديد، ويخضع لنظمه، وتلحقه أحكامه. إلى أن ينتهي إلى عالم الآخرة. وكل ذلك يكون بصورة تدريجية.

ولكن للإنسان من جهة أخرى وجه آخر، وهو حضوره لدى الله تعالى في خزائنه. وهو عالم آخر لهذا الإنسان غير عالم الدنيا. له أيضاً نظمه وأحكامه، فهو حضور دائم بين يدي الله، لا يعرض له التدرج، ولا الانتقال من حالة إلى أخرى، ولا يخضع في حضوره هذا لعوارض الزمان. وهذا هو عالم الملكوت، الذي أراه الله تعالى لإبراهيم في قوله: ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**﴾[1].

فإذا كان الوجه الدنيوي ـ كما يقول العلامة الطباطبائي ـ الذي نشاهده نحن من العالم الإنساني يفرق بين الآحاد، ويشتت الأحوال والأعمال، ويفرقها على قطعات الزمان، ويحجب الإنسان عن ربه. ويشغله بالماديات

(١) الآية ٧٥ من سورة الأنعام.

واللذائذ، فإن هذا التفرق والتشتت والتوزع في الزمان، والحجب عن الله، لا يقع في النشأة الأولى في الخزائن، فإنها اتصال دائم به تعالى، ولا يلحقه فيها أي من القذارات والتلوثات، التي هي من أحكام نشأة الدنيا..

ولذلك تقول الآية المباركة: إن هناك نشأة سابقة، أشهد الله فيها أفراد البشر على أنفسهم، فشهدوا له بالألوهية والربوبية وبغير ذلك مما قدمناه.

علي عليه السلام لابن الكوا: سل عما يعنيك:

عن صفوة الأخبار قال: قام ابن الكواء إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال: أخبرني عن بصير بالليل بصير بالنهار.

وعن بصير بالنهار أعمى بالليل.

وعن بصير بالليل أعمى بالنهار.

فقال «عليه السلام» له: [ويلك] سل عما يعنيك ودع ما لا يعنيك.

[ويلك] أما بصير الليل بصير النهار، فهذا رجل آمن بالرسل [والأوصياء] الذين مضوا [وبالكتاب والنبيين، وآمن بالله]، وأدرك النبي فآمن به، [وأقر لي بالولاية]، فأبصر في ليله ونهاره.

[وأما أعمى بالليل أعمى بالنهار، فرجل: جحد الأنبياء والأوصياء، والكتب التي مضت، وأدرك النبي «صلى الله عليه وآله» فلم يؤمن به، ولم يقر بولايتي، فجحد الله عز وجل ونبيه «صلى الله عليه وآله» فعمي بالليل وعمي بالنهار].

وأما أعمى بالليل بصير بالنهار، فرجل: جحد الأنبياء الذين مضوا،

[والأوصياء] والكتب[١]. وأدرك النبي فآمن به، [فآمن بالله وبرسوله محمد «صلى الله عليه وآله»، وآمن بإمامتي وقبل ولايتي، فعمي بالليل وأبصر بالنهار] فعمي بالليل وأبصر بالنهار.

وأما أعمى بالنهار بصير بالليل، فرجل: آمن بالأنبياء والكتب، وجحد بالنبي [وولايتي، وأنكرني حقي]، فأبصر بالليل وأعمى بالنهار[٢].

ما بين المعقوفات أخذناه من كتاب الاحتجاج للطبرسي. وزاد على الرواية المتقدمة قوله: ويلك يا بن الكواء، فنحن بنو أبي طالب بنا فتح الله الإسلام وبنا يختمه.

قال الأصبغ: فلما نزل أمير المؤمنين «عليه السلام» من المنبر تبعته، فقلت: يا سيدي يا أمير المؤمنين، قويت قلبي بما بينت.

فقال لي: يا أصبغ، من شك في ولايتي فقد شك في إيمانه، ومن أقر بولايتي فقد أقر بولاية الله عز وجل، ولايتي متصلة: بولاية الله كهاتين ـ

---

(١) أي وجحد الكتب.

(٢) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي ـ الطبعة العاشرة) ص١٠٤ و ١٠٥ والإحتجاج للطبرسي ج١ ص٥٤٣ و ٥٤٤ و (ط دار النعمان) ج١ ص٣٣٩ وبحار الأنوار ج٤٠ ص٢٨٣ عن كتاب صفوة الأخبار، وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين ص٢٠٨. وكتاب التوحيد للصدوق ص٢٨١ وتفسير فرات ص٤٦ وتفسير القمي ج٢ ص١٠٦ وتأويل الآيات ج١ ص٣٦٥.

وجمع بين إصبعيه ـ.

يا أصبغ، من أقر بولايتي فقد فاز، ومن أنكر ولايتي فقد خاب وخسر، وهوى في النار، ومن دخل في النار لبث فيها أحقاباً(١).

ونقول:

قال المحقق التستري «رحمه الله»:

قلت: مصداق قوله «عليه السلام» في الجواب عن السؤال الأول من البصير بالليل والنهار: صرمة بن أبي أنس، من بني النجار من الأنصار، فإنه فارق الأوثان في الجاهلية وقال: أعبد رب إبراهيم. ولما قدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» المدينة أسلم وحسن إسلامه، وهو القائل في الجاهلية في الله تعالى:

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسه وكل هلال

وفي الإسلام وفي رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

ثوى في قريش بضع عشرة حجة بمكة لا يلقى صديقاً مواتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه فلم ير من يوفي ولم ير داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه وأصبح مسروراً بطيبة راضيا

وعن السؤال الثاني من الأعمى بالليل والبصير بالنهار: أكثر الصحابة.

وعن السؤال الثالث من البصير بالليل والأعمى بالنهار: أمية بن أبي

(١) راجع: الاحتجاج للطبرسي ج١ ص٥٤٣ و ٥٤٤ و (ط دار النعمان) ج١ ص٣٣٨ ـ ٣٤٠ وبحار الأنوار ج١٠ ص٨٣ عنه.

الصلت، فإنه كان في الجاهلية قرأ الكتب، ورغب عن عبادة الأوثان، وكان يخبر: بأن نبياً يبعث قد أظل زمانه، فلما سمع بخروج النبي كفر حسداً له.

ولما أُنْشِدَ النبيُّ شعرَه قال «صلى الله عليه وآله»: آمن لسانه وكفر قلبه(١).

أسئلة ابن الكواء الخارجي:

وسأله ابن الكواء علياً «عليه السلام»: كم بين السماء والأرض؟!

فقال «عليه السلام»: دعوة مستجابة.

قال: وما طعم الماء؟!

قال طعم الحياة.

وقالوا: وكم بين المشرق والمغرب؟!

فقال «عليه السلام»: مسيرة يوم الشمس.

قال: وما أخوان ولدا في يوم واحد، وماتا في يوم واحد، وعمر أحدهما خمسون ومائة سنة، وعمر الآخر خمسون سنة؟!

فقال «عليه السلام»: ولد عزير وعزرة أخوة، لأن عزيراً أماته الله مائة عام ثم بعثه.

وسأله عن بقعة ما طلعت عليها الشمس إلا لحظة واحدة؟!

---

(١) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٠٥ وتفسير السمرقندي ج١ ص٥٨٠ والمعارف لابن قتيبة ص٦٠ وخزانة الأدب للبغدادي ج١ ص٢٤٦.

فقال: ذلك البحر الذي فلقه الله لبني إسرائيل.

وعن إنسان يأكل ويشرب ولا يتغوط؟!

قال «عليه السلام»: ذلك الجنين.

وعن شيء شرب وهو حي، وأكل وهو ميت؟!

فقال: ذلك عصا موسى شربت وهي في شجرتها غضة، وأكلت لما التقفت حبال السحرة وعصيهم.

وعن بقعة علت على الماء في أيام الطوفان؟!

فقال «عليه السلام»: ذاك موضع الكعبة، لأنها كانت ربوة.

وعن مكذوب عليه ليس من الجن ولا من الإنس؟!

فقال: ذلك الذئب، إذ كذب عليه إخوة يوسف.

وعن من أوحي إليه، لا من الجن، ولا من الإنس؟!

فقال: ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ**﴾[1].

وعن أطهر بقعة على وجه الأرض، لا تجوز الصلاة عليها؟!

فقال: ذلك ظهر الكعبة.

وعن رسول ليس من الجن ولا الإنس، والملائكة والشياطين؟!

فقال: الهدهد، اذهب بكتابي هذا؟!

وعن مبعوث ليس من الجن، والإنس، والإنس، والملائكة، والشياطين؟!

---

(١) الآية ٦٨ من سورة النحل.

فقال «عليه السلام»: ذلك الغراب، ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا﴾(١).

وعن نفس في نفس ليس بينهما قرابة ولا رحم؟!

فقال «عليه السلام»: ذلك يونس النبي في بطن الحوت.

قال: ومتى القيامة؟!

قال: عند حضور المنية وبلوغ الأجل.

قال: وما عصا موسى؟!

فقال «عليه السلام»: كان يقال لها: الإربية، وكان [نت] من عوسج، طولها سبعة أذرع بذراع موسى، وكانت من الجنة، أنزلها جبرائيل «عليه السلام» على شعيب «عليه السلام»(٢).

ابن الكواء يسأل علياً عليه السلام:

١ ـ وعن الأصبغ بن نباتة قال: خطبنا أمير المؤمنين «عليه السلام» على منبر الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، سلوني، فإن بين جوانحي علماً جماً.

فقام إليه ابن الكواء، فقال: يا أمير المؤمنين، ما الذاريات ذرواً؟!

قال: الرياح.

---

(١) الآية ٣١ من سورة المائدة.

(٢) راجع: مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٨٣ و ٣٨٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٢٠٣ و ٢٠٤ وبحار الأنوار ج١٠ ص٨٤ ـ ٨٦.

قال: فما الحاملات وقرا؟!

قال: السحاب.

قال: فما الجاريات يسراً؟!

قال: السفن.

قال: فما المقسمات أمراً.

قال: الملائكة.

قال: يا أمير المؤمنين، وجدت كتاب الله ينقض بعضه بعضاً.

قال: ثكلتك أمك يا ابن الكواء، كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، ولا ينقض بعضه بعضاً، فسل عما بدا لك.

قال: يا أمير المؤمنين سمعته يقول: ﴿بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾[١].

وقال في آية أخرى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾[٢].

وقال في آية أخرى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾[٣].

قال: ثكلتك أمك يا بن الكواء، هذا المشرق، وهذا المغرب.

وأما قوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾، فإن مشرق الشتاء على حدة، ومشرق الصيف على حدة. أما تعرف ذلك من قرب الشمس

---

(١) الآية ٤٠ من سورة المعارج.

(٢) الآية ١٧ من سورة الرحمن.

(٣) الآية ٩ من سورة المزمل.

وبعدها؟

وأما قوله: ﴿بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾، فإن لها ثلاثمائة وستين برجاً، تطلع كل يوم من برج، وتغيب في آخر، فلا تعود إليه إلا من قابل في ذلك اليوم.

قال: يا أمير المؤمنين، كم بين موضع قدمك إلى عرش ربك؟!

قال: ثكلتك أمك يا بن الكواء سل متعلماً، ولا تسأل متعنتاً. من موضع قدمي إلى عرش ربي أن يقول قائل مخلصاً: «لا إله إلا الله».

قال: يا أمير المؤمنين، فما ثواب من قال: لا إله إلا الله؟!

قال: من قال لا إله إلا الله مخلصاً طمست ذنوبه، كما يطمس الحرف الأسود من الرق الأبيض.

فإن قال ثانية: لا إله إلا الله مخلصاً خرقت أبواب السماوات وصفوف الملائكة حتى يقول الملائكة بعضها لبعض: اخشعوا لعظمة الله.

فإذا قال ثالثة: لا إله إلا الله مخلصاً، لم تنته دون العرش، فيقول الجليل: «اسكني، فوعزتي وجلالي لأغفرن لقائلك بما كان فيه».

ثم تلا هذه الآية: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[١]. يعني: إذا كان عمله صالحاً ارتفع قوله وكلامه.

قال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن قوس قزح.

قال: ثكلتك أمك، لا تقل: قوس قزح، فإن قزحاً اسم شيطان، ولكن

---

(١) الآية ١٠ من سورة فاطر.

قل: قوس الله، إذا بدت يبدو الخصب والريف.

قال: أخبرني يا أمير المؤمنين عن المجرة التي تكون في السماء.

قال: هي شرج في السماء، وأمان لأهل الأرض من الغرق، ومنه أغرق الله قوم نوح بماء منهمر.

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن المحو الذي يكون في القمر.

قال «عليه السلام»: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، رجل أعمى يسأل عن مسألة عمياء، أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾(١).

قال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: عن أي أصحاب رسول الله تسألني؟!

قال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن أبي ذر الغفاري.

قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر».

قال: يا أمير المؤمنين، فأخبرني عن سلمان الفارسي.

قال: بخ بخ سلمان منا أهل البيت، ومن لكم بمثل لقمان الحكيم، علم علم الأول والآخر.

---

(١) الآية ١٢ من سورة الإسراء.

قال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن حذيفة بن اليمان.

قال: ذاك امرء علم أسماء المنافقين، إن تسألوه عن حدود الله تجدوه بها عارفاً عالماً.

قال: يا أمير المؤمنين، فأخبرني عن عمار بن ياسر.

قال: ذاك امرؤ حرم الله لحمه ودمه على النار: أن تمس شيئاً منها.

قال: يا أمير المؤمنين، فأخبرني عن نفسك.

قال: كنت إذا سألت أعطيت، وإذا سكت ابتُدِئْتُ.

قال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن قول الله عز وجل: **﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾**(١).

قال: كفرة أهل الكتاب، اليهود والنصارى، وقد كانوا على الحق، فابتدعوا في أديانهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

ثم نزل عن المنبر، وضرب بيده على منكب ابن الكواء. ثم قال: يا بن الكوا، وما أهل النهروان منهم ببعيد.

فقال: يا أمير المؤمنين، ما أريد غيرك، ولا أسأل سواك.

قال: فرأينا ابن الكواء يوم النهروان، فقيل له: ثكلتك أمك، بالأمس تسأل أمير المؤمنين عما سألته، وأنت اليوم تقاتله؟! فرأينا رجلاً حمل عليه

---

(١) الآيتان ١٠٣و ١٠٤ من سورة الكهف.

فطعنه، فقتله[١].

٢ ـ روى هذا الخبر إبراهيم بن محمد الثقفي في كتاب الغارات بأسانيده عن أبي عمرو الكندي، وابن جريح وغيرهما. وزاد فيه:

قال: فما معنى السماء ذات الحبك؟!

قال: ذات الخلق الحسن.

قال: فكم بين المشرق والمغرب؟!

قال: مسيرة يوم للشمس، تطلع من مطلعها فتأتي مغربها، من حدثك غير ذلك كذبك.

فسأله: من الذين بدلوا نعمة الله كفراً؟!

فقال: دعهم لغيهم هم قريش.

قال: فما ذو القرنين؟!

قال: رجل بعثه الله إلى قومه فكذبوه وضربوه على قرنه فمات، ثم أحياه الله، فبعثه إلى قومه، فكذبوه، وضربوه على قرنه فمات، ثم أحياه الله، فهو ذو القرنين.

---

(١) الإحتجاج ج١ ص٦١٢ ـ ٦١٧ و (ط دار النعمان) ج١ ص٣٨٥ ـ ٣٨٨ وبحار الأنوار ج١٠ ص١٢١ ـ ١٢٣ وراجع ج٢٢ ص٣٢٩ وج٥٦ ص٣٢٧ وج٥٥ ص٩٠ و ١٥٩ وراجع: التبيان ج٩ ص٣٧٨ وتفسير العياشي ج٢ ص٢٨٣ والغارات ج١ ص١٧٧ وتفسير القمي ج٢ ص٣٣٧ ونفس الرحمن للنوري ص٢١٣.

[وحسب نص الطبرسي «رحمه الله» أنه قتال: أخبرني عن ذي القرنين أنبياً كان أم ملكاً؟! وأخبرني عن قرنيه أمن ذهب كان أم من فضة؟!

فقال: لم يكن نبياً، ولا ملكاً، ولم يكن قرناه من ذهب ولا فضة، ولكنه كان عبداً أحب الله فأحبه الله، ونصح لله فنصح الله له، وإنما سمي «ذا القرنين»، لأنه دعا قومه إلى الله عز وجل فضربوه على قرنه، فغاب عنهم حيناً ثم عاد إليهم فضرب على قرنه الآخرة وفيكم مثله](١).

ثم قال: وفيكم مثله.

وقال: أي خلق الله أشد؟!

قال: إن أشد خلق الله عشرة: الجبال الرواسي، والحديد تنحت به الجبال، والنار تأكل الحديد، والماء يطفئ النار، والسحاب المسخر بين

---

(١) الإحتجاج ج١ ص٥٤٥ و (ط دار النعمان) ج١ ص٣٤٠ وعلل الشرائع ج١ ص٣٩ وكمال الدين ج٢ ص٣٩٣ وبحار الأنوار ج١٢ ص١٨٠ وج٣٩ ص٣٩ وشجرة طوبى ج١ ص١٨٣ وتفسير الميزان ج١٣ ص٣٧٤ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٢٩٤ والإيقاظ من الهجعة للحر العاملي ص١٦٦ و ٢٩٧ والغارات للثقفي ج٢ ص٧٤٠ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص١٤٨ والدر المنثور ج٤ ص٢٤١ وكنز العمال (مؤسسة الرسالة) ج٢ ص٤٥٦ ومعاني القرآن ج٤ ص٢٨٣ وفتح القدير ج٣ ص٣٠٩ و ٣١٠ وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٤٦٨ وتفسير البغوي ج٣ ص١٧٨ وتفسير الآلوسي ج١٦ ص٣٠ وسبل الهدى والرشاد ج٢ ص٣٤٨.

السماء والأرض يحمل الماء، والريح تقل السحاب، والإنسان يغلب الريح يتقيها بيديه ويذهب لحاجته، والسكر يغلب الإنسان، والنوم يغلب السكر، والهم يغلب النوم، فأشد خلق ربك الهم[١].

٣ ـ عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي «عليه السلام» قال: سلوني عن كتاب الله (عز وجل)، فوالله ما نزلت آية منه في ليل أو نهار، ولا مسير ولا مقام إلا وقد أقرأنيها رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعلمني تأويلها.

فقال ابن الكواء: يا أمير المؤمنين، فما كان ينزل عليه وأنت غائب عنه؟!

قال: كان يحفظ علي رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما كان ينزل عليه من القرآن وأنا عنه غائب، حتى أقدم عليه فيقرئنيه، ويقول لي:

يا علي، أنزل الله علي بعدك كذا وكذا، وتأويله كذا وكذا، فيعلمني

---

(١) الغارات ج١ ص١٧٧ ـ ١٨٣ وبحار الأنوار ج١٠ ص١٢٤ و ١٢٥ وج٥٧ ص٢٠٠ وراجع ج٤٠ ص٢٨٤ عن صفوة الأخبار، وج١٢ ص١٨٠ وتفسير القمي ج٢ ص٣٣٩ ونفس الرحمن للنوري ص٢١٣. وراجع: مجمع الزوائد ج٨ ص١٣٢ والمعجم الأوسط ج١ ص٢٧٦ وكنز العمال ج٦ ص١٧٧ والدر المنثور ج١ ص١٦٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٤٠١. وراجع: الإحتجاج ج١ ص٥٤٥ و (ط دار النعمان) ج١ ص٣٤٠ وعلل الشرائع ج١ ص٣٩ وكمال الدين ج٢ ص٣٩٣.

تأويله وتنزيله[١].

ونقول:

لاحظ ما يلي:

إشكالات في تاريخ الحادثة:

يبدو: أن هذه القضية المشار إليها في الرواية الأولى قد جرت في أوائل خلافته «عليه السلام»، فإن فيها ذكر حذيفة بن اليمان، وقول أمير المؤمنين «عليه السلام» للناس: إن تسألوه عن حدود الله، تجدوه بها عارفاً عالماً، يدل على أنه كان لا يزال حياً إلى هذا الوقت.

فإذا كان هذا الحوار قد جرى في مسجد الكوفة، فذلك يعني أن حذيفة قد عاش إلى حين انتقال علي «عليه السلام» من المدينة إليها، وذلك إنما حصل بعد أشهر من خلافته..

فيتناقض على قولهم: إن حذيفة «رحمه الله» قد توفي بعد البيعة لعلي «عليه السلام» بالخلافة بأربعين يوماً[٢].

---

(١) الأمالي للطوسي (ط سنة ١٤١٤هـ) ص٥٢٣ و (ط أخرى) ج٢ ص١٣٦ والإحتجاج ج١ ص٦١٧ و ٦١٨ و (ط دار النعمان) ج١ ص٣٨٨ وبحار الأنوار ج١٠ ص١٢٥ وج٤٠ ص١٨٦ وج٨٩ ص٧٨ وغاية المرام ج٥ ص٢٨٠ ومسند الإمام الرضا ج١ ص١٢٤. وكتاب سليم بن قيس ص١٧٥ و (وتحقيق باقر الأنصاري ـ مجلد واحد) ص٣٣١ ونهج السعادة ج٢ ص٦٧٦.

(٢) رجال الشيخ الطوسي (ط جماعة المدرسين) ص٣٥ وقاموس الرجال ج٣

إلا إن قلنا: إن قوله «عليه السلام»: «إن تسألوه عن حدود الله تجدوه عارفاً عالماً» قد جاء على نحو القضية الحقيقية، لا الخارجية.

وقلنا: إن الحديث عن تاريخ وفاته غير دقيق.

خصوصيات ظاهرة:

إنه «عليه السلام» حين سئل عن سلمان، وأبي ذر، وحذيفة، وعمار، أجاب بالخصوصية التي امتازوا بها، فذكر ميزة الصدق لأبي ذر، وميزة سلمان بالحكمة، والقرب من أهل البيت «عليهم السلام»، والشبه بهم في الهدي والسلوك. وميزة المعرفة بالمنافقين لحذيفة، وميزة الصلاح والتقوى

ص١٤١ و ١٤٣ عنه، ورجال ابن داود ص٧٠ ونقد الرجال للتفرشي ج١ ص٤٠٨ وجامع الرواة للأردبيلي ج١ ص١٨٢ والدرجات الرفيعة ص٢٨٨ والفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج٢ ص١٧٦ وطرائف المقال ج٢ ص٨٠ و ١٣٤ ومروج الذهب ج٢ ص٣٨٣ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٣٩ والكنى والألقاب ج٢ ص٢٣٦ وراجع: المستدرك للحاكم ج٣ ص٣٨٠ وعمدة القاري ج١٦ ص٢٨٣ والتاريخ الصغير للبخاري ج١ ص١٠٥ والتاريخ الكبير للبخاري ج١ ص١٢ وج٣ ص٩٥ ومعرفة الثقات ج١ ص٢٨٩ والتعديل والتجريح ج٢ ص٥٥٢ وتاريخ مدينة دمشق ج١٢ ص٢٦١ و ٣٠١ وج٥٥ ص٢٦١ وتهذيب الكمال ج٥ ص٤٩٩ والإصابة ج٢ ص٣٩ وتهذيب التهذيب ج٢ ص١٩٣ وتاريخ الإسلام ج٣ ص٤٩٣ والوافي بالوفيات ج١١ ص٢٥١ والبداية والنهاية ج٦ ص٢٣٢.

لعمار، حتى استحق الجنة.

ولكنه حين سئل عن نفسه ذكر ميزة تخصيص رسول الله «صلى الله عليه وآله» له بالتعليم، وشدة اهتمامه هو بنيل هذا الذي أراد الله ورسوله له أن يناله..

الإخبار عن أهل النهروان:

إنه «عليه السلام» قد أخبر ابن الكواء عن أهل النهروان أيضاً رغم أن هذه القضية قد سبقت النهروان، ليقيم بذلك الحجة عليه، وعلى جميع من كان حاضراً لهذا الذي جرى، ومن بلغه ذلك.

وليكون هذا الإخبار تصديقاً عملياً لما ذكره عن نفسه، من أن الله ورسوله قد اختصاه بالعلم الخاص.. وقد أثمر هذا حين لقي الناس ابن الكواء في النهروان، فتعجبوا من ظهور مصداق قوله «عليه السلام» فيه حسبما تقدم.

قريش تبدل نعمة الله كفراً:

١ ـ إن تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا﴾[١] بقريش هو من قبيل التطبيق الصادق للآية على واحد من مواردها الظاهرة..

وقوله «عليه السلام»: «دعهم لغيهم» لعله أراد أن يشير به إلى أن الأيام ستكشف حقيقتهم، وسيظهر لهم ما وعد الله فيهم، وفي أمثالهم.

(١) الآية ٢٨ من سورة إبراهيم.

٢ ـ ورد في روايات عديدة، وبعضها صحيح السند: أن المقصود بمن بدل ﴿نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا﴾ هو قريش[١]، فإن الله تعالى قد ذكر في آية البلاغ: أن الذين لا يرضون بتبليغ ولاية علي «عليه السلام» في عداد الكافرين. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[٢].

وحين بلغ في يوم الغدير إمامة علي «عليه السلام»، وأخذ له البيعة نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[٣]. فظهر بذلك المراد من النعمة، وظهر المراد بمن كفر بها، وذلك ظاهر لا يخفى.

(١) البرهان في تفسير القرآن (ط مؤسسة البعثة ـ سنة ١٤١٦هـ) ج٣ ص٣٠٦ ـ ٣٠٨ والغارات للثقفي ج١ ص١٨١ وبحار الأنوار ج٩ ص١١٣ و ٢١٨ وج٢٤ ص٥٥ وج٣١ ص٥٠٨ ونهج السعادة ج٢ ص٦٢٩ وراجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٥ ص٩ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٣٥٢ و ٤٦٧ وفتح الباري ج٧ ص٢٣٥ وعمدة القاري ج١٧ ص٩٢ والسنن الكبرى للنسائي ج٦ ص٣٧٢ وكنز العمال (مؤسسة الرسالة) ج٢ ص٤٤٤ وتفسير العياشي ج٢ ص٢٢٩ والتبيان للشيخ الطوسي ج٦ ص٢٩٤.

(٢) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٣) الآية ٣ من سورة المائدة.

علي عليه السلام ذو قرنيها:

إن مقتضى جوابه عن ذي القرنين هو أن يكون هذا الرجل من الأنبياء، ثم أشار إلى أنه هو «عليه السلام» مثل ذي القرنين، وقد ورد: أنه «عليه السلام» ذو قرنيها(١).

شرج السماء، والثقوب السوداء:

الشرج: منفسح الوادي، ومسيل ماء، ولعله شبه به لشباهته به ظاهراً، أو لكونه منه أغرق الله قوم نوح «عليه السلام»(٢).

ثم إننا لا ندري إن كان «عليه السلام» يقصد بشرج السماء هو ما يعرف في أيامنا هذه بالثقوب السوداء، التي تشبه منفسح الوادي، وتغيب النجوم فيه، وتختفي في ظلماته.

---

(١) الأمالي للصدوق ص٦٧ و ٦٥٦ وفضائل الشيعة ص١٥ ومعاني الأخبار ص٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧ وروضة الواعظين ص٢٩٦ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٠ ص١٩٤ و (الإسلامية) ج١٤ ص١٤٠ والغارات ج٢ ص٧٤٢ والأمالي للمفيد ص٢١٣ والعمدة لابن البطريق ص٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٥ ومشكاة الأنوار ص١٥٢ وبحار الأنوار ج٢٧ ص٣١٣ وج٣٩ ص٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٢٠٦ و ٣٠٧ وج٤٠ ص٢٧ و ٧٩ وج٦٥ ص٧ و ٤١ و ٤٦.

(٢) بحار الأنوار ج١٠ ص١٢٤ وج٥٥ ص٩٠ والقاموس المحيط ج١ ص١٩٥.

توضيحات ضرورية:

قال المجلسي «رحمه الله»: قوله «عليه السلام»: «أن يقول قائل مخلصاً: لا إله إلا الله»، لعل المعنى: أن القائل إذا قال ذلك يصل إلى العرش في أقرب من طرف العين.

والحاصل: أن السؤال عن قدر المسافة لا ينفعكم، بل ينبغي أن تسألوا عما يصل إلى العرش ويقبله الله تعالى من الأعمال.

وقال الجزري: فيه: «فما نهنهها شيء دون العرش» أي ما منعها وكفها عن الوصول إليه[1]. والريف بالكسر: أرض فيها زرع وخصب والسعة في المأكل والمشرب[2].

---

(١) القاموس المحيط ج٣ ص١٤٦ وبحار الأنوار ج١٠ ص١٢٤ وج٣٢ ص٩٦ وراجع: شرح سنن النسائي للسيوطي ج٢ ص١٤٦ وحاشية السندي على النسائي ج٢ ص١٤٦ وعون المعبود ج٢ ص٣٣٧ والنهاية في غريب الحديث ج٥ ص١٣٩ وتاج العروس ج١٩ ص١٠٨.

(٢) بحار الأنوار ج١٠ ص١٢٤ وج٣٤ ص٤٢٧ وج٨٢ ص٢٦٨ وفتح الوهاب ج١ ص٢٨٥ ومغني المحتاج للشربيني ج٢ ص٣٦ وكشاف القناع ج٣ ص١٥٥ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٥١٧ ولسان العرب ج٩ ص١٢٨ وشرح مسلم للنووي ج٩ ص١٤٦ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٣١ والصحاح ج٤ ص١٣٦٧ والقاموس المحيط ج٣ ص١٤٦.

وطأ دجاجة، فحرمت بيضتها:

عمار الذهبي، عن أبي الصهباء، قال: قام ابن الكواء إلى علي «عليه السلام» وهو على المنبر، وقال: إني وطأت دجاجة ميتة، فخرجت منها بيضة، فآكلها؟!

قال: لا.

قال: فإن استحضنتها فخرج منها فرخ، آكله؟!

قال: نعم.

قال: فكيف.

قال: لأنه حي خرج من ميت، وتلك ميتة خرجت من ميتة(١).

ونقول:

ماذا يريد ابن الكواء؟!:

١ ـ لم يكن مقصود ابن الكواء الخارجي: أنه قد وطأ الدجاجة فعلاً، بل قصد صياغة سؤاله بهذه الطريقة.

٢ ـ إن ابن الكواء كان مهتماً بأن يحرج علياً «عليه السلام» ولو بمسألة واحدة، لكي يتمكن من الطعن بإمامته، وكان الله تعالى له بالمرصاد، فكان

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٧٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص١٩٦ وشرح الأخبار ج٢ ص٣٢٤ ومستدرك الوسائل ج١٦ ص١٩٠ وبحار الأنوار ج٦٣ ص٥٠ ومشارق أنوار اليقين ص١١٩.

يواجه الخيبة تلو الخيبة، وتزداد قناعة الناس بإمامته «عليه السلام»، من خلال تلمسهم تفوقه في كل العلوم، وفي جميع الخصال..

ظاهرة سؤال الناس عن المبررات:

إن السؤال عن الدليل والمبرر، والعلة والسبب قد أصبح هو الظاهرة التي تميز علاقة أهل البيت بالناس. ولم يعد هناك أي حرج في أن يطلب أي كان من الحاكم تبرير أقواله وأفعاله. وإنما كان هذا ببركات وجودهم، وبفضل جهودهم «عليهم السلام» الرامية إلى ترسيخ هذه الطريقة في الناس، وهو نهج ينسجم مع الطبيعة البشرية، التي تريد أن تتعامل مع الأمور بوضوح، وأن تطمئن إلى صحة ما تقدم عليه في أقوالها، وأفعالها.

مبررات حرمة البيضة:

إن الحكم بحرمة البيضة التي تخرج الدجاجة الميتة لم يكن لأجل وطئها وحسب، بل كان أيضاً لأجل موتها، كما أظهره قوله «عليه السلام»: «وتلك ميتة خرجت من ميتة».

وهذا الحكم إن كان تعبدياً فلا بد من التسليم والقبول، وإن لم يكن تعبدياً، فقد يقال: لعل الحديث عن البيض الذي لم يكتمل، ولم يتصلب، والذي لا يزال متجمعاً في أحشاء الدجاجة، ومتصلاً بها، ويفترض أن يتغذى، وينمو ويكبر حتى يتصلب قشره، ثم يخرج، فالحكم على هذا البيض الذي لم يكتمل بعد بأنه ميتة يكون مقبولاً ومعقولاً، ولذلك قبل ابن الكواء بهذا الجواب، وسكت..

ولو كان المقصود هو البيضة التي اكتملت، ولم يعد لها أي تأثير بمحيطها، ولم يبق إلا أن تخرج، فالأمر يكون ملتبساً، إلا إذا فرض أن هذه البيضة قد بقيت في جوف الدجاجة الميتة، وقتاً طويلاً، واكتسبت منها ما أوجب حرمتها. كما يشير إليه قوله: «لو استحضنتها فخرج منها فرخ إلخ..». إلا إن كان يريد أن يفترض أولاً: أن البيضة لم تتصلب، ولم تنفصل، ثم يفترض ثانياً: صورة ما لو تصلبت وانفصلت.. والله هو العالم.

نحن باب الله:

عن الأصبغ بن نباتة، قال: كنت جالساً عند أمير المؤمنين «عليه السلام»، فجاء ابن الكواء، فقال: «يا أمير المؤمنين، مَنِ البيوت في قول الله عز وجل: ﴿**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**﴾؟!(١).

قال علي «عليه السلام»: نحن البيوت التي أمر الله بأن تؤتى من أبوابها.

نحن باب الله وبيوته التي يؤتى منه. فمن بايعنا، وأقر بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها. ومن خالفنا، وفضل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها.

فقال: يا أمير المؤمنين، ﴿**وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ**﴾؟!(٢).

---

(١) الآية ١٨٩ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٤٦ من سورة الأعراف.

فقال علي «عليه السلام»: نحن أصحاب الأعراف، نعرف أنصارنا بسيماهم. ونحن الأعراف يوم القيامة بين الجنة والنار، فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار من أنكرنا وأنكرناه.

وذلك بأن الله عز وجل لو شاء عرَّف الناس نفسه، حتى يعرفوه وحده، ويأتوه من بابه.

ولكنه جعلنا أبوابه، وصراطه، وسبيله، وبابه الذي يؤتى منه، فقال في من عدل عن ولايتنا، وفضل علينا غيرنا: فإنهم ﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾[(١)]»[(٢)].

وحسب نص الكليني: «نحن الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف يعرفنا الله عز وجل يوم القيامة على الصراط، فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه.

إن الله تبارك وتعالى لو شاء لعرف العباد نفسه، ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله، والوجه الذي يؤتى منه. فمن عدل عن ولايتنا، أو فضل علينا غيرنا، فإنهم عن الصراط لناكبون. فلا سواء من اعتصم الناس به، ولا

---

(١) الآية ٧٤ من سورة المؤمنون.

(٢) الاحتجاج ج١ ص ٥٤٠ و ٥٤١ و (ط دار النعمان) ج١ ص٣٣٧ و ٣٣٨ وتفسير فرات ص ٤٥ وراجع: الكافي ج١ ص١٨٤ وتأويل الآيات الظاهرة ج ص٨٦ و ١٧٦ والبرهان (تفسير) ج١ ص٤١٥ ونور الثقلين ج١ ص١٤٨ وبحار الأنوار ج٢٣ ص٢٤٨ و ٢٤٩ وج٨ ص ٣٣٩ و ٣٤٠.

سواء حيث ذهب الناس إلى عيون كدرة، يفرغ بعضها في بعض. وذهب من ذهب إلينا إلى عين صافية تجرى بأمر ربها، لا نفاد لها ولا انقطاع»(١).

ونقول:

فأتوا البيوت من أبوابها:

بالنسبة للبيوت وأبوابها نقول:

علينا ملاحظة الأمور التالية:

١ ـ إن تفسير الأبواب بالأوصياء هو من باب التطبيق.

ويشير إلى ذلك: أنه قد روي تفسير هذه الآية عن أبي جعفر «عليه السلام» وأنه قال: يعني: أن يأتي الأمر من وجهه، أي الأمور كان(٢).

٢ ـ قال علي بن إبراهيم عنه هذه الآية: ﴿**وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**﴾: نزلت في أمير المؤمنين «عليه السلام»، لقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، ولا تأتوا المدينة إلا من بابها»(٣).

---

(١) راجع: الكافي ج١ ص١٨٤ وبصائر الدرجات ص٥١٧ ومختصر بصائر الدرجات (ط سنة ١٣٧٠هـ) ص٥٥ ومختصر البصائر (تحقيق مشتاق المظفر) ص١٩٥ وبحار الأنوار ج٢٤ ص٢٥٣ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٢ ص٣٨٩ وج٦ ص٧٦ وغاية المرام ج٣ ص٦٩.

(٢) المحاسن ص٢٢٤ وتفسير العياشي ج١ ص١٠٥ والبرهان (تفسير) ج١ ص٤١٥ وبحار الأنوار ج٢ ص٢٦٢ والتبيان للطوسي ج٢ ص١٤٢.

(٣) تفسير القمي ج١ ص٦٨ والبرهان (تفسير) ج١ ص٤١٦.

ومن الواضح: أن هذا اجتهاد من علي بن إبراهيم «رحمه الله»، وليس استناداً إلى نص صرح له بنزول الآية الشريفة بخصوص أمير المؤمنين «عليه السلام».

٣ ـ إن الآية لم تصرح بأن الحديث هو عن بيوت الله تعالى، ولكن أمير المؤمنين «عليه السلام» نقل الكلام إلى النقطة الأكثر حساسية وأهمية بالنسبة للبشر كلهم، وهو تحديد بيوت الله تعالى التي يجد فيها البشر كل حاجاتهم التي يريدون الاحتفاظ بها، للاستفادة منها في صنع إنسانيتهم، وتصحيح مسارهم، وضبط حركتهم في مسيرهم بها إلى مصيرهم..

٤ ـ إن الوصول إلى الله تعالى، والدخول في دائرة الأمان عنده لا بد أن يكون بدخول بيته، ولكن بالطريقة الصحيحة والطبيعية، وهي أن يدخلوا البيوت من أبوابها. لأن من حاول الدخول من غير الباب سيعد سارقاً، أو مغيراً. وسيجد الموانع، والحجب، والحواجز، والجدر، وسيواجهه الصد والمنع من مواصلة السعي، والسؤال الملِّح عن سبب اختيار اسقاط هذه الموانع، التي لا يرضى صاحب البيت بإسقاطها وتجاوزها، ولا يمكن الحصول على رضا صاحب البيت بما يسخطه.

٥ ـ وقد حدد علي «عليه السلام» كيفية دخول الباب، وذلك بأمرين:

أولهما: البيعة للإمام من أهل البيت، التي تعني اعطاء العهود والمواثيق على النصرة، والالتزام بفروض الطاعة فيما يأمرهم به، وينهاهم عنه، بصفته قائداً وحاكماً، وإماماً. والمعونة على القيام بما تفرض سياسة العباد ومصالحهم القيام به.

الثاني: الإقرار بولايتهم «عليهم السلام»، التي تعني التسليم بأن الله تعالى جعل لهم الإمامة، وأوجب على الناس محبتهم، وتوليهم والبراءة من أعدائهم، فلا تكفي البيعة لهم عن الإقرار بالولاية لهم، وعقد القلب عليها. والالتزام بها، والتبني والاحتضان لها في عمق الوجدان والضمير، وحياطتها بالأحاسيس والمشاعر، لأن البيعة بمجردها لا تعني الوصول إلى الله، فإنها قد تنتهي عند التعامل المصلحي الدنيوي، ولا تتجاوزه إلى الارتباط الروحي، وتهيئة أجواء الهداية والرعاية والتنشئة، وتصويب المسار فيما يرتبط بقضايا الإيمان والإعتقاد، فضلاً عن تهيئة الدواء الشافي، والغذاء الكافي للروح، وبناء علاقتها بالله على أسس صحيحة وسليمة، بالطرق القويمة، والحكيمة..

كما أن الاكتفاء بالتولي والتبري، وعدم المشاركة في النصرة، والمعونة، وعدم التعرض لصيانة الأمة في أمنها، ودفع أعدائها، وحفظ مصالحها، وضبط حركتها.. سيأتي متوافقاً عملياً مع مضمون الآية الكريمة: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**﴾.

وذلك لأن الدخول إلى بيوت الله معناه: الحصول على كل الرغائب، والأمن من جميع المعاطب، في الدنيا وفي الآخرة.

ولا يتحقق ذلك إلا بالالتزام بالنهج الإلهي التام في كل الاتجاهات، حتى يصبح الإنسان متمحضاً في خدمة الأهداف الإلهية في كل جهات وجوده.

وهذا يفرض الحضور الفاعل والمؤثر في مواضع رضا الله سبحانه كلها..

ويصبح كل تخلف بمثابة ثغرة في جدار بيت الأمن والأمان الإلهي، وتعريض للنفس إلى المهالك والمعاطب..

٦ ـ واللافت هنا: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد بيَّن مورد التخلي عن ولايتهم «عليهم السلام» الذي معناه: إتيان البيوت من ظهورها.. وهو يقتضي الصد، والمنع من دخول تلك البيوت بهذه الطريقة المبغوضة لله تعالى ـ بينه ـ بصيغة: مخالفتهم وتفضيل غير أهل البيت على أهل البيت «عليهم السلام»، فقال: «ومن خالفنا، وفضل علينا غيرنا، فقد أتى البيوت من ظهورها».

فإتيان البيوت من ظهورها يتقوم بأمرين أيضاً:

أحدهما: نفس مخالفتهم، وعدم توليهم، وعدم الأخذ منهم، وإن لم يصل الأمر إلى العداء والبغض.

الثاني: تفضيل غيرهم وترجيحه عليهم. وإن اعترف لهم بقدر من الفضل، وهذا معناه: أن نفس هذا التفضيل، ونفس أن لا يكون معهم، سوف يجعله خارج دائرة بيوت الله، وسوف يحجبه عن الاهتداء إلى الأبواب، الأمر الذي يجعله في دائرة الهلاك، والبوار..

آيات سور الأعراف:

إن ما ذكره «عليه السلام» عن رجال الأعراف إنما أشار به إلى قوله تعالى: ﴿**وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَادَى**

أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾(١).

على الأعراف رجال:

وبالنسبة للأعراف، ورجالها نقول:

١ـ إن سياق الرواية المتقدمة يعطي ما يلي:

ألف: إن الله تعالى هو الغاية ومنه يكون تحديد الوسيلة لكل من سلك طريق الحياة، فمن اتصل به، أو وصل إليه نجا وسعد، ومن حاد وضل عنه هلك وشقي..

ب: إن الوصول إليه تعالى يحتم الدخول إلى بيت رحمته وغفرانه من بابه المعد لذلك.

ج: لقد ربط «عليه السلام» في هذا النص بين آية: ﴿**وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**﴾. وبين آية: ﴿**وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ**﴾(٢)، ليدل على أنه لا يصل إليه إلا من باب أهل البيت «عليهم السلام»، فإنهم هم باب الله الذي يؤتى منه.

د: إنه تعالى جعل التعلق بأهل البيت «عليهم السلام»، وتوليهم

---

(١) الآيات ٤٦ ـ ٤٩ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ٤٦ من سورة الأعراف.

والبيعة لهم، وطاعتهم، والبراءة من أعدائهم، هو الصراط الذي يكون السلوك فيه بالأعمال الصالحة، من موجبات سالكه من المعاطب والمهالك، وهو ينقله إلى بر الأمان.

هـ: ثم جعلهم بابه الذي يؤتى منه.. وجعلهم على الأعراف، ليميزوا شيعتهم من مخالفيهم، ويشفعوا للفساق من محبيهم، ويحبس فيه قوم من المذنبين إلى أن يشفع لهم..

والأعراف:

١ ـ هو مكان عال مرتفع بين الجنة والنار، يشرفون منه على الخلائق، وعلى الجنة والنار.

٢ ـ أو هو موضع يعرف فيه الخلائق أئمتهم بالإمامة والولاية فيسعدون بذلك أو إنكارهم لهم ـ فتكون لهم الخيبة والخسران.

٣ ـ وهو أيضاً موضع معرفة الأئمة للخلائق، بأنهم شيعتهم وأنصارهم، لتكون هذه المعرفة هي جواز الخلائق إلى الجنة، أو السقوط في نار الله الموصدة التي تطلع على الأفئدة.

وهو قوله «عليه السلام»: «فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه».

٤ ـ وهو أيضاً موضع يعرف فيه شرف وكرامة ومنزلة الأئمة عند الله.

وما تقدم إنما هو بالنظر إلى حال الآخرة.. وهذا هو المشار إليه في الرواية المتقدمة:

«نحن الأعراف يعرفنا الله عز وجل يوم القيامة على الصراط إلخ..»

كما في رواية الكافي وغيره.

٥ ـ وتطلق كلمة «الأعراف» أيضاً على حامل المعرفة، الذي يعرف غيره الله تعالى بوساطته، كالرسل والأئمة. وهذا هو المراد بقوله في الرواية المتقدمة: «نحن الأعراف الذين لا يعرف الله تعالى إلا بسبيل معرفتنا» كما في رواية الكافي . والمراد معرفة الله تعالى في الدنيا.

٦ ـ وأيضاً: الأعراف جمع عريف، وهو النقيب المتكفل بأمور قومه. كما أن الأشراف جمع شريف.

التعريف بالواسطة:

وقد ألمح «عليه السلام» إلى أن الله تعالى لم يعرف العباد بنفسه مباشرة، بل أراد أن يكون ذلك بواسطة دلالة الأئمة، وربط الخلق بهم، ليتولوا هم أمورهم، وليتصرفوا فيها بمعونة منهم، بابتغاء ما يصلحهم، من موضع الرفق والمحبة، إما مباشرة، أو بالدلالة لهم بالقول والفعل، أو على سبيل القدوة والأسوة..

وذلك رفقاً منه تعالى بعباده، ومعونة لهم، وتخفيفاً عنهم. ولكي لا يزيدهم الإمهال تمرداً وطغياناً عليه سبحانه، أو استهانة بأمره ونهيه. ولغير ذلك من مصالح..

وقال «عليه السلام» حسب رواية الكافي: «نحن الأعراف، يعرفنا الله عز وجل يوم القيامة على الصراط». أي يجعلنا عرفاء، ويقيمنا عليه.. أو يجعلنا أصحاب معرفة بأوليائنا وأعدائنا على الصراط..

وهذا يعني: أن أهل كل عصر لا يدخلون الجنة إلا إذا عرفوا إمام زمانهم، وتولوه، وصدقوه وتابعوه.

قال الملا صالح المازندراني: «بيان الحصر من وجهين:

أحدهما: أن دخول الجنة لا يمكن لأحد من هذه الأمة إلا باتباع الشريعة النبوية، ولزوم العمل بها.

ولا يمكن ذلك إلا بمعرفتها ومعرفة كيفية العمل بها.

ولا يمكن ذلك إلا بتبيان صاحب الشريعة، والقائم بها، وإرشاده وتعليمه..

وذلك لا يمكن إلا بمعرفة المأموم للإمام، وحقيقة إمامته، وصدق ولايته له ليقتدي به، ومعرفة الإمام للمأموم ليهديه، فإن دخول الجنة متوقف على معرفة الإمام للمأمومين، ومعرفتهم له.

ثانيهما: إن معرفة الأئمة «عليهم السلام» ومعرفة حقيقة إمامتهم، وصدق ولايتهم ركن من أركان الدين، ولا يدخل الجنة إلا من أقامه. ومن عرفهم كذلك وجبت معرفتهم له بذلك»(١).

ثم ذكر: أنه لا يشترط في ذلك المعرفة الشخصية العينية، بل الشرط هو المعرفة على وجه كلي.

العيون الكدرة:

وفي النص الذي ذكره الكليني: أن الذين لا يتولون أئمة الهدى،

(١) شرح أصول الكافي ج٥ ص١٤٥.

ويلجأون إلى الأخذ من غيرهم، فإنما يذهبون إلى «عيون كدرة، يفرغ بعضها في بعض».

والمراد بيان: «أن الهدف من اعتصام الناس بالأئمة وبغيرهم، وتوليهم لهم، هو أن يجدوا عندهم من العلوم والمعارف ما به حياتهم، وصلاح أمورهم..» ويشبهون هذا بالماء الذي يعطي الحياة للأشياء المادية، ويريدون له أن يعطي الحياة للقلوب والأرواح.

وهذا ما فعله «عليه السلام» هنا، فإنه شبه علوم مخالفيهم «عليهم السلام» بعيون فيها ماء كدر، لا يستسيغ الناس شربه، ولا الاستفادة منه في أكثر مواضع الحاجة.

ولعل كدورته تشي بقلته، لأن الماء النابع يتخلص من الأغيار والأكدار، ويتغلب عليها، فإذا كان الماء كدراً دل ذلك على عدم قدرته على التخلص من الأغيار، وعجزه عن التغلب عليها، فكيف إذا كان مستعاراً من آبار أخرى، فإذا حصل الماء في إحداها، خلا ما سواها منه، لأن بعضها يفرغ في بعض، وهو ينضب بأخذ القليل منه..

وذلك لأن ما عند غير أهل البيت من علوم لا يعدو كونه مجموعة لمحات يسيرة مما وصل إليهم من الحكم والشرائع السابقة، وقد اختلطت بكثير من الشبهات والأباطيل والأضاليل ولوثتها الخيالات والأوهام الفاسدة. ولا يكاد يتميز الصحيح من السقيم، والموبوء من السليم، فهم بحاجة إلى أن يستعير بعضهم من بعض، من تلك الأكدار التي لا رافد لها، وسرعان ما تنفد وتضمحل. مع قصورها الظاهر عن الوفاء بالحاجات،

ومع ضررها، وخطرها على الصحة والسلامة، بل على الوجود، وعلى الحياة.

أما علوم أهل البيت «عليهم السلام»، فهي الغاية في الصفاء والنقاء والسلامة، والطهارة، ولا نفاد لها ولا انقطاع. تجري في قلوبهم التقية، وتتفايض على أرواحهم الصافية النقية، من منابع الوحي والإلهام الرباني، وليست مشوبة بالآراء والأوهام، بل هي محض النواميس الإلهية، والأسرار الربانية.

نعرف أنصارنا بسيماهم:

١ـ وقد ذكر «عليه السلام» من يتولون الأئمة «عليهم السلام» بوصف «أنصارنا»، ولم يقل «شيعتنا»، لأن المطلوب ليس مجرد التولي والاعتقاد. بل المقرون بالعمل والممارسة، إلى حد أن يصبح المعيار: هو ما ينفع أو يضر الشخص المطلوب منه التولي، بل أن يتجاوز حدود الذات والأنا ويرقى إلى البذل والتضحية في سبيل الآخرين. وذلك بالمبادرة إلى نصرهم بمختلف الوسائل المتاحة..

٢ـ إنه «عليه السلام» قد ذكر هنا معرفة العرفاء أنصارهم بسيماهم. ولم يذكر معرفتهم لأعدائهم بسيماهم أيضاً.. مع أن الآية الشريفة أشارت إليهما معاً، فقد قال تعالى:

﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾(١)، ثم قال بعد ذلك:

(١) الآية ٤٦ من سورة الأعراف.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾(1).

فقد صرحت الآية: بأن أصحاب الأعراف يعرفون الذين جمعوا واستكبروا، وأقسموا لا ينال الله المؤمنين برحمة ـ يعرفونهم ـ بسيماهم أيضاً.. فلماذا لم يشر الإمام إليهم في الرواية المتقدمة؟!

ونجيب:

بأن المتكلم إذا كان هو رب العالمين، فهو إنما يخبر عن حقيقة ما أعطاه للعرفاء من مقامات وكرامات، والذي أعطاهم إياه هو معرفة الأنصار والأعداء على حد سواء..

ولكن حين يكون المتكلم هو العرفاء أنفسهم عن أنفسهم، فإنهم يكتفون بذكر معرفتهم بأنصارهم، لإظهار شدة اهتمامهم بهم، وإظهار أن كل همهم هو السعي لإكرامهم وإعانتهم على الوصول إلى جنان الخلد.. وأن أمرهم مقدم عندهم على كل أمر وهو من أسباب فرح الأئمة العرفاء وابتهاجهم، ولذلك لم يذكروا «عليهم السلام» أعداءهم، ولكي لا يتوهم متوهم: أن الدافع لهم هو رواسب وحزازات، وثارات شخصية، ورغبة في الانتقام لمجرد العداوة والبغض الذاتي والشخصي لهم.

---

(1) الآيتان ٤٤ و ٤٥ من سورة الأعراف.

دخول النار بإنكارهم (عليهم السلام) :

وقوله «عليه السلام»: لا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه، متوافق مع قوله «صلى الله عليه وآله»: «من مات ولم يعرف إمام وقته (زمانه) فقد مات ميتة جاهلية». وقوله «صلى الله عليه وآله»: «يحشر المرء مع من أحب».

الفصل الثالث:

سلوني قبل أن تفقدوني..

سائل آخر.. وأسئلة أخرى:

وقال «عليه السلام» في جواب سائل: أما الزوجان الذين لا بد لأحدهما من صاحبه، ولا حياة لهما، فالشمس والقمر.

وأما النور الذي ليس من الشمس، ولا من القمر، ولا النجوم ولا المصابيح، فهو عمود أرسله الله تعالى لموسى في التيه.

وأما الساعة التي ليس من الليل ولا من النهار، فهي الساعة قبل طلوع الشمس.

وأما الابن الذي أكبر من أبيه، وله ابن أكبر منه، فهو عزير بعثه الله وله أربعون سنة، ولابنه مئة وعشر سنين.

وما لا قبلة له، فالكعبة.

وما لا أب له فالمسيح.

وما لا عشيرة له، فآدم(١).

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٨٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٢٠٥ وبحار الأنوار ج١٠ ص٨٧ و ٨٨.

أخبرني عن القدر:

روي مسنداً عن الإصبع بن نباته، قال : إن أمير المؤمنين «عليه السلام» عدل من عند حائط مائل إلى حائط آخر، فقيل له: يا أمير المؤمنين أتفر من قضاء الله؟!

فقال: أفر من قضاء الله إلى قدر الله عز وجل(١)....

نوادر محمد بن علي بن محبوب كما نقل الحلي مسنداً عن الصادق «عليه السلام» قال: كان أمير المؤمنين «عليه السلام» يبرأ من القدرية في كل ركعة ويقول: بحول الله أقوم وأقعد(٢).

وفي الطرائف: روي أن الحجاج بن يوسف كتب إلى الحسن البصري، وإلى عمرو بن عبيد، وإلى واصل بن عطا، وإلى عامر الشعبي: أن يذكروا ما عندهم وما وصل إليهم في القضاء والقدر، فكتب إليه الحسن البصري: إن

---

(١) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص٨٥ والتوحيد للصدوق ص٣٦٩ وبحار الأنوار ج٥ ص١١٤ وج٤١ ص٢ ونور البراهين ج٢ ص٣٢٠ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٩ ص١٦٤ وتفسير الميزان ج١٣ ص٧٥ وج١٩ ص٩٢.

(٢) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص٨٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٦ ص٣٦٢ و ٢٨٧ و (الإسلامية) ج٤ ص٩٦٧ و ١٢٨٠ ومستطرفات السرائر ص٦٠٢ وبحار الأنوار ج٨٢ ص١٨٣ وجامع أحاديث الشيعة ج٥ ص٢٩٥.

أحسن ما انتهى إليّ ما سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» أنه قال: أتظن أن الذي نهاك دهاك؟! وإنما دهاك أسفلك وأعلاك، والله برئ من ذاك.

وكتب إليه عمرو بن عبيد: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»: لو كان الزور في الأصل محتوماً كان المزور في القصاص مظلوماً.

وكتب إليه واصل بن عطا: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»: أيدلك على الطريق ويأخذ عليك المضيق؟!

وكتب إليه الشعبي أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»: كل ما استغفرت الله منه فهو منك، وكل ما حمدت الله عليه فهو منه.

فلما وصلت كتبهم إلى الحجاج ووقف عليها قال: لقد أخذوها من عين صافية[١].

وقالوا: جاء رجل إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر.

---

(١) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص٨٥ وبحار الأنوار ج٥ ص٥٩ وكنز الفوائد للكراجكي ص١٧٠ والطرائف لابن طاووس ص٣٢٩ وبحار الأنوار ج٥ ص٥٨ وتفسير الميزان ج١ ص١٠٣.

فقال: بحر عميق فلا تلجه.

فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر.

قال: طريق مظلم فلا تسلكه.

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر.

قال: سر الله فلا تتكلفه.

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر.

قال: فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: أما إذا أبيت فإني سائلك: أخبرني أكانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد أم كانت أعمال العباد قبل رحمة الله؟!

قال: فقال له الرجل: بل كانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: قوموا فسلموا على أخيكم فقد أسلم، وقد كان كافراً.

قال: وانطلق الرجل غير بعيد ثم انصرف إليه، فقال له: يا أمير المؤمنين، أبالمشية الأولى نقوم ونقعد ونقبض ونبسط؟!

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: وإنك لبعيد في المشية؟!

أما إني سائلك عن ثلاث لا يجعل الله لك في شيء منها مخرجاً: أخبرني أخلق الله العباد كما شاء أو كما شاؤوا؟!

فقال: كما شاء.

قال: فخلق الله العباد لما شاء أو لما شاؤوا ؟!

فقال: لما شاء.

قال: يأتونه يوم القيامة كما شاء أو كما شاؤوا؟!

قال: يأتونه كما شاء.

قال: قم فليس إليك من المشية شيء[١].

ونقول:

لو عرف حده فوقف عنده:

١ ـ إن أجوبة أمير المؤمنين «عليه السلام» هذه قد حملت للسائل إشارات كان الجدير به لو تأملها أن يكف عن إلحاحه بطلب الجواب.

ويجمع هذه الإشارات كلها جامع واحد هو: أن ذلك السائل ليس من فرسان هذا الميدان، ولا هو من أهله. ومن هذه الإشارات هي التالية:

ألف: إن ذلك الرجل يتكلَّف علم هذا الأمر، أي أنه يحمل نفسه كلفة ومشقة في طلب شيء لو تعامل معه بصورة طبيعية، وبدون مشقة لم يحصل عليه، ولا يكون في متناول يده.

ب: إنه يلقي بنفسه في بحر عميق، ليس من مصلحته إلقاء نفسه فيه.

---

(١) إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص١٦٥ وكتاب التوحيد للصدوق ص٣٧٤ و ٣٧٥ و (ط جماعة المدرسين) ص٣٦٥ و ٣٦٦ وبحار الأنوار ج٥ ص١١٠ و ١١١ ونور البراهين ج٢ ص٣١٢ و ٣١٣ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٩ ص٨١ والفصول المهمة للحر العاملي ج١ ص٢٥٣ .

ج: إنه يلقي نفسه في طريق مظلم لا يبصر فيه شيئاً. ومن لا يبصر شيئاً لا يصل إلى شيء، ويخشى عليه أن تزل قدمه فيهلك.

من خصوصيات القدر:

لقد بين «عليه السلام» في أجوبته هذه خصوصيات في القدر، هي التالية:

ألف: إنه بحر، والبحر مترامي الأطراف، متلاطم الأمواج، بعيد الأغوار، مشحون بالغرائب، زاخر بالعجائب.

ب: إنه سر من الأسرار الكبرى، فلا ينبغي التعرض لكشفه، بل هو سر الله سبحانه. وهذا يؤكد: أنه سيكون عصياً على فهم الناس العاديين، ولن يصل إليه إلا الأوحدي من الأنبياء والأوصياء، بتوفيق من الله تبارك وتعالى، وتسديد منه.

ج: إنه أمر بالغ الغموض والإبهام، ولا يمكن السير فيه إلا من نوَّر الله قلبه وطريقه بنور العلم والحكمة.. وهم المخلَصون من عباده.

القدر في التكوينيات لا في الأحكام:

بالنسبة لقوله «عليه السلام»: إن رحمة الله تعالى سبقت أعمال العباد نقول:

قال في هامش كتاب البحار:

«كل واحد من آحاد الخلق محدود بحدود يتعين بها في وجوده، كالطول، والعرض، واللون، وسائر الأوصاف والروابط التي يرتبط بغيره

بواسطتها، ككون الإنسان ابن فلان، وأخا فلان، وأبا فلان، وفي زمان كذا، ومكان كذا، وهكذا.

وإذا أمعنت النظر في ذلك وجدت: أن جميع أسباب وجود الشيء ذوات دخل في حدود وجوده وسائر ما يتعلق بوجوده، وأنها هي التي يتقدر بها الشيء.

غير أن كلاً من الأسباب أيضاً يتقدر بما يتقدمه من المقدرات، ولا محالة تنتهي إليه سبحانه، فعنده تعالى حقيقة ما يقّدر به كل شيء، ويتحدد به كل أمر.

والأشياء إنما ترتبط به تعالى من جهة صفاته الفعلية التي بها ينعم عليها، ويقيم صلبها، ويدبر أمرها. كالرحمة، والرزق، والهداية، والإحياء، والحفظ، والخلق وغيرها، وما يقابلها.

فلله سبحانه من جهة صفات فعله دخل في كل شيء مخلوق، وما يتعلق به من أثر وفعل. إذ لا معنى لإثبات صفة فيه تعالى متعلقة بالأشياء وهي لا تتعلق بها.

ولذلك فإنه «عليه السلام» سأل الرجل عن تقدم صفة الرحمة على الأعمال، ولا معنى لتقدمها مع عدم ارتباطها بها، وتأثيرها فيها، فقد نظم الله الوجود بحيث تجرى فيه الرحمة، والهداية، والمثوبة والمغفرة. وكذا ما يقابلها.

ولا يوجب ذلك بطلان الاختيار في الافعال، فإن تحقق الاختيار نفسه مقدمة من مقدمات تحقق الأمر المقدر. إذ لولا الاختيار لم يتحقق طاعة ولا معصية، فلم يتحقق ثواب ولا عقاب، ولا أمر ولا نهي، ولا بعث ولا تبليغ.

ومن هنا يظهر وجه تمسك الإمام «عليه السلام» بسبق صفة الرحمة على العمل، ثم بيانه «عليه السلام»: أن لله مشية في كل شيء، وأنها لا تلغو، ولا تغلبه مشية العبد.

فالفعل لا يخطئ مشيته تعالى، ولا يوجب ذلك بطلان تأثير مشية العبد، فإن مشية العبد إحدى مقدمات تحقق ما تعلقت به مشيته تعالى، فإن شاء الفعل الذي يوجد بمشية العبد فلا بد لمشية العبد من التحقق والتأثير(١). انتهى.

ومهما يكن من أمر، فإن التكاليف والأحكام أمور اعتبارية غير تكوينية، ومورد القضاء والقدر بالمعنى الدائر هو التكوينيات. فأعمال العباد من حيث وجودها الخارجي كسائر الموجودات متعلقات القضاء والقدر، ومن حيث تعلق الأمر والنهي والاشتمال على الطاعة والمعصية أمور اعتبارية وضعية خارجة عن دائرة القضاء والقدر إلا بالمعنى الآخر الذي بينه أمير المؤمنين «عليه السلام» للرجل الشامي عند منصرفه من صفين كما في الروايات، ومحصله التكليف للمصالح تستدعى ذلك. فالقدر في الأعمال ينشأ من المصالح التي تستدعى التكليف الكذائي، والقضاء هو الحكم بالوجوب، والحرمة مثلاً بأمر أو نهى(٢).

القدرية مجوس هذه الأمة:

ولا بأس بالإلماح هنا إلى أن ثمة روايات كثيرة تذم القدرية، وأنهم

---

(١) بحار الأنوار ج٥ هامش ص١١١.

(٢) بحار الأنوار ج٥ هامش ص١١٢.

ملعونون على لسان سبعين نبياً[١]. وأنهم مجوس أمتي[٢].

---

(١) بحار الأنوار ج٥ ص٤٧ و ٦ وكتاب المجروحين لابن حبان ج١ ص٣٦٢ والطرائف لابن طاووس ص٣٤٤ والصراط المستقيم ج١ ص٣٩ وج٣ ص٦٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٦٦٢ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٤٢٩ ومجمع الزوائد ج٧ ص٢٠٤ وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٧٧ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص١٤٢ وكتاب الأربعين للنسوي ص٥١ و ٥٢ ومسند الشاميين ج١ ص٢٢٤ والجامع الصغير ج٢ ص٤١٠ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١ ص١١٩ و ١٣٥ و ١٣٦ وشرح مسند أبي حنيفة ص٢٠٢ و ٣٦٥ وفيض القدير ج٥ ص٣٥٢ وتفسير الرازي ج١٣ ص١٨٤ وكتاب المجروحين لابن حبان ج١ ص ٣٦٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٥ ص١٥٦ وج٦٧ ص١٢٤ وسير أعلام النبلاء ج٨ ص٢٨٦ وج١١ ص٤١٨ وتاريخ جرجان ص٣٥٦ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص١٥٨.

(٢) بحار الأنوار ج٥ ص٦ والمغني لابن قدامة ج٢ ص٤١٩ وكشاف القناع ج٢ ص١٤٦ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٤٢٩ وج٩ ص٣٤٠ وحديث خيثمة ص٦٧ ومجمع الزوائد ج٧ ص٢٠٧ والمعجم الأوسط ج٩ ص٩٣ ومسند الشاميين ج١ ص٣٢٢ وإفحام المخاصم ص١١١ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١ ص١٣٧ والتاريخ الكبير للبخاري ج٢ ص٣٤١ والجرح والتعديل للرازي ج٧ ص٥٢ والكامل لابن عدي ج٢ ص٢٠٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٧ ص٩٧ وج٣٧ ص٢٧٤ وج٤٥ ص٢٧٥ والموضوعات لابن

ولعل سبب ذلك: أن المجوس يقولون: بأن الإنسان مسلوب الإختيار، مجبور على أفعاله، لأنهم ينسبون الخير إلى الله، والشر إلى الشيطان، واسمهما عندهم: «يزدان وأهرمن»..

فأشبه القائلون بالجبر الإلهي المجوس في اعتقادهم الجبر الإلهي للبشير، وفي قولهم: إن الخير والشر من الله سبحانه..

ليس لك من المشية شيء:

وأما قول أمير المؤمنين في آخر الرواية المتقدمة: ليس لك من المشية شيء، فقد أراد به إبطال القول بأن للإنسان مشيئة مستقلة، لا يحتاج معها إلى عون الله وتوفيقه، فإن ذلك الرجل ـ فيما يظهر ـ بعد أن سمع جواب أمير المؤمنين «عليه السلام» انتقل من الجبر الإلهي إلى التفويض الإلهي، وادعاء أن الإنسان هو الذي يشاء أفعاله، وليس لله مشيئة فيها..

وهذا باطل أيضاً كما بينه له أمير المؤمنين «عليه السلام»..

كم شعرة في لحيتي ورأسي؟!:

روى زكريا بن يحيى القطان، عن فضيل بن الزبير، عن أبي الحكم قال: سمعت مشيختنا وعلماءنا يقولون: خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فقال في خطبته: «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني

الجوزي ج١ ص٢٧٥ وميزان الإعتدال ج١ ص٥٧٠ وج٤ ص٣٧٧ ولسان الميزان ج٢ ص٣٣٢ وج٦ ص٢٥٦.

عن فئة تضل مائة وتهدي مائة إلا نبأتكم بناعقها وسائقها إلى يوم القيامة».

فقام إليه رجل، فقال: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر.

فقام أمير المؤمنين «عليه السلام» وقال: «والله، لقد حدثني خليلي رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما سألت عنه، وإن على كل طاقة شعر في رأسك ملكاً يلعنك، وعلى كل طاقة شعر في لحيتك شيطاناً يستفزك، وإن في بيتك لسخلاً يقتل ابن رسول الله، وآية ذلك مصداق ما خبرتك به.

ولولا أن الذي سألت عنه يعسر برهانه لأخبرتك به، ولكن آية ذلك ما نبأت به عن لعنتك وسخلك الملعون».

وكان ابنه في ذلك الوقت صبياً صغيراً يحبو، فلما كان من أمر الحسين «عليه السلام» ما كان تولى قتله، وكان الأمر كما قال أمير المؤمنين «عليه السلام»[1].

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ج١ ص٣٣١ و ٣٣٢ والإحتجاج للطبرسي ج١ ص٦١٨ و ٦١٩ و (ط دار النعمان) ج١ ص٣٨٨ و ٣٨٩ وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٢٩ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص١٠٥ ومدينة المعاجز ج٢ ص١٧٢ وبحار الأنوار ج١٠ ص١٢٥ و ١٢٦ وج٣٤ ص٢٩٧ وج٤١ ص٣١٣ و ٣٣٧ وج٤٢ ص١٤٦ وج٤٤ ص٢٥٦ و ٢٥٨ والعوالم، الإمام الحسين «عليه السلام» ص١٤٣ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٢١١ ومستدركات علم رجال الحديث ج٤ ص٢٤ وإعلام الورى ج١ ص٣٤٤ وعن الأمالي للصدوق ص١١٥.

ونقول:

هذا هو سعد:

صرحت بعض الروايات: بأن الذي ألقى عليه هذا السؤال هو سعد بن أبي وقاص، وسخله هو عمر بن سعد. وفي الرواية ما يثبت صحة ذلك، حيث إن الذي قتل الإمام الحسين «عليه السلام»، هو عمر وهو سخل سعد بن أبي وقاص.

بنو بناتنا أبناؤنا:

ذكرت الرواية: أن السخل سوف يقتل ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله». مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يخلف بعده ولداً ذكراً لصلبه، بل خلَّف الزهراء وابنيها الإمامين الحسنين «عليها وعليهما السلام»، وقد نص القرآن في آية المباهلة على أن أبناء البنات مثل أبناء البنين، في بنوتهما لجدهما. كما أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد صرح ببنوتهما له، فلا يصح نفيهما عنه، بل نفي بنوَّة أبناء البنات من مخلفات الجاهلية، الذين يقولون:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

وقد تحدثنا عن هذا الموضوع بشيء من التفصيل في كتابنا: الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام».

وقلنا: إن الأمويين كانوا يسعون لإنكار بنوة الحسنين «عليهما السلام» للنبي «صلى الله عليه وآله»، ولهم في ذلك مواقف أشرنا إليها، ودللنا عليها، فراجع.

علي عليه السلام عالم بالفتن وبأهلها:

إنه «عليه السلام» لم يكتف بقوله لهم: «سلوني قبل أن تفقدوني» بحيث أبقى الأمر لهم غائماً ومبهماً، بل صرح لهم بما يعطي أنه يريد جلب أنظارهم لمعالجة أمر يعنيهم بأشخاصهم، وهو بالغ الخطورة على حياتهم ومستقبلهم، حين أشار إلى أنه عالم بالفتن وبأهلها بصورة تفصيلية، كما عرفهم بأن علمه هذا لا ينتهي عند حدود زمانه أو مكانه، ولا يقف عند أشخاص بأعيانهم.. بل هو علم له امتداداته، وتفاصيله، التي يستطيع أن يفتح عيونهم عليها في كل زمان إلى يوم القيامة..

التركيز على ما فيه نجاة:

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» قد ركز إشارته على خصوص ما يرتبط بالهدى والضلال، ولم يتعد ذلك حتى إلى الحديث عن الفتن التي تنشأ عن ضائقة إقتصادية، أو عن استفزاز عصبيات عشائرية، أو عن أنانيات طاغية أو نحو ذلك..

فإن ذلك لم يكن له كبير أهمية عنده، بل الذي كان يوليه أعظم الإهتمام هو ما يرتبط بالهداية والضلال، فإن من المهم معرفة الفتن التي لها هذه الخصوصية وسائقها وناعقها، بأشخاصهم وأسمائهم، لأن الدخول في فتن كهذه من شأنه أن يهلك الحرث والنسل، وأن يهدم الحياة، ويخطف الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة، وأعظم الخسائر خسارة الدين والمصير، حين يبوء الإنسان بغضب الله تبارك وتعالى..

ولذلك قال لهم: «سلوني قبل أن تفقدوني، فو الله لا تسألوني عن فئة تضل مئة وتهدي مئة إلا أنبأتكم بناعقها وسائقها إلى يوم القيامة..».

المحنة الكبرى:

إن هذا الحرص الظاهر منه «عليه السلام» على نجاة الناس من المهالك قد قوبل بهذا السؤال الوقح من رجل يدعي لنفسه مقاماً خاصاً!! ويرشح نفسه لخلافة الرسول «صلى الله عليه وآله»، وقد جعله عمر في الشورى التي جاءت بعثمان!!

ومن يرشح نفسه لأخطر مقام بعد مقام النبوة، كيف يستهتر إلى هذا الحد بدين الناس، وبمصيرهم ومستقبلهم في الدنيا والآخرة؟! وكيف يجيز لنفسه أن يسخر بسيد الأوصياء والأولياء، الذي يريد أن يهديهم إلى سبيل نجاتهم، وأن يمهد لهم المسالك، ويجنبهم مزالق المهالك؟!

وأية محنة كان أمير المؤمنين «عليه السلام» يتعرض لها مع هذا الرجل وأمثاله؟!

وإذا كان هذا حال وعقلية سعد، ونظائره، بما فيهم طلحة والزبير، اللذان سلَّا السيوف، وحشدا عشرات الألوف لحربه، ورموه بسهام الحتوف، وشنا عليه حرباً طاحنة، حصدت حوالي عشرين، أو ثلاثين ألفاً من الناس، رغبة بالدنيا وزبارجها وبهارجها. فما بالك بالبعداء عن التهذيب والتأديب، ممن لم يعرف من الإسلام إلا اسمه، ومن الدين إلا رسمه، وهم الهمج الرعاع، الذين لا يميزون بين الناقة والجمل، ولا يعرفون الذئب من الحمل؟!

وهل من يسأل عن عدد شعرات لحيته، يفكر بمصالح الأمة، ويتألم لحالها، ويكلف نفسه عناء التفكير بما ينفعها، ويصلحها؟! فضلاً عن أن يسهر الليالي، ويبذل الغالي والنفيس من أجل ذلك!!

لا يريد لعلي أن ينشر علمه:

ولم يكن سعد يجهل علياً، بل كان يعرف أنه قد أوتي علوم الأولين والآخرين من رب العالمين، وأنه باب مدينة علم الرسول، وإمام المؤمنين، وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم.

ولكنه أراد أن يصد علياً «عليه السلام» عن نشر علومه، لكي لا يظهر فضله في الناس، وذلك بدافع حسده له، وكان سعد حسوداً(١).

جواب علي عليه السلام لكسر غرور سعد:

١ ـ إن هذا التصرف الأرعن من سعد كان يحتاج إلى صدمة صادقة، لو لم تُعِد ذلك الرجل إلى التوازن، فإنها تعرِّف الناس به، ليتخذوا هم قرارهم في طريقة التعامل مع هذا النوع من الناس.

٢ ـ وقد ظهر: أن القول الذي كان قد سمعه «عليه السلام» من

(١) راجع: قاموس الرجال ج٥ ترجمة سعد بن أبي وقاص، والمعيار والموازنة ص١٠٨ والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج١ ص٥٣ و (تحقيق الشيري) ج١ ص٧٣ والأمالي للطوسي ص٧١٦ وبحار الأنوار ج٣٢ ص٧٠ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٢٧ .

الرسول «صلى الله عليه وآله» عن [سخل] سعد، كان المقصود به: كسر غرور سعد في مثل هذا الموقف الوقح منه، وأن يكون سبيل هداية للأمة حين تقع في ظلمات الشبهات والأضاليل.

٣ ـ إن الحديث الذي أورده «عليه السلام» لسعد يمس رسول الله «صلى الله عليه وآله» مباشرة، وهو يبين مدى الفجوة بين بيت سعد، وسعد ركن أساسي فيه، وبين بيت الرسول الذي كان علي وأبناؤه من مكوناته الأساسية أيضاً..

٤ ـ إنه «عليه السلام» قد بين للناس أن باطن بيت سعد ليس كظاهره فيما يبدو لهم، بل هو بيت يتحدث رسول الله «صلى الله عليه وآله» فضلاً عن علي «عليه السلام» عن أجوائه السلبية.

وهو «عليه السلام» يقول: إن الأمور المستترة في هذا البيت سوف تظهر في المستقبل، وسيرى الناس مصداق أقوال الرسول «صلى الله عليه وآله» فيه..

وذلك يعني: أن هذا الذي صدر من سعد ليس غريباً عنه، ولا كان نزوة عارضة، بل هذه هي روحياته، وهذه هي دخيلته، وحقيقة مكنونات ضميره..

٥ ـ وقد جعل «عليه السلام» هذا الإخبار الغيبي الذي سيمضي عشرون سنة على تحققه دليلاً على صدق ما نقله عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حق سعد، من أن عند كل شعرة في لحيته ورأسه ملكاً يلعنه، أو شيطاناً يغويه.. ليكون ذلك حجة على من سيعيش إلى حين استشهاد

الإمام الحسين «عليه السلام». ثم ليكون منارة هداية للأجيال الآتية فيما يرتبط بما يجري على سبط الرسول وصحبه، وفيما يرتبط بسعد، وبابن سعد.. وسواهما ممن هم في خطهما..

علي عليه السلام عالم بعدد الشعرات:

وقد دل آخر كلامه «عليه السلام» عن أنه لولا عسر إثبات عدد الشعرات في رأس سعد ولحيته، لأخبره بعددها.. على معرفته «عليه السلام» بعددها.. ولكنها ستكون إجابة مثيرة للجدل، وسبيلاً للمكابرة.. ولن تنتفع الأمة بشيء من ذلك، ويتحقق بذلك مراد سعد. فعدل «عليه السلام» إلى ما هو أجدى وأنفع، فذكر له قول الرسول «صلى الله عليه وآله» فيه وفي ولده على النحو الذي تقدم.

علي عليه السلام خليل رسول الله صلى الله عليه وآله:

وقوله «عليه السلام»: حدثني خليلي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يدل على أن له «عليه السلام» مقام الخلة للرسول «صلى الله عليه وآله»، وقد سرقوه منه ليتصدقوا به على غيره.

وقد أثبتنا في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ما يفيد في بيان هذا الأمر، فراجع الجزء الذي ذكرنا فيه المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وذلك بعد الهجرة إلى المدينة.

سلوني قبل أن تفقدوني:

قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: «أيها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني،

فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض، قبل أن تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها، وتذهب بأحلام قومها(١).

ونقول:

توضيحات:

١ ـ قال ابن عبد البر في الإستيعاب(٢) وغيره: أجمع الناس كلهم على أنه لم يقل أحد من الصحابة ولا أحد من العلماء هذا الكلام.

٢ ـ وقال ابن ميثم: كنى بشغر رجلها عن خلو تلك الفتنة من مدبر.

---

(١) نهج البلاغة (بشح عبده) ج٢ ص١٣٠ وبحار الأنوار ج١٠ ص١٢٨ وج٦٦ ص٢٢٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص١٠١ وينابيع المودة ج١ ص٢٠٨ وج٣ ص٤٥٢ والتحفة العسجدية ص١٤٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٧ ص٦١٨.

(٢) قال ابن عبد البر في الإستيعاب ج٣ ص٣٩ و (ط دار الجيل) ج٣ ص١١٠٣: قال: أحمد بن زهير: وأخبرنا إبراهيم بن بشار قال: حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب قال: ما كان من الناس يقول: سلوني غير علي بن أبي طالب. وراجع: مناقب آل أبي طالب ج١ ص٣١٨ والصراط المستقيم ج١ ص٢١٧ وجامع بيان العلم ج١ ص١١٤ والإكمال في أسماء الرجال ص١٢٨ وتاريخ ابن معين ج١ ص١٠٦ وأسد الغابة ج٤ ص٢٢ والوافي بالوفيات ج٢١ ص١٧٩ والمناقب للخوارزمي ص٩٠ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٨٩.

ثم نقل عن ابن الأثير قوله: ومنه حديث علي «عليه السلام»: قبل أن تشغر برجلها فتنة.

٣ ـ وقوله «عليه السلام»: «تطأ في خطامها» قال ابن ميثم: إستعارة بوصف الناقة التي أرسلت خطامها، وخلت عن القائد في طريقها، فهي تخبط وتعثر، وتطأ من لقيت من الناس على غير نظام من حالها، وتذهب بأحلام قومها.

قال بعض الشارحين: أي يتحير أهل زمانها، فلا يهتدون إلى طريق التخلص عنها، ويحتمل أن يريد أنهم يأتون إليها سراعاً رغبةً ورهبةً، من غير معرفة بكونها فتنة[١].

هل يجهل علي عليه السلام طرق الأرض؟!:

ويستوقفنا قوله «عليه السلام»: لأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض، فهل يعقل أن يكون «عليه السلام» يجهل بعض طرق الأرض؟! وهل للسماء طرق؟! وبأي معنى؟! فكيف يدير شؤون الأرض وساكنيها، ويضطلع بإمامة أهلها، ويهمن على الأمور فيها؟!

ونجيب بما يلي:

إنه «عليه السلام» «أعلم» ولم يقل «أعرف»، لأن العلم غير المعرفة، فإن المعرفة تعني الوصول الحسي للمعلوم. ولازم هذا أن يكون متعلقها المصاديق والجزئيات، لأن الكليات إنما تنال بالحدس الذي ينشأ من

(١) بحار الأنوار ج١٠ ص١٢٩ وج٤٣ ص١٢٨ و ١٢٩.

ملاحظة مجموعة من المصاديق والجزئيات، ثم الانتقال منها إلى الجامع الكلي بينها، ويكون هو عقد نظامها.

ثم إنه لا يجب استحضار صور جميع المصاديق، كل مصداق على حدة بصورة تفصيلية، فمن يكون مسؤولاً عن بلد أو مدينة أو فرقةجيش مثلاً، يمكن أن يتصور تفاصيل أمورها من طرق ومسالك ومساحات عمران وغير ذلك. ويمكن أن يلتقط لها صورة جامعة.

كما أنه لو كان لديه ألف شاة مثلاً، فيمكنه: أن يتعرف على أشكالها وألوانها وأحجامها ويستحضرها في ذهنه بصورة تفصيلية، بحيث تكون نصب عينيه. ويمكنه أن يلتقط لها صورة جامعة، ثم يودع هذه الصورة في ذهنه لوقت الحاجة، فإن احتاج إليها أحضرها، وأعاد النظر فيها، ودل على ما يحتاج الدلالة عليه، وأشار إلى ما ينبغي الإشارة إليه..

وبعض الأمور التي يواجهها الإنسان يجب أن تكون دائمة الحضور لديه. وإلا لوقع في المحذور، فيجب مثلاً: أن يكون الإنسان مراقباً لله تعالى في جميع أحواله، وأن يكون فانياً فيه بكل وجوده كل لحظةٍ لحظة من لحظات وجوده والطرق إليه يجب أن تكون محط نظره باستمرار، فلا يغفل عنها، فإن الغفلة تعني الانقطاع عنها، والإنقطاع عنها انقطاع عن الله..

ولكن لا يجب استحضار ألوان وأحجام، وأشكال الألف شاة، كما لا يجب استحضار أشكال وأحجام وألوان وأعداد كل حبات الرمل الربع الخالي وكل حفنة رمل توجد في أي بقعة من الأرض. إلا إذا احتاج إلى العلم بها لتأييد مقام الإمامة، وصيانته وحفظه في العقول والقلوب.. أو

احتاج إلى ذلك للقيام بالمسؤوليات الموكلة إليه في هذه الحياة، من حيث هو إمام وحافظ ومسؤول عن كل شيء حتى عن البقاع والبهائم. وعن الشجر والحجر، وغير ذلك مما هو معني به، وإن كنا لا نعرف الكثير عن حدوده وتفاصيله..

وبعدما تقدم نقول:

إن ملاحظة الروايات يعطي: أنه «عليه السلام» كان أحياناً يقول: فإني بطرق السماء أخبر منكم بطرق الأرض(١) حين يكون المطلوب هو تصور الجزئيات والمصاديق والتفاصيل الصغيرة والكبيرة..

وأحياناً يقول: فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض(٢).

---

(١) خاتمة المستدرك ج٣ ص٩٦ وغرر الحكم ودرر الكلم ج١ ص٣٩٧ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٢ ص٣٤٦ وكتاب سليم بن قيس ص٢٥٦ وعيون الحكم والمواعظ ص٢٨٥ وبحار الأنوار ج٣٤ ص٢٥٩ وج٥٢ ص٢٧٢ وج٥٣ ص٨١ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٩٩ وج٨ ص٥٩ وموسوعة أحاديث أهل البيت ج٣ ص٣٣٢ ونهج السعادة ج٧ ص٣٢ و ١٤٧.

(٢) نهج البلاغة (بشح عبده) ج٢ ص١٣٠ وبحار الأنوار ج١٠ ص١٢٨ وج٣٠ ص٦٧٠ وج٣٤ ص٢٥٩ وج٥٣ ص٨١ وج٥٢ ص٢٧٢ وج٦٦ ص٢٢٧ وج٦٩ ص٢٢٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص١٠١ وينابيع المودة ج١ ص٢٠٨ وج٣ ص٤٥٢ والتحفة العسجدية ص١٤٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٧ ص٦١٨ وطرق حديث الأئمة الإثنا عشر ص٩٠

وأحياناً يقول: «أخبر»[1] الذي قد يقال: إنه يتلاءم معهما، ويصلح جامعاً لهما وبينهما.

يريد تحصينهم من الفتن:

قد أظهر هذا النص: أنه «عليه السلام» إنما كان يريد من الناس أن يسألوه، لا لمجرد أن يظهر لهم علمه، ويثبت لهم إمامته، بل لأنه يخشى عليهم بالفعل من خطر هائل، ويريد منهم أن يعدوا العدة لمواجهته، وهو خطر الفتنة التي تتربص بهم، والتي تخبط خبط عشواء، وتطيش لهولها الألباب، وتذهب بالأحلام.

يقطع سبع مئة فرسخ لأجل سبع كلمات:

قيل: جاء رجل إلى مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقال: جئتك من سبع مئة فرسخ لأسألك عن سبع كلمات.

وراجع: مختصر بصائر الدرجات ص١٩٨ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٢ ص١٥٥ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٤٢٤.

(١) بحار الأنوار ج٤٠ ص١٥٣ وغرر الحكم ودرر الكلم لآمدي (ط سنة ١٤٢٧ هـ ق) ص٤٠٣ وخاتمة المستدرك ج٣ ص٩٦ وعيون الحكم والمواعظ ص٢٨٥ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٣١٨ والصراط المستقيم ج١ ص٢١٦ ونهج الإيمان ص٢٧١ ونهج الحق وكشف الصدق ص٣٤٦ وإحقاق الحق (الأصل) ص٢٩١.

فقال: سل ما شئت.

فقال الرجل: أي شيء أعظم من السماء؟!

وأي شيء أوسع من الأرض؟!

وأي شيء أضعف من اليتيم؟!

وأي شيء أحر من النار؟!

وأي شيء أبرد من الزمهرير؟!

وأي شيء أغنى من البحر؟!

وأي شيء أقسى من الحجر؟!

قال «عليه السلام»: البهتان على البريء أعظم من السماء.

والحق أوسع من الأرض.

ونمائم الوشاة أضعف من اليتيم.

والحرص أحر من النار.

وحاجتك إلى البخيل أبرد من الزمهرير.

والبدن القانع أغنى من البحر.

وقلب الكافر أقسى من الحجر(١).

---

(١) بحار الأنوار ج٧٥ ص٣١ وجامع الأخبار ص٣٨٣ فصل ٩٦ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٤٤١ ومعارج اليقين للسبزواري ص٣٨٣.

وثمة نص آخر:

هذا، وقد رويت هذه الأسئلة والأجوبة في مصادر أخرى، فعن ماجيلويه، عن العطار، عن محمد بن أحمد، عن أبي عبد الله الرازي عن سجادة ـ واسمه الحسن بن علي بن أبي عثمان ـ عن محمد بن أبي حمزة، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله، قال:

تبع حكيم حكيماً سبع مئة فرسخ في سبع كلمات، فلما لحق به، قال له: يا هذا، ما أرفع من السماء، وأوسع من الأرض، وأغنى من البحر، وأقسى من الحجر، وأشد حرارة من النار، وأشد برداً من الزمهرير، وأثقل من الجبال الراسيات؟!

فقال له: يا هذا، الحق أرفع من السماء، والعدل أوسع من الأرض، وغنى النفس أغنى من البحر، وقلب الكافر أقسى من الحجر. والحريص الجشع أشد حرارة من النار، واليأس من روح الله أشد برداً من الزمهرير. والبهتان على البريء أثقل من الجبال الراسيات[1].

---

(١) الخصال (ط سنة ١٣٢٤ هـ. ومؤسسة النشر الإسلامي) ج٢ ص٣٨٢ و (في طبعة سنة ١٤٠٣) ص٣٤٨ وبحار الأنوار ج٧٥ ص٤٤٧ و ١٩٠ و ٤٤٧ وفي ص٤٥٤ عن سعد بن عبد الله، مرفوعاً، غير أنه قال: تبع حكيم حكيماً تسع مئة فرسخ، وأمالي الصدوق، المجلس ٤٣ ص١٤٨ و (ط مؤسسة البعثة سنة ١٤١٧هـ) ص٣١٧ وعن الغايات للشيخ جعفر بن أحمد القمي ص٩٥ ومعاني الأخبار ج١ ص١٧٧. وراجع الاختصاص للمفيد ص٢٤٧

ونقول:

١ ـ إننا لا نحتاج إلى إغداق شآبيب المدح والثناء على هذا السائل العاقل الرشيد، فإن نفس قطعه هذه المسافات الشاسعة: (سبع مئة أو تسع مئة فرسخ) لأجل سبعة مسائل يدل على حبه للعلم، ومعرفته بقيمته، وبأهله الحقيقيين..

٢ ـ إن الأسئلة التي طرحها السائل ليست للتعجيز، وإظهار القدرة، بل هي أسئلة عملية، زاخرة بالحياة، مفعمة بالعطاء، غنية بالخير، مشرقة بنور الهدى..

٣ ـ ولعل هذه الروايات تحكي لنا واقعة واحدة، فإن الأسئلة وأجوبتها شديدة التقارب، وربما تكون قد حصلت مع أمير المؤمنين «عليه السلام» كما صرح به النص المذكور أولاً. مع ملاحظة أمرين:

أحدهما: أن الناس كانوا يتحاشون التصريح باسم علي «عليه السلام» خوفاً من الملاحقة والعقوبة، أو كرهاً وحسداً، فلا زلت إلى أيامنا هذه تسمع البعض ينقل كلام أمير المؤمنين «عليه السلام» ولا يصرح باسمه، بل يقول: قال بعض الحكماء، أو روي عن بعض الحكماء.

ومستدرك الوسائل ج١٢ ص٥٩ وجامع أحاديث الشيعة ج١٤ ص٣٠ وج١٦ ص٣٤٣ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٥٧ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٢ ص٩٠ وج٧ ص١١٦ وج١٢ ص٢٨٢ وفيض القدير ج١ ص١٤٩.

الثاني: أن التعبير عن أمير المؤمنين «عليه السلام» بالحكيم ليس فيه غضاضة فإنه «عليه السلام» رأس الحكماء وسيدهم.

٤ ـ يبدو: أن ثمة تصحيفاً لكلمتي سبع وتسع، لأنهما متشابهتان في الرسم، وعدم الاهتمام بنقط الكلمات في السابق.

٥ ـ إن تعبير النص الثاني عن التابع السائل بالحكيم يدل أيضاً على أنه لم يكن رجلاً عادياً، بل كان يعرف قيمة العلم وأهله، لأنه كان من أهله..

سل وإن كانت أربعين:

جاء رجل إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» فقال: جئتك لأسألك عن أربعة مسائل.

فقال «عليه السلام»: «سل وإن كانت أربعين».

فقال: أخبرني ما الصعب وما الأصعب؟!

وما القريب وما الأقرب؟!

وما العجب وما الأعجب؟!

وما الواجب وما الأوجب؟!

فقال «عليه السلام»: «الصعب هو المعصية، والأصعب فوت ثوابها.

والقريب كل ما هو آت، والأقرب هو الموت.

والعجب هو الدنيا، وغفلتنا فيها أعجب.

والواجب هو التوبة، وترك الذنوب هو الأوجب»(١).

ونقول:

هذا النص واضح المعاني، ظاهر المباني، غير أننا نذكر القارئ بأمرين:

أولهما: أنه «عليه السلام» يضع سائله أمام حقيقة: أنه هو «عليه السلام» المرجعية العلمية القادرة على تقديم الأجوبة الصحيحة والصريحة في كل ما يهم الناس معرفته، وأنه لا يحرجه سؤال، ولا تهمه كثرة الأسئلة، ولا نوعها، ولا مستوى الإبهام أو الدقة فيها..

ثانيهما: إن أسئلة ذلك الرجل، جاءت على درجة كبيرة من الغموض والإبهام، حيث لا يمكن تحديد وجهتها، ولا معرفة المجالات التي انطلقت منها، ولا مجال للتكهن بها..

وهذا يجعل أجوبتها عرضةً للإنكار، والنقض بسهولة.. ولكن ذلك لم يحصل، فقد رأينا: أن السائل قد استسلم للأجوبة، ولم يستطع أن يسجل عليها أي تحفظ..

ولعل السب في ذلك: أحد أمرين، لم يمنع افتراقهما وتمايزهما من اجتماعهما أيضاً حين تتوافر الدواعي، وتتوافق الأغراض لهذا الجمع..

الأمر الأول: أن يكون «عليه السلام» قد استطاع أن يلامس ما كان يدور في خلد ذلك السائل، ويكشف عنها بأدق بيان، وأوضح عبارة.

الأمر الثاني: أنه «عليه السلام» قد وضع السائل أمام واقع جديد لم يجد

(١) جامع الأخبار ص٣٨٢ و ٣٨٣ وبحار الأنوار ج٧٥ ص٣١.

سبيلاً للهروب منه، حين نقله من عالم الأوهام والأباطيل ليواجه حقائق التكوين، وواقع الحياة الذي يتلمسه بعقله، ووجدانه، وفطرته، وبكل وجوده. ولا يمكنه الهروب من أي من هذين الأمرين، فلن يستطيع أحد مقاومة ما تقضي به الفطرة، ويحكم به العقل، ويرضاه الوجدان فيما يرتبط بصحة العلاقة بالله تعالى، القائمة على أساس عبودية الخلق وطاعتهم له تعالى. والحذر من معصيته، ولزوم التراجع والتوبة عن كل ما يدخل في هذا السياق.

كما أن أحداً لا يستطيع أن يتنكر للموت القاهر للعباد، ولا الهروب منه. وليكن الموت هو الراصد والحافظ الأمين للإنسان من الانزلاق إلى هوة الغفلة في حب الدنيا، والضياع في متاهات الشهوات..

أنت الكريم، والعالم، والطبيب:

وقالوا: لما مات عثمان بن عفان جلس أمير المؤمنين «عليه السلام» مقامه، فجاءه أعرابي وقال: يا أمير المؤمنين، إني مأخوذ بثلاث علل: علة النفس، وعلة الفقر، وعلة الجهل.

فأجاب أمير المؤمنين «عليه السلام» وقال: «يا أخا العرب، علة النفس تعرض على الطبيب، وعلة الجهل تعرض على العالم، وعلة الفقر تعرض على الكريم».

فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين، أنت الكريم، وأنت العالم، وأنت الطبيب.

فأمر أمير المؤمنين «عليه السلام» بأن يعطى له من بيت المال ثلاثة آلاف درهم، وقال: «تنفق ألفاً بعلة النفس، وألفاً بعلة الجهل، وألفاً بعلة

الفقر»[١].

ونقول:

١ ـ لسنا بحاجة إلى التأكيد على جامعية علي «عليه السلام» للعلوم على اختلافها، ولكل مزايا الخير في أعلى وأشرف مراتبها. وقد بينت هذه الرواية أن هذا الأمر كان هو المرتكز في أذهان الناس على اختلافهم، في الثقافات والأحوال والاتجاهات، من أهل الحضر كانوا أم من أهل الوبر..

٢ ـ قد رأى هذا الأعرابي أن أمير المؤمنين قد جمع هذه المزايا الثلاث: العالم، والطبيب والكريم. وقد صدق «عليه السلام» القول بالفعل. حيث منحه ألف درهم، ليعالج بها فقره، وألفاً ليعالج بها جهله، وألفاً ليعالج بها نفسه.

٣ ـ لعل المقصود بعلاج النفس: إما تهيئة ما يكفها عن محارم الله سبحانه وتعالى، بتهيئة ما يكون به تلبية رغباتها بالطرق المحللة، والمشروعة ـ فإن كان بحاجة إلى الزواج تزوج، أو بحاجة إلى سفر للقاء من ينصحه، ويدله على مكارم الأخلاق.. هيأ له ما يعينه على ذلك..

أو تهيئة وسائل الشفاء من أمراض جسدية، من خلال دلالة أطباء الأبدان على ما ينفعه في ذلك.

وربما يكون المقصود هو ما يشمل هذا أو ذاك.

---

(١) جامع الأخبار ص٣٨٣ و ٣٨٤ وبحار الأنوار ج٤١ ص٤٣.

الفصل الرابع:
أسئلة ذعلب..

أسئلة ذعلب:

حدثنا الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى ابن بابويه القمي، قال: حدثنا أحمد بن الحسن القطان وعلي بن أحمد بن موسى الدقاق، ومحمد بن أحمد السناني، قالوا: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى بن زكريا القطان، قال: حدثنا محمد بن العباس، قال: حدثني محمد بن أبي السري، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، عن سعد بن طريف الكناني، عن الأصبغ بن نباتة، قال:

لما جلس علي «عليه السلام» في الخلافة وبايعه الناس، خرج إلى المسجد متعمماً بعمامة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لابساً بردة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، منتعلاً نعل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، متقلداً سيف رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فصعد المنبر، فجلس عليه متمكناً، ثم شبك بيَّن أصابعه، فوضعها أسفل بطنه، ثم قال:

يا معشر الناس، سلوني قبل أن تفقدوني. هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، هذا ما زقني رسول الله «صلى الله عليه وآله» زقاً زقاً.

سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثنيت لي وسادة، فجلست عليها، لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة، فتقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الإنجيل، فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في.

وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً، فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه؟! ولولا آية في كتاب الله عز وجل لأخبرتكم بما كان وبما يكون، وبما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية: ﴿**يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾(١).

ثم قال: «عليه السلام»: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو سألتموني عن أية آية، في ليل أنزلت، أو في نهار أنزلت، مكيها ومدنيها، سفريها وحضريها، ناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها، إلا أخبرتكم.

فقام إليه رجل يقال له ذعلب، وكان ذرب اللسان، بليغاً في الخطب، شجاع القلب، فقال: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة، لأخجلنه اليوم لكم في مسألتي إياه.

فقال: يا أمير المؤمنين، هل رأيت ربك؟!

---

(١) الآية ٣٩ من سورة الرعد.

فقال: ويلك يا ذعلب لم أكن بالذي أعبد رباً لم أره.

قال: فكيف رأيته؟! صفه لنا.

قال: ويلك! لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان، ويلك يا ذعلب، إن ربي لا يوصف بالبعد ولا بالحركة ولا بالسكون، ولا بقيام ـ قيام انتصاب ـ ولا بجيئة ولا بذهاب، لطيف اللطافة لا يوصف باللطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعِظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالرقة، مؤمن لا بعبادة، مدرك لا بمجسة، قائل لا بلفظ، هو في الأشياء على غير ممازجة، خارج منها على غير مباينة، فوق كل شيء ولا يقال شيء فوقه، أمام كل شيء ولا يقال له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، وخارج منها لا كشيء من شيء خارج.

فخر ذعلب مغشياً عليه، ثم قال: تالله ما سمعت بمثل هذا الجواب، والله لا عدت إلى مثلها.

ثم قال «عليه السلام»: سلوني قبل أن تفقدوني.

فقام إليه الأشعث بن قيس، فقال: يا أمير المؤمنين، كيف تؤخذ من المجوس الجزية ولم ينزل عليهم كتاب، ولم يبعث إليهم نبي؟!

فقال: بلى يا أشعث، قد أنزل الله عليهم كتاباً، وبعث إليهم نبياً، وكان لهم ملك سكر ذات ليلة، فدعا بابنته إلى فراشه فارتكبها، فلما أصبح تسامع به قومه، فاجتمعوا إلى بابه، فقالوا: أيها الملك، دنست علينا ديننا فأهلكته، فاخرج نطهرك ونقم عليك الحد.

فقال لهم: اجتمعوا واسمعوا كلامي، فإن يكن لي مخرج مما ارتكبت وإلا فشأنكم.

فاجتمعوا، فقال لهم: هل علمتم أن الله عز وجل لم يخلق خلقاً أكرم عليه من أبينا آدم وأمنا حواء؟!

قالوا: صدقت أيها الملك.

قال: أفليس قد زوج بنيه من بناته، وبناته من بنيه؟!

قالوا: صدقت، هذا هو الدين، فتعاقدوا على ذلك، فمحا الله ما في صدورهم من العلم، ورفع عنهم الكتاب، فهم الكفرة، يدخلون النار بلا حساب، والمنافقون أشد حالاً منهم.

فقال الأشعث: والله ما سمعت بمثل هذا الجواب، والله لا عدت إلى مثلها أبدا.

ثم قال «عليه السلام»: سلوني قبل أن تفقدوني.

فقام إليه رجل من أقصى المسجد، متوكئاً على عكازة، فلم يزل يتخطى الناس حتى دنا منه فقال: يا أمير المؤمنين، دلني على عمل إذا أنا عملته نجاني الله من النار.

فقال له: اسمع يا هذا، ثم افهم، ثم استيقن، قامت الدنيا بثلاثة: بعالم ناطق مستعمل لعلمه، وبغني لا يبخل بماله على أهل دين الله عز وجل، وبفقير صابر، فإذا كتم العالم علمه، وبخل الغني، ولم يصبر الفقير، فعندها الويل والثبور، وعندها يعرف العارفون بالله أن الدار قد رجعت إلى بدئها، أي إلى الكفر بعد الايمان.

أيها السائل، فلا تغترن بكثرة المساجد، وجماعة أقوام أجسادهم مجتمعة وقلوبهم شتى.

أيها الناس، إنما الناس ثلاثة: زاهد، وراغب، وصابر.

فأما الزاهد فلا يفرح بشيء من الدنيا أتاه، ولا يحزن على شيء منها فاته.

وأما الصابر فيتمناها بقلبه، فإن أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه، لما يعلم من سوء عاقبتها.

وأما الراغب فلا يبالي من حل أصابها أم من حرام.

قال: يا أمير المؤمنين، فما علامة المؤمن في ذلك الزمان؟!

قال: ينظر إلى ما أوجب الله عليه من حق فيتولاه، وينظر إلى ما خالفه فيتبرأ منه وإن كان حبيباً قريباً.

قال: صدقت والله يا أمير المؤمنين.

ثم غاب الرجل فلم نره، وطلبه الناس فلم يجدوه.

فتبسم علي «عليه السلام» على المنبر ثم قال: ما لكم، هذا أخي الخضر «عليه السلام».

ثم قال «عليه السلام»: سلوني قبل أن تفقدوني. فلم يقم إليه أحد.

فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه «صلى الله عليه وآله»، ثم قال للحسن «عليه السلام»: يا حسن، قم فاصعد المنبر، فتكلم بكلام لا تجهلك قريش من بعدي، فيقولون: إن الحسن لا يحسن شيئاً.

قال الحسن «عليه السلام»: يا أبه، كيف أصعد وأتكلم وأنت في الناس

تسمع وترى؟!

قال: بأبي وأمي، أواري نفسي عنك، وأسمع وأرى ولا تراني.

فصعد الحسن «عليه السلام» المنبر، فحمد الله بمحامد بليغة شريفة، وصلى على النبي وآله صلاة موجزة، ثم قال: أيها الناس، سمعت جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها، وهل تدخل المدينة إلا من بابها.

ثم نزل، فوثب إليه علي «عليه السلام» فتحمله، وضمه إلى صدره.

ثم قال للحسين «عليه السلام»: يا بني، قم فاصعد فتكلم بكلام لا تجهلك قريش من بعدي، فيقولون: إن الحسين بن علي لا يبصر شيئا!، وليكن كلامك تبعاً لكلام أخيك.

فصعد الحسين «عليه السلام»، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه وآله صلاة موجزة، ثم قال: معاشر الناس، سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يقول: إن علياً مدينة هدى، فمن دخلها نجا، ومن تخلف عنها هلك.

فوثب علي «عليه السلام» فضمه إلى صدره وقبله، ثم قال:

معاشر الناس، اشهدوا أنهما فرخا رسول الله «صلى الله عليه وآله» ووديعته التي استودعنيها، وأنا استودعكموها.

معاشر الناس، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» سائلكم عنهما(١).

---

(١) الأمالي للصدوق ص٤٢٢ ـ ٤٢٥ و (ط أخرى) ص٢٨٠ والتوحيد للصدوق

ونقول:

لا بأس بملاحظة الأمور التالية:

للتوضيح فقط:

١ ـ عبارة: لو ثنيت لي الوسادة: كناية عن الإستيلاء على الأمر والتمكن منه.

٢ ـ قال العلامة المجلسي «رحمه الله» عن إفتاء أهل الكتاب بكتبهم: «ويحتمل أن يكون المراد به: بيان أنه في كتابهم هكذا، لا الحكم بالعمل به، أو أريد به الإفتاء فيما وافق شرع الإسلام، وإلزام الحجة عليهم فيما ينكرونه من أصول دين الإسلام وفروعه»(١).

٣ ـ قال العلامة المجلسي أيضاً: «قوله «عليه السلام»: «والمنافقون أشد

ص٣٠٤ ـ ٣٠٨ وراجع ص١٠٩ وبحار الأنوار ج١٠ ص١١٧ ـ ١٢١ وراجع ج٤ ص٩٧ و ٣٢ ونور البراهين للجزائري ج٢ ص١٤٤ ـ ١٥٦ وشجرة طوبى ج١ ص١٨٨ ـ ١٩٠ وروضة الواعظين ص١١٨ ومستدرك الوسائل ج١١ ص١٠١ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٢ ص١٣٥ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص٣٥٢ ـ ٣٥٥ وغاية المرام ج٥ ص٢٤٠ ـ ٢٤٢ وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري ص٨٩ ـ ٩١. وفي الاحتجاج ج١ ص٦٠٩ ـ ٦١٢ وراجع ص٤٩٣ والاختصاص ص٢٣٠ وعن الارشاد ص٢٣ و ١٢٠.

(١) بحار الأنوار ج١٠ ص١٢١.

حالاً منهم» تعريض بالسائل لأنه كان منهم»[١].

علي عليه السلام يمثل الرسول صلى الله عليه وآله:

ذكرت الرواية السابقة: أن علياً «عليه السلام» لما بويع خرج إلى المسجد متعمماً بعمامة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لابساً بردته، منتعلاً نعله، متقلداً سيفه، فصعد المنبر وقال: سلوني قبل أن تفقدوني.

ونقول:

إن ثمة مواضع عديدة فعل فيها علي وولده وأحفاده «عليهم السلام» مثل ذلك.

وهذا منه ومنهم «عليهم السلام»، إنما هو ليفهموا الناس أنهم دون سواهم يمثلون رسول الله «صلى الله عليه وآله» شكلاً ومضموناً.

فهو حين يعتم بعمامة الرسول «صلى الله عليه وآله» يشير لهم إلى أنه يحمل شعاره، ويرث زعامته وسؤدده، لأن العمائم بمثابة التيجان، التي تشير إلى السيادة والزعامة، والعزة والكرامة.

وحين ينتعل نعله، يشير إلى أنه هو الذي يتأثر خطى الرسول «صلى الله عليه وآله»، ويسير على نهجه، ويتبع أثره..

وإذا تردى ببردته فكأنه يقول لهم: إن رداء الرسول «صلى الله عليه وآله» إذا كان هو الإسلام، وسيكون الإسلام رداءه أيضاً. الذي يغطي

---

(١) نفس المصدر.

ويهيمن على جميع أجزاء ومساحات وجوده، ويشتمل عليها، فلا تشذ عنه، ولا تتنكر له.

وحين يجلس متمكناً على المنبر، يشيرإلى أنه إذا تمكن من أمر الخلافة، ووجد الأعوان على إصلاح الأمور التي تمثل بالتشبيك بين الأصابع، فإنه سيقيم دين الله سبحانه، وسيحمي عباد الله بهذا السيف الذي هو سيف رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسيف الرسول هو سيف الله، وسيف الإسلام.. ولماذا لا يكون المجاهد القوي، والمضحي السخي، والصادق والمدافع، والمكافح عن نهج الرسول «صلى الله عليه وآله»، وعن حرمة الدين وأهله، تماماً كما ناضل وجاهد وضحى ودافع في جميع أدوار حياته.

وإذا قال لهم: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنما يؤكد لهم أنه وحده الذي يحيط بكل ما يحتاجون إليه مما فيه صلاح دنياهم وآخرتهم.

وهو يؤكد: على أن من واجبهم أن يسعوا إلى نيل المعارف التي يحتاجونها، وأن يبادروا إلى السؤال عن كل ما يهمهم في دنياهم وآخرتهم، وأنهم إن قصروا في ذلك، فاللوم يقع عليهم.

ثم هو يشير إلى أن فقدانهم إياه نقصان حظ، وخسارة لهم.

ثم أوضح لهم: أنه هو سفط العلم، وأنه نفس الرسول «صلى الله عليه وآله»، حتى إن لعابه «عليه السلام» هولعاب الرسول «صلى الله عليه وآله». فإذا كان الصحابة يلتمسون البركة من لعاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فما أحراهم أن يلتمسوا البركة في لعاب علي «عليه السلام»، فإنه مثله في الخصوصيات والآثار المادية والمعنوية.

ثم وصف «عليه السلام» لهم ما عنده من علوم، وبين لهم مجالاتها، وامتداداتها، وتنوعها، وشمولها.. واشار إلى شدة مطابقتها للحقيقة.

ثم قرر لهم: أنه «عليه السلام» يعلم بما كان ويكون إلى يوم القيامة.

ويكون بذلك قد محضهم النصيحة، حين أكد لهم إمامته الواقعية، التي منحه الله ورسوله إياها، وأكد أن الإمامة في ولده، في الحسن «عليه السلام» أولاً، ثم في الحسين «عليه السلام» ثانياً. وأبطل إمامة اسلافه ومن يأتي بعده من غير الأئمة من ولده «عليهم السلام»، لأنهم يفقدون هذه الخصوصيات كلها.

وقد ذكرت الرواية: أن ملك المجوس قد برر ارتكابه جريمة الزنا بابنته في حال سكره: بأن آدم «عليه السلام» قد زوج بناته من أبنائه.

وهو كلام باطل في حد نفسه حتى لو صح ـ ولا يصح ذاك أبداًـ أن آدم «عليه السلام» قد فعل ذلك، للأسباب التالية:

أولاً: لأن تحليل زواج الأبناء بالبنات لا يعني تجويز الزنا بهن.

ثانياً: إن تحليل ذلك بين الإخوة لا يعني تحليله بين الأب وابنته، فضلاً عن أن يكون بنحو الزنا.

ثالثاً: إن هذا الادعاء غير صحيح، وحيث إن ذلك يحتاج إلى بعض البسط في البيان، فإننا نفرد فصلاً مستقلاً، وهو الآتي بعد هذا الفصل مباشرة.

لا تجهلك قريش:

وقد قال أمير المؤمنين «عليه السلام» لولده الإمام الحسن «عليه السلام»: اصعد المنبر، فتكلم بكلام لا تجهلك قريش من بعدي، فيقولون:

إن الحسن لا يحسن شيئاً.

ونقول:

إن ذلك يدلنا على أمور كثيرة، نذكر منها:

١ ـ إنه «عليه السلام» يرى: أن قبيلة قريش هي المشكلة، وهي التي تحاول الطعن بأهلية وملكات وميزات ولده الإمام الحسن «عليه السلام».

وهو يريد من ولده: أن يتكلم على المنبر، ليسمع الناس كلامه، وليظهر لهم فضله بصورة مباشرة، وليعرف الناس من هم أولئك الذين يشيعون الأكاذيب عنه، لكي لا يُخْدَعوا بشائعاتهم حين يخفون أنفسهم، ليظن الظان: أن هذا هو رأي الناس فيه، وأن قريشاً بعيدة عن هذا الجور، وليس لها دور في إطلاق هذه الشائعات.

كما أنه «عليه السلام» يريد أن يكون ذلك بمثابة تكذيب عملي ملموس لما تشيعه قريش من طعن وأباطيل، فإنه أوقع في النفس، وأعظم تأثيراً.

وليتذكر الناس هذا الموقف في مستقبل الأيام.. ويعرفوا أنها خطة مدبرة منذ زمن بعيد، وإن الأمور لا تجري بصورة عفوية..

٢ ـ إنه «عليه السلام» وإن كان قد سمع كما سمع الناس رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقرر إمامة الحسنين «عليهما السلام» بقوله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا».. ولكنه كان يعرف: أن قريشاً كانت قادرة على التمويه على الناس. ولو بادعاء: أن العاطفة هي التي دعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأن يقول هذا القول، وأنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يعلم الغيب، ولو علم أن ولده لا يحسن شيئاً لم يقل في حقه ما قال..

وقد أشاعوا عنه «صلى الله عليه وآله» أنه يقول في الرضا وفي الغضب.. إلى غير ذلك من ترهات وأباطيل ينسجونها للتشكيك، أو فقل: لإبطال أثر النص النبوي الشريف.

فأراد «عليه السلام»: أن يجسد للناس عملياً كذبهم فيما يحاولون التسويق له، وخداع الناس به..

٣ ـ إنه «عليه السلام» كان ينظر إلى المستقبل، وما يكون بعده نظرة ثاقبة. ويخطط لمعالجة السلبيات التي ستظهر فيه، وكان يحاول صيانة الناس من شائعات أهل الباطل، وحفظ السلامة لهم في دينهم، وفي حياتهم السياسية والإجتماعية..

وهو بذلك يعطي درساً لكل الناس بأن عليهم جميعاً أن يتحملوا مسؤولياتهم في الحياة وبعد الممات. وأن مهماتهم لا تقتصر على معالجة ما يواجهونه في حال حياتهم.. بل عليهم أن يرصدوا الحركة العامة، وتأثيراتها في الحاضر والمستقبل، حتى فيما يلقى إليها من أهل الأهواء والأطماع.

الحسنان يخطبان:

إن الإمام الحسن «عليه السلام» حين تحرَّج في تصديه للخطابة بحضرة والده، لم يكن يخشى من أن يصاب بالإرتباك، والعي لو أنه خطب في حضرته. ولكنه أراد أن يقدم نموذجاً للأدب وللخلق الرفيع الطافح بالتواضع، وبالتعظيم لوالده العظيم. فإنه لا يريد أن يرى نفسه رافعاً صوته فوق صوت والده، ولو لأجل أن يسمع الناس كلامه.

ولأجل ذلك امتثل امر والده، وأرضاه والده باستجابته له، بأن يكون

في موضع يسمع فيه كلامه ولا يريه شخصه.

خطبة الحسنين ':

وما أروعها من خطب بليغة التزم فيها الحسنان «عليهما السلام» بالأدب مع والدهما، وأديا فيها حقها، ونصحا للأمة حيث وجها الأمة إلى المصدر والمعين الأصفى لمعارفها وعلومها، وهو رسول الله «صلى الله عليه وآله» من خلال علي «عليه السلام»، الذي هو الباب الموصل إليه دون سواه، بل هو مدينة هدى، فمن دخلها نجا، ومن تخلف عنها غرق.

الفصل الخامس:

امتداد نسل آدم عليه السلام..

زواج أبناء آدم عليه السلام:

وقد ورد في الرواية التي ذكرناها في الفصل السابق: أن ملك المجوس برر ارتكابه جريمة الزنا بابنته: بأن الله تعالى لم يخلق خلقاً أكرم عليه من أبينا آدم، وأمنا حواء، وقد زوج بنيه ببناته، وبناته من بنيه.

فقالوا له: صدقت هذا هو الدين.

وقد وعدنا في ذلك الفصل: أن نفرد لبيان هذا الموضوع فضلاً مستقلاً لبيان ما نعتقد أنه الحق فيه، وقد حان الآن موعد الوفاء بذلك الوعد، فنقول:

بداية توضيحية:

إننا قبل تفصيل القول في هذا المورد نشير إلى ما يلي:

١ ـ إن القول بأن آدم قد زوج بنيه بناته، هو قول المجوس، وإن ذلك من دينهم.

٢ ـ إن هذا القول هو مذهب غير الشيعة أيضاً، وهو في رواياتهم.

٣ ـ إن بعض علماء الشيعة ـ وهو السيد الطباطبائي «رحمه الله» ـ لم ير بهذا القول بأساً[١].

٤ ـ إن كلام أمير المؤمنين «عليه السلام» لا يدل على قبوله بمقولة المجوس هذه.

أكرم الخلق على الله:

وقد تضمن النص المتقدم ما يدل: على أن ما ذكره «عليه السلام» من قول المجوس لا يعني أنه يعتبره حقاً، ولم يذكره على سبيل الرضا والإلتزام بمضمونه، ففيه: أن ملك المجوس قال لقومه: إن أكرم الخلق على الله هو أبونا آدم، وأمنا حواء.

وهذا غير صحيح، فإن أكرم الخلق على الله هو نبينا محمد «صلى الله عليه وآله»، وعلي، والسيد فاطمة الزهراء، ثم الأئمة، وإبراهيم الخليل، ثم أولوا العزم من الأنبياء «عليهم السلام»، وليس آدم وحواء من هؤلاء.. نعم.. هو من الأنبياء، وأبو البشر.

قبح تزويج الأخوة بالأخوات:

ثم إن تزويج الإخوة بالأخوات مما لا يمكن صدوره عن الله تبارك وتعالى، وتوضيح ذلك:

أن العدلية يرون: أن للحُسن واقعية وقيمة ذاتية في الأفعال، وأن هذه

(١) تفسير الميزان ج٤ ص١٤٤ و ١٤٥.

القيمة هي التي تجعل العقل يرجح ذلك الفعل.. كما أن القبح أمر واقعي في الأفعال، وفيه خصوصية سيئة تجعل العقل يرفضه ويأباه.

فالفعل الحسن هو ما ينبغي فعله عند العقلاء، ويستحق فاعله عليه المدح. والقبيح هو ما ينبغي تركه، ويستحق فاعله الذم. أي أن عقل جميع العقلاء يدرك أن هذا ينبغي فعله، وذاك ينبغي تركه.

وهذا الإدراك هو المراد بحكم العقل، بالحسن والقبح.

وهذا ما يصطلح عليه بالعقل العملي، لأن المدرك هو مما ينبغي أن يفعل أو يترك.

أما العقل النظري فهو الذي يتعلق فيما ينبغي أن يعلم، مثل الكل أعظم من الجزء ونحو ذلك.

وإدراك المصلحة والمفسدة، وإدراك الكمال والنقص هو من موارد العقل النظري، لأن هذا مما ينبغي أن يعلم.

أما إدراك أن هذا مما ينبغي فعله، لأنه كمال للنفس، أو لأن فيه مصلحة، فيدخل في دائرة العقل العملي.

والدخول في بيان الأقسام المختلفة والوصول إلى المعايير في ذلك يحتاج إلى بسط في القول وتوسع في البيان. وليس ههنا محله.. فيمكن مراجعة الكتب التي بحثت هذا الموضوع، ولعل أيسرها كتاب أصول الفقه للشيخ محمد رضا المظفر «رحمه الله».

وبملاحظة ما ذكرناه، نقول:

إن من المعلوم: أن الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد الواقعية وليست

مجرد أمور مجعولة تكتسب قيمتها من نفس إنشائها وجعلها. وهذا معناه: أنه لا يمكن أن يكون زواج الأخ بأخته حلالاً، ثم يصير حراماً، لأن المنع فيه إنما هو لخصوصية ومفسدة واقعية هي دعت إلى إلزام الناس بالإبتعاد عنه.

والمصالح والمفاسد قد تكون ظاهرة ومعلومة، وقد تكون مما يحتاج إلى تعليم وكشف، وبيان، فإذا تولى الشارع الكشف عن هذه المصالح والمفاسد، فيدرك العقل القبح والحسن في مجال العمل، من حيث يحكم بأن ما فيه مصلحة واقعية لا بد أن يكون مما ينبغي فعله، وما فيه مفسدة واقعية فهو مما ينبغي تركه.

وحكم الشارع بحرمة زواج الأخ بأخته، حكماً مؤبداً، ومترتباً على الموضوع بعنوانه الأولي. أي من حيث هو أخ وأخت، يكشف عن وجود مفسدة واقعية اقتضت هذا الحكم.. فيأتي العقل العملي ليحسِّن أو ليقبح عمل ما ظهرت مصلحته، أو الإجتناب عما ظهرت مفسدته..

ولعل هذا هو السبب في حكم السبزواري بقبح زواج الأخ بأخته فيما يرتبط بأبناء آدم «عليه السلام».

الصحيح من القول:

والروايات التي بين أيدينا تصب في اتجاهين:

أحدهما: القول: بأن انبثاق النسل كان بتزويج الإخوة بالأخوات.

الآخر: رفض صحة هذا القول بحزم وبشدة.

ونرى: أنه لا بد من رفض بعض الأخبار القليلة جداً التي تحدثت عن

تزويج الإخوة بالأخوات:

أولاً: لأنها موافقة لما يقوله غير أهل البيت وشيعتهم، فاحتمال صدورها على سبيل التقية قوي، ويكفي في التقية أن لا يعرضوا شيعتهم لبعض المتاعب من أولئك الناس.

ثانياً: لأن ما ورد في الأخبار النافية لهذا الأمر من تعليل واستدلال متوافق مع المنطق المعقول والمقبول.

بالإضافة إلى أمور أخرى تسهل على الباحث الركون إليها، والتعويل عليها في الإلتزام بهذا القول.

ماذا عن الروايات؟!:

فمن الروايات التي تؤيد تزويج الإخوة بالأخوات نذكر:

١ ـ روايتهم: أن قابيل قال: لا عشت يا هابيل في الدنيا وقد تقبل قربانك ولم يتقبل قرباني، وتريد أن تأخذ أختي الحسناء وآخذ أختك القبيحة؟!

فقال له هابيل ما حكاه الله، فشدخه بحجر فقتله. روي ذلك عن أبي جعفر ـ أي الطبري ـ وغيره من المفسرين[١].

(١) بحار الأنوار ج١١ ص٢١٩ والتبيان للشيخ الطوسي ج٣ ص٤٩٣ وتفسير مجمع البيان ج٣ ص٣١٥ والتفسير الصافي ج٢ ص٢٨ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٦٠٩.

توضيح هذه الرواية ليست مروية من طرق الشيعة، بل نقلها الطبرسي في مفسري أهل السنة.

٢ ـ عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت علي بن الحسين «عليه السلام» يحدث رجلاً من قريش قال: لما تاب الله على آدم، واقع حواء ولم يكن غشيها منذ خلق وخلقت إلا في الأرض، وذلك بعدما تاب الله عليه.

قال: وكان آدم يعظم البيت وما حوله من حرمة البيت، وكان إذا أراد أن يغشى حواء خرج من الحرم وأخرجها معه، فإذا جاز الحرم غشيها في الحل ثم يغتسلان إعظاماً منه للحرم، ثم يرجع إلى فناء البيت.

قال: فولد لآدم من حواء عشرون ولداً ذكراً، وعشرون أنثى، فولد له في كل بطن ذكر وأنثى، فأول بطن ولدت حواء هابيل ومعه جارية يقال لها: إقليما.

قال: وولدت في البطن الثاني، قابيل ومعه جارية يقال لها: لوزا، وكانت لوزا أجمل بنات آدم.

قال: فلما أدركوا خاف عليهم آدم الفتنة، فدعاهم إليه وقال: أريد أن أنكحك يا هابيل لوزا، وأنكحك يا قابيل إقليما.

قال قابيل: ما أرضى بهذا، أتنكحني أخت هابيل القبيحة وتنكح هابيل أختي الجميلة؟!

قال آدم: فأنا أقرع بينكما، فإن خرج سهمك يا قابيل على لوزا، وخرج سهمك يا هابيل على إقليما زوجت كل واحد منكما التي خرج سهمه عليها.

قال: فرضيا بذلك، فاقترعا.

قال: فخرج سهم هابيل على لوزا أخت قابيل، وخرج سهم قابيل على إقليما أخت هابيل.

قال: فزوجهما على ما خرج لهما من عند الله.

قال: ثم حرم الله نكاح الأخوات بعد ذلك.

قال: فقال له القرشي: فأولداهما؟!

قال: نعم.

قال: فقال القرشي: فهذا فعل المجوس اليوم.

قال: فقال علي بن الحسين «عليه السلام»: إن المجوس إنما فعلوا ذلك بعد التحريم من الله.

ثم قال علي بن الحسين «عليه السلام»: لا تنكر هذا، أليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثم أحلها له؟! فكان ذلك شريعة من شرائعهم، ثم أنزل الله التحريم بعد ذلك[1].

٣ ـ ابن عيسى، عن البزنطي قال: سألت الرضا «عليه السلام» عن الناس كيف تناسلوا من (عن خ) آدم «عليه السلام»؟!

(١) بحار الأنوار ج١١ ص٢٢٥ و ٢٢٦ والإحتجاج (ط دار النعمان) ج٢ ص٤٣ ـ ٤٥ والتفسير الصافي ج١ ص٤١٨ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٤٣٥ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٣٤٤ وتفسير الميزان ج٤ ص١٤٧ وقصص الأنبياء للجزائري ص٦٥.

فقال: حملت حواء هابيل وأختاً له في بطن، ثم حملت في البطن الثاني قابيل وأختاً له في بطن. فزوج هابيل التي مع قابيل وتزوج قابيل التي مع هابيل، ثم حدث التحريم بعد ذلك(١).

وهذه الرواية صحيحة من حيث السند.

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»: هذان الخبران محمولان على التقية، لاشتهار ذلك بين العامة(٢).

روايات الرأي المعتمد:

١ ـ قال اليعقوبي: «وقد روى بعضهم: أن الله عز وجل أنزل لهابيل حوراء من الجنة، فزوجه بها، وأخرج لقابيل جنية، فزوجه بها، فحسد قابيل أخاه على الحوراء، فقال لهما آدم: قربا قرباناً! فقرب هابيل من تين زرعه، وقرب قابيل أفضل كبش في غنمه لله، فقبل الله قربان هابيل، ولم يقبل قربان قابيل، فازداد نفاسة وحسداً، وزين له الشيطان قتل أخيه، فشدخه بالحجارة، حتى قتله(٣).

---

(١) بحار الأنوار ج١١ ص٢٢٦ وقرب الإسناد ص٣٦٦ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج١ ص٥١ والتفسير الصافي ج١ ص٤١٧ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٤٣٣ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٣٤٣.

(٢) بحار الأنوار ج١١ ص٢٢٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي (ط النجف) ج١ ص٢ و (ط دار صادر) ج١ ص٦ و ٧.

٢ ـ ابن الوليد، عن أحمد بن إدريس ومحمد العطار معاً، عن الأشعري، عن أحمد بن الحسن بن فضال، عن أحمد بن إبراهيم بن عمار، عن ابن نويه، عن زرارة قال: سئل أبو عبد الله «عليه السلام»: كيف بدأ النسل من ذرية آدم «عليه السلام»، فإن عندنا أناساً يقولون: إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم «عليه السلام»: أن يزوج بناته من بنيه، وأن هذه الخلق كلهم أصله من الإخوة والأخوات.

قال أبو عبد الله «عليه السلام»: سبحان الله، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، يقول من يقول هذا: إن الله عز وجل جعل أصل صفوة خلقه، وأحبائه وأنبيائه ورسله، والمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات من حرام، ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال، وقد أخذ ميثاقهم على الحلال والطهر الطيب؟! والله لقد تبينت أن بعض البهائم تنكرت له أخته، فلما نزا عليها ونزل كشف له عنها، وعلم أنها أخته أخرج غرموله، ثم قبض عليه بأسنانه ثم قلعه، ثم خر ميتاً.

قال زرارة: ثم سئل «عليه السلام» عن خلق حواء، وقيل له: إن أناساً عندنا يقولون: إن الله عز وجل خلق حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصى، قال: سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً! يقول من يقول هذا: إن الله تبارك وتعالى لم يكن له من القدرة ما يخلق لآدم زوجة من غير ضلعه، وجعل لمتكلم من أهل التشنيع سبيلاً إلى الكلام؟! يقول: إن آدم كان ينكح بعضه بعضاً، إذا كانت من ضلعه؟! ما لهؤلاء؟! حكم الله بيننا وبينهم.

ثم قال: إن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم من طين أمر الملائكة فسجدوا

له، وألقى عليه السبات، ثم ابتدع له خلقاً، ثم جعلها في موضع النقرة التي بين ركبتيه، وذلك لكي تكون المرأة تبعاً للرجل، فأقبلت تتحرك، فانتبه لتحركها، فلما انتبه نوديت أن تنحي عنه، فلما نظر إليها نظر إلى خلق حسن يشبه صورته غير أنها أنثى، فكلمها فكلمته بلغته، فقال لها: من أنت؟!

فقالت: خلق خلقني الله كما ترى.

فقال آدم عند ذلك: يا رب، من هذا الخلق الحسن الذي قد آنسني قربه والنظر إليه؟!

فقال الله: هذه أمتي حواء(١).

ملاحظة سندية:

يمكن القول بأن هذه الرواية معتبرة من حيث السند، فإن أحمد بن محمد بن يحيى بن عثمان الأشعري وإن كان لم يوثق في الرجال، ولكنه من مشايخ الإجازة، وقد روى عنه الأجلة، مثل محمد بن يحيى العطار، وأحمد بن محمد بن إدريس.

---

(١) علل الشرائع ج١ ص١٧ و ١٨ وبحار الأنوار ج١١ ص٢٢٠ و ٢٢١ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٠ ص٣٦٥ و ٣٦٦ و (الإسلامية) ج١٤ ص٢٧٧ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٠ ص٥ و ٣٩٤ والتفسير الصافي ج١ ص٤١٥ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٤٣٠ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٣٤٠ وقصص الأنبياء للراوندي ص٥٧ و ٥٨ وقصص الأنبياء للجزائري ص٦١.

وأما أحمد بن إبراهيم، وابن نوبة، فقد وقع في السند قبلها ابن فضال، وقد جاء في خبر معتبر رواه الشيخ الطوسي عن وكيل الناحية المقدسة: أن خذوا ما رووا وذروا ما رأوا(١).

٣ ـ أبي، عن محمد بن يحيى العطار، عن الحسين بن الحسن بن أبان، عن محمد بن أورمة، عن النوفلي، عن علي بن داود اليعقوبي، عن الحسن بن مقاتل، عمن سمع زرارة يقول:

سئل أبو عبد الله «عليه السلام» عن بدء النسل من آدم كيف كان، وعن بدء النسل عن ذرية آدم، فإن أناساً عندنا يقولون: إن الله عز وجل أوحى إلى آدم يزوج بناته ببنيه، وأن هذا الخلق كله أصله من الإخوة والأخوات؟!

فقال أبو عبد الله «عليه السلام»: تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً يقول من قال هذا: بأن الله عز وجل خلق صفوة خلقه وأحبائه وأنبيائه ورسله والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من حرام، ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من حلال، وقد أخذ ميثاقهم على الحلال الطهر الطاهر الطيب، فوالله لقد تبينت أن بعض البهائم تنكرت له أخته فلما نزا عليها ونزل كشف له عنها فلما علم أنها أخته أخرج غرموله، ثم قبض عليه بأسنانه حتى قطعه

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي ص٣٨٩ و ٣٩٠ والفصول المهمة للحر العاملي ج١ ص٥٩٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص٢٢٩ وبحار الأنوار ج٢ ص٢٥٢ وج٥١ ص٣٥٨ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٤٢ وج٧ ص٢٠٣.

فخر ميتاً، وآخر تنكرت له أمه، ففعل هذا بعينه، فكيف الإنسان في إنسيته وفضله وعلمه، غير أن جيلاً من هذا الخلق الذي ترون رغبوا عن علم أهل بيوتات أنبيائهم، وأخذوا من حيث لم يؤمروا بأخذه، فصاروا إلى ما قد ترون من الضلال والجهل بالعلم، كيف كانت الأشياء الماضية من بدء أن خلق الله ما خلق وما هو كاين أبداً.

ثم قال: ويح هؤلاء، أين هم عما لم يختلف فيه فقهاء أهل الحجاز، ولا فقهاء أهل العراق، إن الله عز وجل أمر القلم فجرى على اللوح المحفوظ بما هو كاين إلى يوم القيامة قبل خلق آدم بألفي عام.

وإن كتب الله كلها فيما جرى فيه القلم في كلها تحريم الأخوات على الإخوة مع ما حرم.

وهذا نحن قد نرى منها هذه الكتب الأربعة المشهورة في هذا العالم: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، أنزلها الله عن اللوح المحفوظ عن رسله صلوات الله عليهم أجمعين، منها: التوراة على موسى «عليه السلام» والزبور على داود «عليه السلام»، والإنجيل على عيسى «عليه السلام»، والقرآن على محمد «صلى الله عليه وآله»، وعلى النبيين «عليهم السلام»، وليس فيها تحليل شيء من ذلك.

حقاً أقول: ما أراد من يقول هذا وشبهه إلا تقوية حجج المجوس، فما لهم قاتلهم الله؟!

ثم أنشأ يحدثنا كيف كان بدء النسل من آدم، وكيف كان بدء النسل من ذرية، فقال: إن آدم «عليه السلام» ولد له سبعون بطناً في كل بطن غلام

وجارية، إلى أن قتل هابيل، فلما قتل قابيل هابيل جزع آدم على هابيل جزعاً قطعه عن إتيان النساء، فبقي لا يستطيع أن يغشى حواء خمسمائة عام، ثم تخلى ما به من الجزع عليه، فغشي حواء، فوهب الله له شيثاً وحده ليس معه ثان، واسم شيث هبة الله، وهو أول من أوصى إليه من الآدميين في الأرض.

ثم ولد له من بعد شيث يافث، ليس معه ثان، فلما أدركا وأراد الله عز وجل أن يبلغ بالنسل ما ترون، وأن يكون ما قد جرى به القلم من تحريم ما حرم الله عز وجل من الأخوات على الإخوة أنزل بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنة اسمها «نزلة»، فأمر الله عز وجل آدم أن يزوجها من شيث، فزوجها منه، ثم أنزل بعد العصر حوراء من الجنة اسمها «منزلة»، فأمر الله تعالى آدم أن يزوجها من يافث، فزوجها منه، فولد لشيث غلام، وولدت ليافث جارية، فأمر الله عز وجل آدم حين أدركا أن يزوج بنت يافث من ابن شيث، ففعل، فولد الصفوة من النبيين والمرسلين من نسلهما، ومعاذ الله أن يكون ذلك على ما قالوا من الإخوة والأخوات[1].

٤ ـ وقد روى الصدوق القسم الأخير من الحديث: عن زرارة، عن أبي عبد الله «عليه السلام»: أن آدم «عليه السلام» ولد له شيث وأن اسمه هبة الله، وهو أول وصي أوصي إليه من الآدميين في الأرض، ثم ولد له بعد

---

(١) علل الشرائع ج١ ص١٨ ـ ٢٠ وبحار الأنوار ج١١ ص٢٢٣ و ٢٢٤ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٤٣١ و ٤٣٢ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٣٤١ و ٣٤٢ وقصص الأنبياء للجزائري ص٦٣ و ٦٤.

شيث يافث.. إلى آخر الرواية المتقدمة[1].

ملاحظة: هذه الرواية صحيحة حسب.... وعد الشيخ الصدوق «رحمه الله» في مشيخة من لا يحضره الفقيه.

٥ ـ ابن المتوكل، عن الحميري، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن مقاتل بن سليمان، عن الصادق «عليه السلام» عن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: أوصى آدم إلى شيث وهو هبة الله ابن آدم، وأوصى شيث إلى ابنه شبان وهو ابن نزلة الحوراء التي أنزلها الله على آدم من الجنة، فزوجها ابنه شيثاً الخ..[2].

٦ ـ كتاب المحتضر للحسن بن سليمان نقلاً من كتاب الشفاء والجلاء بإسناده عن معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبد الله «عليه السلام» عن آدم أبي البشر: أكان زوج ابنته من ابنه؟!

فقال: معاذ الله، والله لو فعل ذلك آدم «عليه السلام» لما رغب عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وما كان آدم إلا على دين رسول الله «صلى الله عليه وآله».

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج٣ ص٣٨١ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٠ ص٣٩١.

(٢) بحار الأنوار ج١١ ص٢٢٥ وج١٧ ص١٤٨ وج٣٣ ص٥٧ والإمامة والتبصرة ص٢١ والأمالي للصدوق ص٤٨٦ و ٤٨٧ وكمال الدين ص٢١١ ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص١٧٥ والأمالي للشيخ الطوسي ص٤٤٢ وبشارة المصطفى ص١٣٦ وقصص الأنبياء للراوندي ص٣٦٩ وغاية المرام ج٢ ص٢٠٤.

فقلت: وهذا الخلق من ولد من هم، ولم يكن إلا آدم وحواء؟! لأن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾(١). فأخبرنا: أن هذا الخلق من آدم وحواء «عليهما السلام»، فقال «عليه السلام»: صدق الله، وبلغت رسله، وأنا على ذلك من الشاهدين.

فقلت : ففسر لي يا ابن رسول الله.

فقال: إن الله تبارك وتعالى لما أهبط آدم وحواء إلى الأرض وجمع بينهما ولدت حواء بنتاً، فسماها عناقاً، فكانت أول من بغى على وجه الأرض، فسلط الله عليها ذئباً كالفيل ونسراً كالحمار فقتلاها، ثم ولد له أثر عناق قابيل بن آدم، فلما أدرك قابيل ما يدرك الرجل أظهر الله عز وجل جنية من ولد الجان يقال لها: جهانة، في صورة إنسية، فلما رآها قابيل ومقها، فأوحى الله إلى آدم: أن زوج جهانة، من قابيل فزوجها من قابيل، ثم ولد لآدم هابيل، فلما أدرك هابيل ما يدرك الرجل أهبط الله إلى آدم حوراء واسمها: ترك الحوراء، فلما رآها هابيل ومقها فأوحى الله إلى آدم: أن زوج تركاً من هابيل.

ففعل ذلك، فكانت ترك الحوراء زوجة هابيل بن آدم.

إلى أن قال:

وإن هابيل يوم قتل كانت امرأته ترك الحوراء حبلى، فولدت غلاماً، فسماه آدم باسم ابنه هابيل.

---

(١) الآية ١ من سورة النساء.

وإن الله عز وجل وهب لآدم بعد هابيل ابنا فسماه شيثاً، ثم قال : ابني هذا هبة الله.

فلما أدرك شيث ما يدرك الرجل أهبط الله على آدم حوراء يقال لها: ناعمة في صورة إنسية، فلما رآها شيث ومقها، فأوحى الله إلى آدم: أن زوج ناعمة من شيث، ففعل ذلك آدم، فكانت ناعمة الحوراء زوجة شيث، فولدت له جارية، فسماها آدم حورية، فلما أدركت أوحى الله إلى آدم: أن زوج حورية من هابيل بن هابيل، ففعل ذلك آدم، فهذا الخلق الذي ترى من هذا النسل الخ..[١].

٧ ـ عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: إن آدم ولد له أربعة ذكور، فأهبط الله إليهم أربعة من الحور العين، فزوج كل واحد منهم واحدة فتوالدوا، ثم إن الله رفعهن وزوج هؤلاء الأربعة أربعة من الجن، فصار النسل فيهم، فما كان من حلم فمن آدم، وما كان من جمال فمن قبل الحور العين، وما كان من قبح أو سوء خلق فمن الجن[٢].

٨ ـ عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: قال لي:

---

(١) بحار الأنوار ج١١ ص٢٢٦ ـ ٢٢٨ ومستدرك الوسائل ج١٤ ص٣٦١ و ٣٦٢ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٠ ص٣٩٣ .

(٢) تفسير العياشي ج١ ص٢١٥ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٤٣٣ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٣٤٤ وبحار الأنوار ج١١ ص٢٤٤ وج٦٠ ص٩٧ وقصص الأنبياء للجزائري ص٦٨.

ما يقول الناس في تزويج آدم ولده؟!

قال: قلت: يقولون: إن حواء كانت تلد لآدم في كل بطن غلاماً وجارية، فتزوج الغلام الجارية التي من البطن الآخر الثاني، وتزوج الجارية الغلام الذي من البطن الآخر الثاني، حتى توالدوا.

فقال أبو جعفر «عليه السلام»: ليس هذا كذاك، ولكنه لما ولد آدم هبة الله وكبر سأل الله أن يزوجه، فأنزل الله له حوراء من الجنة، فزوجها إياه، فولد له أربعة بنين، ثم ولد لآدم ابن آخر، فلما كبر أمره فتزوج إلى الجان، فولد له أربع بنات، فتزوج بنو هذا بنات هذا، فما كان من جمال فمن قبل الحوراء، وما كان من حلم فمن قبل آدم، وما كان من خفة فمن قبل الجان.

فلما توالدوا صعدت الحوراء إلى السماء(١).

٩ ـ عن سليمان بن خالد قال: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: جعلت فداك، إن الناس يزعمون: أن آدم زوج ابنته من ابنه.

فقال أبو عبد الله «عليه السلام»: قد قال الناس ذلك، ولكن يا سليمان: أما علمت أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: لو علمت أن آدم زوج ابنته من ابنه لزوجت زينب من القاسم، وما كنت لأرغب عن دين آدم؟!

فقلت: جعلت فداك، إنهم يزعمون: أن قابيل إنما قتل هابيل لأنهما تغايرا على أختهما.

---

(١) تفسير العياشي ج١ ص٢١٦ وبحار الأنوار ج١١ ص٢٤٤ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٤٣٣.

فقال له: يا سليمان تقول هذا؟! أما تستحيي أن تروي هذا على نبي الله آدم؟!

فقلت: جعلت فداك، ففيم قتل قابيل هابيل؟!

فقال: في الوصية.

ثم قال لي: يا سليمان، إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم أن يدفع الوصية واسم الله الأعظم إلى هابيل، وكان قابيل أكبر منه، فبلغ ذلك قابيل فغضب، فقال: أنا أولى بالكرامة والوصية، فأمرهما أن يقربا قرباناً بوحي من الله إليه، ففعلا، فقبل الله قربان هابيل، فحسده قابيل فقتله.

فقلت له: جعلت فداك، فممن تناسل ولد آدم؟!

هل كانت أنثى غير حواء؟! وهل كان ذكر غير آدم؟!

فقال: يا سليمان، إن الله تبارك وتعالى رزق آدم من حواء قابيل، وكان ذكر ولده من بعده هابيل، فلما أدرك قابيل ما يدرك الرجال أظهر الله له جنية وأوحى إلى آدم أن يزوجها قابيل، ففعل ذلك آدم، ورضي بها قابيل وقنع، فلما أدرك هابيل ما يدرك الرجال أظهر الله له حوراء وأوحى الله إلى آدم أن يزوجها من هابيل، ففعل ذلك، فقتل هابيل والحوراء حامل، فولدت حوراء غلاماً، فسماه آدم: هبة الله، فأوحى الله إلى آدم: أن ادفع إليه الوصية واسم الله الأعظم.

وولدت حواء غلاماً، فسماه آدم شيث بن آدم، فلما أدرك ما يدرك الرجال أهبط الله له حوراء وأوحى إلى آدم: أن يزوجها من شيث بن آدم ففعل، فولدت الحوراء جارية فسماها آدم حورة، فلما أدركت الجارية زوج آدم حورة بنت شيث من هبة الله بن هابيل، فنسل آدم منهما، فمات هبة الله

بن هابيل، فأوحى الله إلى آدم: أن ادفع الوصية واسم الله الأعظم وما أظهرتك عليه من علم النبوة، وما علمتك من الأسماء إلى شيث بن آدم، فهذا حديثهم يا سليمان(١).

١٠ ـ محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن صفوان بن يحيى، عن خالد بن إسماعيل، عن رجل من أصحابنا من أهل الجبل، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: ذكرت له المجوس، وأنهم يقولون: نكاح كنكاح ولد آدم، وإنهم يحاجوننا بذلك.

فقال: أما أنتم فلا يحاجونكم به، لَمَّا أدرك هبة الله قال آدم: يا رب، زوج هبة الله.

فأهبط الله عز وجل له حوراء، فولدت له أربعة غلمة، ثم رفعها الله.

فلما أدرك ولد هبة الله قال: يا رب، زوج ولد هبة الله.

فأوحى الله عز وجل إليه أن يخطب إلى رجل من الجن ـ وكان مسلماً ـ أربع بنات له على ولد هبة الله، فزوجهن، فما كان من جمال وحلم فمن قبل الحوراء والنبوَّة. وما كان من سفه أو حدة فمن الجن(٢).

---

(١) تفسير العياشي ج١ ص٣١٢ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٦١٠ وبحار الأنوار ج١١ ص٢٤٥ و ٢٤٦.

(٢) الكافي ج٥ ص٥٦٩ وبحار الأنوار ج٦٠ ص٩٦ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٠ ص٣٩٦ والتفسير الصافي ج١ ص٤١٦ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٤٣٤ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٣٤٢.

١١ ـ علي بن حاتم، عن أبي عبد الله بن ثابت، عن عبد الله بن أحمد، عن القاسم بن عروة، عن بريد العجلي، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: إن الله عز وجل أنزل حوراء من الجنة إلى آدم، فزوجها أحد ابنيه، وتزوج الآخر الجن، فولدتا جميعاً، فما كان من الناس من جمال وحسن خلق فهو من الحوراء، وما كان فيهم من سوء الخلق فمن بنت الجان، وأنكر أن يكون زوج بنيه من بناته(١).

تناقضات في الروايات المتقدمة:

يلاحظ مدى التناقض والإختلاف في عدد من العناصر التي تضمنتها تلك الروايات، فلاحظ على سبيل المثال:

ألف: اختلافها في أسماء الحورية، أو الحوريات، أو الجنية، أو الجنيات.

ب: اختلافها في عددهن.

ج: اختلافها في الولد الأكبر: هل هو قابيل؟! أم هابيل؟!

د: اختلافها في شيث وهبة الله، هل هما اسمان لرجل واحد؟! أم لرجلين؟!

ويمكن حل هذا الإشكال بما يلي:

---

(١) علل الشرائع ج١ ص١٠٣ وبحار الأنوار ج١١ ص٢٣٦ وج٦٠ ص٩٦ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٠ ص٣٩٢ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٤٣٣ وج٥ ص٣٩١ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٣٤١ ومستدرك الوسائل ج١٤ ص٣٦٢ وقصص الأنبياء للجزائري ص٦٧ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٣٤ .

١ ـ إن هذه المسألة لم تكن موضع تداول بين الناس ليهتم الراوي بحفظها وضبطها، وليحرص على أن لا يقع بالخطأ فيها، فيشنع عليه به الحفاظ الآخرون، بل هي مسألة يندر استحضارها، والتوقف عندها.

٢ ـ لم يكن جميع الرواة من أهل الدقة والضبط، وإذا مضى على مسامعهم زمن طويل، فقد تختلط عليهم بعض التفاصيل، ويقع في كلامهم التغيير والتبديل.

٣ ـ وقد يشتبه الأمر عليه بسبب ما ذكرناه وغيره، فيحسب اللقب اسماً، أو الاسم لقباً، كما هو الحال في كلمتي: شيث، وهبة الله.

٤ ـ وقد يقدم المتأخر، ويؤخر المتقدم، فيقدم هابيل تارة، ويقدم قابيل أخرى.

٥ ـ إن تشابه اسمي هابيل وقابيل قد يوقع بعض الناس في الخلط والخطأ، فيزعم راو: أن هابيل هو القاتل، ويكون غيره أكثر دقة، فيقول: بل كان قابيل هو القاتل، وقد ينسب قربان هذا إلى ذاك، وعمل ذاك إلى هذا.

٦ ـ وعن النساء اللواتي خلقهن الله من العنصر الذي يتكون منه الجن، أو يتكون منه الحور، إذا تعدد خلق نساء من هذا العنصر أو ذاك، لأجل شيث ويافث، وقابيل، وهابيل الأب، وهابيل الابن، فقد يحصل الخلط بين أسمائهم وأسمائهن. وإذا كان هناك اثنان اسمهما هابيل، فإن إمكانية حصول الغلط والخلط تصير أكبر، كما أن بعض أسماء البنات قد يكون لقباً، وقد يكون اسماً.

٧ ـ كما أن الراوي قد يظن أن هبة الله غير شيث، وقد يظنهما اسمين

حقيقيين، وقد.. وقد.

٨ ـ وبعد هذا البيان يتضح: أن هذا الإختلاف لا يعني: أن ثمة تعمداً للكذب، كما أنه لا يسقط ما اتفقت عليه الروايات عن الإعتبار إذا كانت الروايات متفقة في سياقها العام، وفي العناصر الأساسية التي سيقت لتأكيدها، وفي القضية المحورية فيها، وهي تأكيد وإثبات أن الإخوة لم يتزوجوا بالأخوات، لأن اختلاف الروايات إنما هو في مجال التطبيق في التقديم والتأخير، وفي الأسماء وفي غير ذلك، فلا بأس بأن تسقط حجيتها فيما اختلفت فيه. وتبقى حجيتها فيما اتفقت عليه.

هل هذا تناقض؟!:

ونقول:

إن الحديث المتقدم برقم ٣: إن الله تعالى أنزل بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنة، اسمها بركة فزوجها من شيث. ثم نزل بعد العصر من الغد حوراء من الجنة اسمها نزلة، فزوجها من يافث، وهذه الرواية السادسة تقول: إن أحد ولدي آدم تزوج بجنية لا بحوراء.

ويجاب:

أولاً: لعل المقصود بالجنية الشبيهة بالجن في سوء أخلاقها، وفي بعض حركاتها غير المنتظمة. وبالحورية الشبيهة بالحورية في الجمال.

ثانياً: إذا كان النسل من قابيل وهابيل، ومن شيث ويافث، فلا منافاة بين الروايتين، لوجود الحوريتين والجنية في سياق النسل، فتصح نسبة النسل إلى الحورية والجنية، وتصح نسبته إلى الحوريتين، وينتفي الإشكال في البين.

وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً:

وقد استدلوا على تزويج الإخوة بالأخوات بقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾(١).

حيث دلت الآية: على أن النسل منحصر بآدم وحواء، ولم يشاركهما غيرهما فيه، وإلا لقال: بث منهما، ومن غيرهما.. وهذا الإنحصار يحتم تزويج الإخوة بالأخوات(٢).

ونجيب:

بأنه يكفي في صدق مضمون الآية: أن يكون آدم وحواء قد ولدا هابيل وقابيل، وشيثاً، ولا ينظر إلى زوجات هؤلاء، والسبب في ذلك: أنهم حتى إذا تزوجوا بنساء خلقن من عنصر الحور أو الجن، أو أي شيء آخر. ثم ولد لهم أولاد. ثم تزوج أولادهم، فإنه يصح أن يقال: إن الناس قد ولدوا من آدم وحواء، كما يقال فلان من بني تميم، وفلان الآخر منهم أيضاً، فلا ينظر إلى نساء تميم، فلعل تميماً تزوج بعدة نساء، وقد ولدن له أجداد هؤلاء القوم، إذ يكفي أن يكون تميم هو الأب للجميع، وإن كانت الأمهات مختلفات، بحيث تكون كل أم من قبيلة.

---

(١) الآية ١ من سورة النساء.

(٢) تفسير الميزان ج٤ ص١٤٤ و ١٤٥.

الضرورة تفرض تزويج الإخوة والأخوات:

وذكر العلامة الطباطبائي «رحمه الله» أيضاً: أنه لا مانع من أن يبيح الله تعالى زواج الإخوة بالأخوات، لاستدعاء الضرورة ذلك. ثم يحرمه بعد ذلك لارتفاع الحاجة. ولإيجابه انتشار الفحشاء في المجتمع، لأن الحكم بحرمة زواج الإخوة بالأخوات في الإسلام وكذا في الشرائع السابقة عليه ـ على ما يحكى ـ إنما هو حكم تشريعي يتبع المصالح والمفاسد وليس تكوينياً غير قابل للتغيير.

وزمام التشريع بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد(١).

ونجيب:

أولاً: إن الحاجة والضرورة غير متصورة في مثل المقام، فإن الله تعالى قادر على أن يدفع الضرورة بخلق نساء للأولاد، حسبما ذكرته الروايات، لأن فعل ذلك لا يوجب وهناً في مقام ألوهيته، ولا طعناً في صفاته، ولا انتقاصاً من مقامه.

ثانياً: من الذي قال: إن إبقاء هذا التشريع سارياً يوجب شيوع الفحشاء؟! وسقوط العفة؟!

ثالثاً: إن الأحكام تابعة، ومنها زواج الإخوة بالأخوات تابعة للمصالح والمفاسد، فإن كان المراد بها: ما كان كامناً في ذات الفعل، فمعنى ذلك: أنه أمر تكويني، فتشريع جواز هذا الزواج لا يلغي المفسدة الكامنة

---

(١) تفسير الميزان ج٤ ص١٤٥.

فيه؟! فقول الطباطبائي: ليس تكوينياً غير قابل للتغيير[1]. في غير محله.

أما إن كانت مفسدة خارجة عن حقيقة ذاته، فمعنى ذلك: أن الحرمة لم تكن لأجل مفسدة واقعية، بل ذلك يدخله فيما يكون المصلحة والمفسدة فيه بالوجوه والإعتبارات.

فإن قلت: لعل المراد: أن التشريع لهذا الزواج كان لأجل الضرورة، فهو كتجويز أكل الميتة عند خوف التلف..

يجاب:

بأن ذلك معناه: إدخال المفاسد على بيوت الأنبياء، وحملهم على الإنغماس في موجباتها، لأجل الحصول على منفعة أخرى لا تعود إليهم، بل ترتبط بغيرهم.. ولا ذنب لهم إلا أن الله تعالى لم يرد أن يحل المشكلة إلا بهذا النحو المؤذي لهم، مع أنه يقدر على ذلك، ولو بأن يخلق للأبناء نساء يمكن تكثير النسل من خلالهن؟!

وإن قلت أيضاً: لعل المراد بالمصالح والمفاسد الواقعية: أن في ذلك المورد اقتضاء المفسدة والمصلحة، كالكذب، الذي يطرأ عليه عنوان يجعله واجباً.

يجاب:

بأنه لو صح هذا لكان لنا أن نتوقع إيجاب أو إباحة الزواج بالأخوات، وبالبنات، وبالأمهات كلما مست الحاجة إلى ذلك، أي حين تطرأ بعض العناوين بسبب تبدل الأحوال والتقلبات.. فلماذا جعله الله تعالى من الحرام

---

(١) تفسير الميزان ج٤ ص١٤٥.

المؤبد إلى يوم القيامة؟!

هذا الزواج.. والفطرة:

واستدل العلامة الطباطبائي «رحمه الله» **أيضاً**: بأن الفطرة لا تدعو إلى خلاف هذا الزواج، من جهة تنفرها عن هذا النوع من المباشرة (مباشرة الأخ لأخته)، وإنما تبغضه وتنفيه من جهة تأديته إلى شيوع الفحشاء والمنكر، وبطلان غريزة العفة بذلك، وارتفاعها من المجتمع الانساني.

ومن المعلوم: أن هذا النوع من التماس والمباشرة إنما ينطبق عليه عنوان الفجور والفحشاء في المجتمع العالمي اليوم، وأما المجتمع يوم ليس هناك بحسب ما خلق الله سبحانه إلا الإخوة والأخوات، والمشية الإلهية متعلقة بتكثرهم وانبثاثهم، فلا ينطبق عليه عنوانا الفجور والفحشاء.

والدليل على أن الفطرة لا تنفيه من جهة النفرة الغريزية: تداوله بين المجوس أعصارا طويلة(١).

ونجيب:

أولاً: إن الاستشهاد بتداول المجوس لزواج الإخوة بالأخوات للتدليل على عدم منافرته لقضاء الفطرة في غير محله، فإن الإنسان يتمرد على الفطرة، ويقهرها، ويكبتها استجابة لشهوة أو وسوسة شيطانية، فكيف إذا أعانه على تطويع فطرته ما يزعم أنه دين مقدس، ومعصوم؟!

وبعبارة أخرى:

---

(١) تفسير الميزان ج٤ ص١٤٥.

إن الإنسان إذا فسق عن فطرة الله ووكله الله إلى نفسه زينت له نفسه كل قبيح، ويقدم على كل ما يشتهي، فيفعل الموبقات ويرتكب العظائم زالفواحش، فيعمل عمل قارووط، وينكح ذوات المحارم، ولا يصح أخذ من حكم الله عليهم بالفسق لخروجهم عن قوانين الفطرة ومقتضياتها نماذج للحكم على أفعالهم، فإنها لا تنافي الفطرة، لأن في هذا مصادرة وتحكم وأقل ما يقال أنه دعوى بلا دليل.

والخلاصة: إنه لا يصح قياس الفطرة الملوثة على الفطرة السليمة، لأن صاحب الفطرة قد يتمرد ويرتكب أعظم الموبقات والجرائم، ويمارس أبشع أنواع الظلم مع أن الفطرة تأباه، ولا تنسجم معه، ولا ترضاه..

ثانياً: إن العلامة الطباطبائي قد أقر بتنفر الفطرة من هذا الزواج، لكنه عزا هذا النفور إلى ما يترتب عليه من فحشاء، وفجور، وبطلان غريزة العفة.. وهل هذا إلا ادعاء منه لا شاهد له، ولا دليل عليه، ولا سبيل إلى إثباته؟!

ثالثاً: إنه زعم أنه حين ينحصر الأمر بأفراد قليلين، ويراد تكثير النسل، فلا ينطبق على هذا الزواج عنوان الفجور والفحشاء.

ونقول له:

١ ـ ماذا لو عكسنا الأمر وقلنا: إنما أصبح هذا التزويج من مصاديق الفجور والفحشاء، لأن الشارع حرمه،

ولو أنه لم يحرمه، وكان زواجاً مشروعاً وحلالاً، فهل يكون أيضاً من موجبات شيوع الفجور والفحشاء؟! أو أن هذه العناوين القبيحة يمكن

تطبيقها على هكذا زواج؟!

وهل انقطع الفجور والفحشاء بتحريم نكاح الإخوة بالأخوات؟! أم أن لتقليل الفحشاء عوامل أخرى مثل دعوة الناس إلى الالتزام بالشرع، وتقبيح هذا الفعل، ووعظهم، وتخويفهم من الله، وغير ذلك؟!

رابعاً: قول العلامة الطباطبائي: إن مباشرة الأخ لأخته ينطبق عليه عنوان الفجور والفحشاء في المجتمع العالمي اليوم. ليس مسلماً، خصوصاً بعد أن شاعت ظاهرة مضاجعة الأخوة للأخوات، والآباء لبناتهم، وشاع اللواط، وتزوج الرجال بالرجل، والنساء بالنساء، والسحاق في الشعوب المتحضرة، وشرعته لهم حكوماتهم.

خامساً: قول الطباطبائي: إن الفطرة لا تنفي مباشرة الأخ لأخته من جهة النفرة الغريزية.. لا يصح:

١ ـ لما روي عن الإمام الكاظم «عليه السلام»: هل تخرج الكبائر من الايمان؟!

فقال: نعم.. وما دون الكبائر، قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن. ونحوه عن الإمام الباقر «عليه السلام» أيضاً[١].

---

(١) الكافي ج٢ ص٢٨٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٥ ص٣٢٥ و و (الإسلامية) ج١١ ص٢٥٦ و ٢٥٧ وبحار الأنوار ج٦٦ ص٦٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٤٠٤ وموسوعة أحاديث أهل البيت ج٤ ص٥٤ وج٥ ص١١١.

٢ ـ وعن الإمام الباقر «عليه السلام»، وقد سئل عن قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إذا زنى الرجل فارقه روح الإيمان. قوله عز وجل: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾(١). ذلك الذي يفارقه(٢).

٣ ـ عن زرارة: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: أرأيت قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «لا يزني الزاني وهو مؤمن».

قال: حتى ينزع عنه روح الإيمان.

قلت: ينزع منه روح الايمان؟!

قال: قلت: فحدثني عن روح الإيمان.

قال: هو شيء! ثم قال: هذا أجدر أن تفهمه. أما رأيت الإنسان يهم بالشيء فيعرض بنفسه الشيء يزجره عن ذلك وينهاه؟!

قلت: نعم.

---

(١) الآية ٢٢ من سورة المجادلة.

(٢) بحار الأنوار ج٦٦ ص١٩٠ وج٧٦ ص٢٦ وثواب الأعمال ص٢٦٣ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٠ ص٣٣٤ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٢٦٩ وج١ ص٢٨٦ وتفسير كنز الدقائق ج١ ص٦٥٠ وتفسير الميزان ج١٩ ص١٩٨ ومجمع البحرين ج٢ ص٢٤٣ والمحاسن للبرقي ج١ ص١٠٦ والكافي ج٢ ص٢٨٠ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٥ ص٣٢٣ وج٢٠ ص٣١٣ و (الإسلامية) ج١١ ص٢٥٦ وج١٤ ص٢٣٥

قال: هو ذاك[١].

٤ ـ وعنه «عليه السلام»، قد سأله جماعة عن الإيمان، فقال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن.

فجعل بعضهم ينظر إلى بعض، فقال له عمر بن ذر: بم نسميهم؟!

فقال «عليه السلام»: بما سماهم الله وبأعمالهم، قال الله عز وجل: **﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾**[٢]. وقال: **﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾**[٣].

فجعل بعضهم ينظر إلى بعض[٤].

٥ ـ وعن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا يزني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد[٥].

---

(١) بحار الأنوار ج٦٦ ص١٩٢ ومستطرفات السرائر ص١٨ و (جماعة المدرسين) ٥٥٠ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٤٠٤.

(٢) الآية ٣٨ من سورة المائدة.

(٣) الآية ٢ من سورة النور.

(٤) الأمالي للشيخ المفيد ص٢٢ وبحار الأنوار ج٦٦ ص١٩٣.

(٥) مسند أحمد ج٢ ص٣٧٦ و ٤٧٩ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٨ ص٢١ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج١ ص٥٥ والمحلى لابن حزم ج١١ ص١١٩

وقد دل ذلك: على أن المعصية تؤثر على روح الإيمان، فتفارق إنسان المؤمن حين ارتكابه المعصية، ثم تعود إليه بواسطة التوبة.

ومن الواضح: أن الإيمان منسجم مع الفكرة، ومتوافق معها، فيدلنا ذلك على أن الفطرة أمر ثابت، ولكن ما حدث هو مجرد معصية لها، وخروج عن سلطانها، لا أنها قد تلوثت وتشوهت. ولذلك سمى الله ذلك فسقاً وعصياناً، وخروجاً عن طاعة الفطرة.

فإذا تاب الإنسان وعاد إلى الإنقياد إلى فطرته عاد إليه إيمانه، وانسجم مع فطرته من جديد..

غير أن هذه المعصية تؤثر على نفسه وروحه كدورة، وخفوتاً، وتحدث ظلمة.. وقد أشير إلى ذلك في بعض الروايات أيضاً، ولكن النفس ليست هي الفطرة..ولذلك ورد وصفها باللوامة، وبالأمَّارة بالسوء.

ومن الروايات التي دلت على تأثر النفس ما عن أبي عبد الله «عليه السلام»، من أن عيسى «عليه السلام» قال للحواريين: «وأنا آمركم أن لا تحدثوا أنفسكم بالزنا فضلاً عن أن تزنوا، فإن من حدث نفسه بالزنا كان

و ٢٢٧ وسنن أبي داود ج٢ ص٤١٠ وشرح مسلم للنووي ج٢ ص٤١ والمصنف للصنعاني ج٧ ص٤١٦ ومسند ابن الجعد ص١٢٠ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص٢٨٨ وصحيح ابن حبان ج١٠ ص٢٦٠ وكنز العمال ص١٣١١ و (ط مؤسسة الرسالة) ج١ ص٢٦٢.

كمن أوقد في بيت مزوق، فأفسد التزاويق الدخان وإن لم يحترق البيت»[(١)].

سادساً: إن القلة والكثرة في النسل لا أثر لهما في النطاق عنوان الفجور والفحشاء، وهما ينطبقان على المورد، ولو كان لمرة واحدة، لأنهما يحكيان طبيعة الفعل وحقيقته، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾[(٢)]. وقال سبحانه: ﴿**وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[(٣)]. وقال جل وعلا: ﴿**وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً**﴾[(٤)].

سابعاً: إن ما ذكر في الروايات عن بعض الحيوانات يشهد بأن مباشرة الأخ لأخته، أو لأمه مما تأباه الفطرة، حتى بالنسبة لبعض الحيوانات، فكيف بالإنسان؟!

---

(١) الكافي ج٥ ص٥٤٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٠ ص٣١٩ و (الإسلامية) ج١٤ ص٢٤٠ وغوالي اللآلي ج٣ ص٥٤٧ وبحار الأنوار ج١٤ ص٣٣١ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٠ ص٣٤٧ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٣٢٥.

(٢) الآية ٤٥ من سورة العنكبوت.

(٣) الآية ٢٨ من سورة الأعراف.

(٤) الآية ١٥ من سورة النساء.

لا إجماع على تزويج الإخوة بالأخوات:

وقد ادعى الفاضل المقداد: الإجماع على أن آدم «عليه السلام» قد زوج الإخوة بالأخوات، ثم رفع ذلك، واعتبر ذلك من موارد النسخ[١].

ونجيب:

أولاً: إن هذه المسألة ليست من الأحكام ليكون الإجماع حجة فيها.

ثانياً: لو سلمنا حجية الإجماع هنا، فإننا نقول: لم تكن المسألة معنونة عند أكثر العلماء.

ثالثاً: هو إجماع مدركي، معلوم المستند، فلا بد من النظر في مستنده.

رابعاً: هو إجماع منقول من قبل السيوري دون سواه.

لا سنخية بين الجن والإنسان!!:

وقالوا: لا بد في الزواج من السنخية بين الزوجين، وهي مفقودة بين الإنسان والجن.. تماماً كما هي مفقودة بين أنواع الحيوان.

ونجيب:

أولاً: إن الله تعالى هو خالق الأسباب، وجاعلها، وهو قادر على تبديلها بأسباب جديدة يبتدعها لمصالح تقتضي ذلك.. فكما خلق الله آدم «عليه السلام» من تراب يمكن أن يخلق من مادة الجن إمرأة من لحم ودم، تحمل بعض صفات الجن. وأن يخلق من مادة الحور امرأة لها بعض صفات الحور.

---

(١) اللوامع (اللوامع العشر) ص٢٢٢.

ثانياً: إن الله تعالى يمكن أن ينزل حورية وجنية على الحقيقة، ثم يوجد السنخية بينهما وبين الإنسان، لمصلحة تقتضي ذلك، وهي هنا أن يخلق صفوة خلقه من الطاهرين والطاهرات، حتى لا يخلقهم مما سيُظْهِر تحريمه الأبدي قبحَه وسوءَه في نفسه، حسبما بيناه.

ثالثاً: إن الله تعالى قد وعد البشر بالزواج من الحور العين في الآخرة، مع أن الحشر إنما يكون لهذه الأجساد والأرواح. فكيف يمكن هذا الزواج إذا كان لا سنخية بينهما؟! أليس لأن الله تعالى سيجعل سنخية بين الحور والبشر؟!

وأما الجنية، فيمكن أن يكون الله تعالى قد خلق من الطين، ما له أخلاق الجن وبعض صفاته. ويصح إطلاق الاسم عليها بهذه الملاحظة.

رابعاً: ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ**﴾(١) روايات كثيرة تدل على مشاركة إبليس ـ وهو من الجن ـ للبشر في الجماع،

(١) الآية ٦٤ من سورة الإسراء.

وفي اختلاط نطفة الرجل بنطفته إذا كان النكاح والمال الذي يبذل في سبيل الحصول على الأمة التي ينكحها حراماً[١]. وإذا لم يذكروا اسم الله عند الجماع[٢]. وفي حالات الزنا[٣]. ويعرف شك الشيطان بحبهم وبغضهم «عليهم السلام»[٤].

خامساً: لعلها جنية كشف عنها الغطاء، فتحولت إلى إنسية، ولعل تخصيص أحد الشخصين بالحورية، والآخر بالجنية لأجل فعل خاص صدر منه صار مستحقاً وملائماً للجنية، وفعل آخر صدر من ذاك جعله ملائماً للجنية.

---

(١) راجع: تفسير القمي ج٢ ص٢١ و ٢٢ وتفسير العياشي ج٢ ص٢٩٩ و ٣٠٠ والبرهان للبحراني (ط مؤسسة البعثة) ج٣ ص٥٤٥ و ٥٤٦ و ٥٤٧ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص١٨٣ و ١٨٥ وتفسير الميزان ج١٣ ص١٥٠ و ١٥١ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٣٩٦ وبحار الأنوار ج٥٧ ص٣٤٢ وج١٠١ ص١٣٦.

(٢) راجع: الكافي ج٥ ص٥٠١ ـ ٥٠٣ وكتاب الزهد ص٧ وتفسير العياشي ج٢ ص٢٩٩ و ٣٠٠ والبرهان للبحراني (ط مؤسسة البعثة) ج٣ ص٥٤٥ ـ ٥٤٧ وراجع ص٥٤٢.

(٣) راجع: تفسير العياشي ج٢ ص٢٩٩ والبرهان للبحراني (ط مؤسسة البعثة) ج٣ ص٥٤٧.

(٤) راجع: الكافي ج٣ ص٥٠٢ و ٥٠٣ والبرهان للبحراني (ط مؤسسة البعثة) ج٣ ص٥٤٦ وراجع ص٥٤٨.

لزوجت زينب من القاسم:

إن ما ورد في الروايات من أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «لو علمت أن آدم زوج ابنته من ابنه، لزوجت زينب من القاسم، وما كنت لأرغب عن دين آدم». لا يقصد به زينب زوجة أبي العاص بن الربيع، ليقال: إن هذا النص يدل على أن زينب هذه كانت ابنته حقيقة.

بل المقصود: هو زينب التي ماتت قبل الهجرة في مكة، وكانت لا تزال صغيرة، وكان سنها يقارب سن القاسم، الذي هو أصغر من زوجة أبي العاص بن الربيع بسنوات..

وقد قلنا في كتبنا: أنه كان للنبي «صلى الله عليه وآله» بنات اسمهن: زينب، ورقية، وأم كلثوم كن قد متن وهن صغار، ولم يتزوجن.

موازنة بين الروايات:

إن ملاحظة الروايات بمجموعها يعطي: أن الروايات التي أنكرت على القائلين بتزويج الإخوة بالأخوات قد رويت عن ثلاثة من الأئمة «عليهم السلام»، وهم الإمام الباقر، والصادق، والرضا «عليهم السلام»، وأن الرواة لها متعددون أيضاً، وهم:

١ ـ زرارة.. ولروايته نصوص مختلفة، ولا ندري إن كان «رحمه الله» كان يحكي لنا فيها وقائع مختلفة عنهم «عليهم السلام». أو أنه يحكي واقعة واحدة.

٢ ـ سليمان بن خالد.

٣ ـ أبو بكر الحضرمي.

٤ ـ معاوية بن عمار.

٥ ـ بريد العجلي.

٦ ـ مقاتل بن سليمان.

٧ ـ رجل من أصحابنا من أهل الجبل.

الروايات التي نعتمدها:

ويمكن أن يقال: إن هذه الروايات التي تنزه ساحة آدم «عليه السلام» عن تزويج أبنائه ببناته، وعددها أحد عشر رواية، وإن كان أكثرها ضعيفاً، فإن إحداها، وهي رواية الفقيه صحيحة كما تقدم.. كما أنه يمكن إثبات اعتبار بعضها الآخر.

أما الروايات القائلة بتزويج الإخوة بالأخوات، فهي اثنتان:

إحداهما: عن الإحتجاج، ولا تملك سنداً أصلاً.

والأخرى: عن قرب الإسناد، وهي صحيحة السند.

والروايات، النافية لزواج الإخوة بالأخوات، وكثرة الأدلة التي ساقتها، وتعدد الأئمة المنسوبة إليهم، وكثرة رواتها، وتعدد ألسنتها، وتأييد مضامينها بكثير مما ذكرناه، ومخالفتها للعامة، بالإضافة إلى أمور كثيرة ذكرناها يحتم الإلتزام بها، واعتبار تينك الروايتين صادرتين على سبيل التقية.

النتيجة المتوخاة:

فظهر من ذلك كله: أن روايات تزويج الإخوة بالأخوات لا يمكن الإعتماد عليها. مع معارضتها بكل هذه الروايات النافية. كما أن تلك

الروايات القليلة جداً لم تستطع أن تصل إلى ثلاث روايات، ومع موافقة العامة. وستأتي قرائن أخرى، حين نشير إلى التعليلات التي تضمنتها الروايات المتقدمة، والتي توجب رد تلك المقولة.

آدم وحواء أبوا البشر:

ولعلك تقول: إن حديث الحوراء والجنية مردود، لأنه ينافي كون آدم وحواء أبوي البشر.

ويجاب:

أولاً: بأنه يكفي أن يكونا أبوي البشر كون الولد الأول ابناً لهما، وإن تزوج بعد ذلك الحورية، أو زوَّجه آدم «عليه السلام» بالجنية، والشاهد على ذلك: قولهم: بنو تيم. مع أنه قد يكون لتيم أكثر من زوجة. وربما لا يكون لأولاده أيضاً زوجات من غير بني تيم.

ثانياً: لعل المراد بالحورية والجنية: أنهما كالحورية والجنية في الجمال والقبح، أو أن أخلاقهما تشبه أخلاق الحورية والجنية.

أو أن مبدأ خلق هذه وتلك هو الحور والجن، كما خلق آدم وحواء من تراب.

لماذا قتل هابيل؟!:

ذكرت بعض الروايات: أن قابيل قد قتل هابيل، لأن آدم «عليه السلام» أراد أن يزوجه أخت هابيل القبيحة، وأراد أن يزوج هابيل أخت قابيل الجميلة.. وهو كلام تنفيه الآيات والروايات الكثيرة التي ذكرت: أن

سبب قتله هو حسده له على قبول قربانه. قال تعالى: ﴿**إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾(١)

وقد صرحت بعض الروايات أيضاً: أنه قد حسد أخاه على ما أتاه الله إياه في وصايته لأبيه، لا لأجل أنه أراد أن يتزوج أخته الجميلة.

توضيح للمجلسي:

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»:

«قوله «عليه السلام»: «وإن كتب الله كلها فيما جرى فيه القلم».

لعل وجه الإستدلال: أن اتفاق تلك الكتب السماوية المعروفة على التحريم مع اختلاف الشرائع دليل على أنه مما لا يختلف باختلاف الأزمان والأحوال، ويكون ذكر «الأمور في اللوح»، لبيان ظهور فظاعة هذا القول، لاستلزامه أن يكون ثابتاً في اللوح في صحف آدم حرمة ذلك، وفي ذكر تقدير خلق أولاد آدم كونهم من الإخوة والأخوات، فيلزم: إثبات المتناقضين فيه.

ويحتمل: أن يكونوا قائلين بكون ذلك حراماً في جميع الشرائع، ومع ذلك قالوا بهذا ذاهلين عما يلزمهم في ذلك من التناقض لكنه بعيد جداً»(٢).

---

(١) الآية ٦٤ من سورة الإسراء.

(٢) بحار الأنوار ج١١ ص٢٢٤ و ٢٢٥.

إشارات ودلالات:

وقد لاحظنا: أن الروايات المتقدمة قد نقلت عن الأئمة «عليهم السلام» إشارات إلى العديد من الأمور التي تحتم رفض مقولة تزويج الإخوة بالأخوات، ومنها:

١ ـ الإشارة إلى أن ذلك من دين المجوس، ولعلهم هم أول من سوَّق له. وتقدم: أن الذي قال بهذا القول أراد به تقوية حجج المجوس . وهذا يدل على أن بعض المنافقين الذين كانت لهم صلة بالمجوس هم الذين أشاعوا هذا القول بين المسلمين.

٢ ـ إن الله تعالى لا يمكن أن يجعل أصل صفوة خلقه وأحبائه، وأنبيائه، ورسله، والمؤمنين، والمؤمنات، والمسلمين، والمسلمات من حرام.

٣ ـ إن الله تعالى قادر على أن يخلق صفوة خلقه من الحلال، ولو بأن يخلق لهم أزواجاً بعضهن كالحور في الجمال، وبعضهن كالجن في القبح أو في الأخلاق، وهم يختارون هذه أو تلك.

٤ ـ إن الله تعالى قد أخذ ميثاق البشر على الحلال، والطهر والطيب، فكيف يوقعهم في الرجس والحرام والخبيث؟!

فدل ذلك: على أن تزويج الإخوة بالأخوات فيه مفسدة في ذات الفعل، وتأباه الفطرة السليمة، فلا يشرعه الحكيم تبارك وتعالى.. وهذا هو منشأ قبحه المقتضي للمنع عنه، وليس قبحه بالوجوه والإعتبار، ناشئاً عن تحريم الشارع له كتزوج أخت الزوجة، فإنه محرم ما دامت الزوجة في حبالة الزوج، ولو في مدة العدة.

ثم ضرب «عليه السلام» مثلاً على ذلك بالبهائم التي ترفض النزوان على الأخوات والأمهات، وتعاقب نفسها بقطع غرمولها (أي آلتها التناسلية) لو صدر منها ذلك، ولو بسبب التدليس عليها.

٥ ـ إن فضل الإنسان على الحيوان يمنعه من فعل ذلك، فكيف يفعله الله تعالى بالإنسان؟!

٦ ـ إن إنسانية الإنسان تمنعه من فعل ذلك، ولعل مراده «عليه السلام» أن ذلك مما تأباه فطرته وطبيعته الإنسانية، إلا إذا خرج عن طبيعته هذه باتباع الشهوات. ولا يفعل الله تعالى بمخلوقاته ما يتناقض مع طبيعتهم وفطرتهم.

٧ ـ إن أهل العلم الصحيح ـ يعني أهل البيت «عليهم السلام» ـ يأبون القول بهذه المقولة.. ولا يقول بها إلا من ابتعد عن أهل بيوتات الأنبياء، وأخذ من حيث لم يؤمر أن يأخذ، فصار إلى الضلال والجهل بما كانت عليه الأمور الماضية من بدء أن خلق الله ما خلق، وما هو كائن ابداً.

أي أن هذا من البديهيات لمن عاش في بيوت الأنبياء، وعرف أقوالهم، واستقى من معينهم، والقول الآخر غريب عنهم، مرفوض في محيطهم. والأنبياء «عليهم السلام» أعلم بالله وبما أجراه في خلقه من كل أحد، فلا يصح الأخذ من غيرهم.

٨ ـ إن الله تعالى إذا كان قد أجرى القلم قبل خلق آدم بألفي عام بتحريم الإخوة بالأخوات. كما اتفق على روايته أهل الحجاز وفقهاء العراق، فكيف يصح منهم القول: بأن الله تعالى قد نقض ما قرره وكتبه قبل

خلق آدم؟!

٩ ـ واستشهد «عليه السلام» لذلك: بأن كتب الله المنزلة كلها تشهد بهذا التحريم.. لأن كتب الله المنزلة كلها قد نزلت من اللوح المحفوظ، لا من لوح المحو الإثبات.. واللوح المحفوظ إنما يسجل الحقائق كما هي، ولا تغيير ولا تبديل فيه، ومن جملة الحقائق: الأحكام الشرعية الثابتة لموضوعاتها بعناوينها الأولية..

١٠ ـ لو ان آدم قد زوج الأخ بأخته لما رغب عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأن هذا التشريع ليس من الأمور التي تنسخ، ربما لأنه ثابت استجابة لأمر تكويني وواقعي، فإن الأخوة، والأبوة، والبنوة حقائق ثابتة في الواقع، وملازمة للخلق، فيكون حكمها ثابتاً لها كلما وجدت.

وليس الأخوة، والأبوة، والبنوة من الموضوعات المخترعة للشارع، كالصلاة، ولا هو مما يرجع الأمر فيه إلى الناس.. مثل مفهوم التحية المأمور بها، فإن مصاديقها تكون بيد العرف، فقد يحييه برفع قبعته له، وقد يحييه بانحناءة، أو بتحية الجاهلية، أو بالسلام، أو بكلمة مرحباً، أو غير ذلك مما يصطلح عليه الناس..

١١ ـ إن حواء خلقت من فاضل طينة آدم لا من ضلعه الأيسر.

الباب الثالث:

لولا علي عليه السلام..

الفصل الأول:

ابن الأصفر يحرج معاوية فيلجأ لعليٍ عليه السلام..

معاوية وأسئلة ابن الأصفر:

١ ـ روى الأصبغ بن نباتة: أن صاحب الروم كتب إلى معاوية يسأله عن عشر خصال، فارتطم (أي سقط في الوحل) كما يرتطم الحمار في الطين، فبعث راكبا إلى علي الخ..

وفي نص آخر: عن علي، عن أبيه، عن ابن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن محمد بن قيس، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: بينا أمير المؤمنين «عليه السلام» في الرحبة والناس عليه متراكمون، فمن بين مستفت، ومن بين مستعد، إذ قام إليه رجل، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فنظر إليه أمير المؤمنين «عليه السلام» بعينيه تينك العظيمتين، ثم قال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من أنت؟!

فقال: أنا رجل من أهل رعيتك وبلادك.

قال: ما أنت من رعيتي ولا من أهل بلادي. ولو سلمت علي يوماً واحداً ما خفيت علي.

فقال: الأمان يا أمير المؤمنين.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: ما أحدثت في مصري هذا حدثاً منذ دخلته؟!

قال: لا.

قال: فلعلك من رجال الحرب.

قال: نعم.

قال: إذا وضعت الحرب أوزارها، فلا بأس.

قال: أنا رجل بعثني إليك معاوية متغفلاً لك، أسألك عن شيء بعث فيه ابن الأصفر وقال له: إن كنت أحق بهذا الأمر والخليفة بعد محمد «صلى الله عليه وآله»، فأجبني عما أسألك، فإنك إذا فعلت ذلك اتبعتك وبعثت إليك بالجائزة، [وفي نص آخر: إن أجبتني فيها حملت إليك الخراج، وإلا حملت إلي أنت خراجك] فلم يكن عنده جواب وقد أقلقه ذلك، فبعثني إليك لأسألك عنها.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: قاتل الله ابن آكلة الأكباد ما أضله وأعماه ومن معه! والله لقد أعتق جارية فما أحسن أن يتزوج بها.

حكم الله بيني وبين هذه الأمة، قطعوا رحمي، وأضاعوا أيامي، ودفعوا حقي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي. علي بالحسن والحسين، ومحمد.

فأحضروا.

فقال: يا شامي هذان ابنا رسول الله وهذا ابني، فاسأل أيهم أحببت.

فقال: أسأل ذا الوفرة ـ يعني الحسن «عليه السلام» ـ وكان صبياً.

فقال له الحسن «عليه السلام»: سلني عما بدا لك.

فقال الشامي: كم بين الحق والباطل؟!

وكم بين السماء والأرض؟!

وكم بين المشرق والمغرب؟!

وأول شيء ضج على وجه الأرض؟!

[وعن هذه المجرة].

[وعن هذا المحو الذي في القمر].

وما قوس قزح.

وعن أول شيء انفتح على وجه الأرض.

وعن أول شيء اهتز عليها].

وأين تأوي أرواح المسلمين؟!

وما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين؟!

وما المؤنث؟!

وما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض؟!

فقال الحسن بن علي «عليه السلام»: بين الحق والباطل أربعة أصابع، فما رأيته بعينك فهو الحق وقد تسمع بأذنيك باطلاً كثيراً.

قال الشامي: صدقت.

قال: وبين السماء والأرض دعوة المظلوم ومد البصر، فمن قال غير

هذا فكذبه.

قال: صدقت يا ابن رسول الله.

[وبين المشرق والمغرب يوم طراد للشمس].

[وأول شيء ضج على وجه الأرض، وادٍ باليمن. وهو أول فار منه الماء].

[وأما هذه المجرة فهي أشراج السماء، ومنها هبط الماء المنهمر].

[وفي نص آخر: فأبواب السماء فتحها الله على قوم نوح ثم أغلقها فلم يفتحها].

قال الشامي: صدقت، فما قوس قزح؟!

قال: ويحك لا تقل: قوس قزح، فإن قزح اسم شيطان، وهو قوس الله، وعلامة الخصب، وأمان لأهل الأرض من الغرق. [إذا رأوا ذلك في السماء].

[وأما المحو الذي في القمر، فإن ضوء القمر كان مثل ضوء الشمس فمحاه الله تعالى، وهو قوله: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آَيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آَيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آَيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾(١). وأما أول شيء انفتح على وجه الأرض فهو وادي داب(٢). وأما أول شيء اهتز على وجه الأرض فهي النخلة].

[ومثلها مثل ابن آدم إذا قطع رأسه هلك، وإذا قطع رأس النخلة إنما

(١) الآية ١٢ من سورة الإسراء.

(٢) لعل الصحيح: دلس.

هي جذع ملقى].

[وتأوي أرواح المسلمين عيناً في الجنة تسمى سلمى].

وأما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين فهي عين [في جب النار] يقال لها: برهوت [سلمى].

وأما المؤنث هو الذي لا يدري أذكر هو، أم أنثى؟! فإنه ينتظر به، فإن كان ذكراً احتلم، وإن كانت أنثى حاضت وبدا ثديها.

وإلا قيل له: بل على الحائط، فإن أصاب بوله الحائط فهو ذكر، وإن انتكص بوله كما ينتكص بول البعير فهي امرأة.

[وفي نص آخر: وأما الخنثى، فإنه يبول، فإن خرج بوله من ذكره فسنته سنة الرجال، وإن خرج من غير ذلك فسنته سنة المرأة].

وأما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض: فأشد شيء خلقه الله عز وجل هو الحجر، وأشد من الحجر الحديد، وأشد من الحديد النار تذيب الحديد، وأشد من النار الماء يطفئ النار، وأشد من الماء السحاب يحمل الماء، وأشد من السحاب الريح يحمل السحاب، وأشد من الريح الملك الذي يرسلها، وأشد من الملك ملك الموت الذي يميت الملك،و أشد من ملك الموت الموت الذي يميت ملك الموت، وأشد من الموت أمر الله رب العالمين، الذي يدفع به الموت.

فقال الشامي: أشهد أنك ابن رسول الله حقاً، وأن علياً [وصي محمد، و] أولى بالأمر من معاوية.

ثم كتب هذه الجوابات وذهب بها إلى معاوية فبعثها معاوية إلى ابن

الأصفر فكتب إليه ابن الأصفر: يا معاوية لم تكلمني بغير كلامك، وتجيبني بغير جوابك؟! أقسم بالمسيح ما هذا جوابك، وما هو إلا [من] معدن النبوة وموضع الرسالة، وأما أنت فلو سألتني درهماً ما أعطيتك.

٢ ـ وحسب نص آخر للراوندي قال: وروي: أن علياً «عليه السلام» كان في الرحبة، فقام إليه رجل، فقال: أنا من رعيتك وأهل بلادك.

قال «عليه السلام»: لست من رعيتي ولا من أهل بلادي، وإن ابن الأصفر بعث بمسائل إلى معاوية فأقلقته، وأرسلك إلي لأجلها.

قال: صدقت يا أمير المؤمنين، إن معاوية أرسلني إليك خفية، وأنت قد اطلعت على ذلك، ولا يعلمها غير الله.

فقال «عليه السلام»: سل أحد ابني هذين.

قال: أسأل ذا الوفرة. يعني الحسن.

فأتاه، فقال له الحسن: جئت تسأل كم بين الحق والباطل؟! وكم بين المشرق والمغرب؟! وما قوس قزح؟! وما المؤنث؟! وما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض؟!

قال: نعم.

قال الحسن «عليه السلام»: بين الحق والباطل أربع أصابع، فما رأيته بعينك فهو الحق، وقد تسمع بإذنيك باطلاً كثيرا.

قال الشامي: صدقت.

قال: وبين السماء والأرض دعوة المظلوم، ومد البصر، فمن قال لك

غير هذا فكذبه.

قال: صدقت يا ابن رسول الله.

قال: وبين المشرق والمغرب مسيرة يوم للشمس تنظر إليها حين تطلع من مشرقها وحين تغيب من مغربها.

قال الشامي: صدقت، فما قوس قزح؟

قال «عليه السلام»: ويحك، لا تقل قوس قزح فإن قزح اسم شيطان، وهو قوس الله، وعلامة الخصب، وأمان لأهل الأرض من الغرق.

وأما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين، فهي عين يقال لها: برهوت.

وأما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين وهي يقال لها: سلمى.

وأما المؤنث، فهو الذي لا يدري أذكر هو أم أنثى، فإنه ينتظر به، فإن كان ذكراً احتلم، وإن كانت أنثى حاضت وبدا ثديها.

وإلا قيل له: بُل على الحائط، فان أصاب بوله الحائط فهو ذكر، وإن انتكص بوله كما انتكص بول البعير فهي امرأة.

وأما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض، فأشد شيء خلقه الله عز وجل الحجر، وأشد من الحجر الحديد الذي يقطع به الحجر، وأشد من الحديد النار تذيب الحديد، وأشد من النار الماء يطفئ النار، وأشد من الماء السحاب يحمل الماء، وأشد من السحاب الريح تحمل السحاب، وأشد من الريح الملك الذي يرسلها، وأشد من الملك ملك الموت الذي يميت الملك، وأشد من ملك الموت الموت الذي يميت ملك الموت، وأشد من الموت أمر الله رب العالمين يميت الموت.

فقال الشامي: أشهد أنك ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حقاً، وأن علياً أولى بالامر من معاوية، ثم كتب هذه الجوابات وذهب بها إلى معاوية، فبعثها معاوية إلى ابن الأصفر، فكتب إليه ابن الأصفر: يا معاوية، لم تكلمني بغير كلامك وتجيبني بغير جوابك؟! أقسم بالمسيح ما هذا جوابك وما هو إلا من معدن النبوة وموضع الرسالة وأما أنت فلو سألتني درهما ما أعطيتك[1].

ونقول:

لاحظ ما يلي:

بنو الأصفر:

قال العلامة المجلسي: قوله: بعث فيه ابن الأصفر: أي ملك الروم.

---

(١) الخصال (جماعة المدرسين) ص٤٤٠ ـ ٤٤٢ و ٢٣٦ و (ط أخرى) ج٢ ص٥٠٦ وبحار الأنوار ج١٠ ص١٢٩ ـ ١٣١ وراجع: ج٣٣ ص٢٣٨ ـ ٢٤٠ وج٤٣ ص٣٢٥ و ٣٢٦ وج٧ ص١٩٩ وج٧٢ ص١٩٦ وج١٠١ ص٣٥٨ وج٦ ص٢٨٤ وج٥٦ ص٢٧٧ والخرايج والجرايح ج٢ ص٥٧٢ و ٥٧٣ وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٥٤ والاحتجاج ج٢ ص١٣ ـ ١٧ وروضة الواعظين ص٥٧ ومدينة المعاجز (ط الحجرية) ص٢٢٢ وحلية الأبرار ج١ ص٥٠٣ وإثبات الهداة ج٤ ص٥٥٢ وج٥ ص١٦٢ ووسائل الشيعة (ط الاسلامية) ج٨ ص٤٤٨ وتحف العقول ص٢٢٨ والصراط المستقيم ج٢ ص١٧٨.

وإنما سمي الروم بنو الأصفر، لأن أباهم الأول كان أصفر اللون، وهو روم بن عيص، بن إسحاق، بن إبراهيم. كذا ذكره الجزري[١].

وقال الفيروزآبادي في القاموس: وبنو الأصفر ملوك الروم أولاد الأصفر بن روم بن يعصو.

أو لأن جيشاً من الحبش غلب عليهم فوطأ نساءهم، فولد لهم أولاد صفر[٢].

معاوية أرسلك؟!:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة برقم١: أن ذلك الشامي بادر إلى الإعتراف بأن معاوية أرسله بمسائل إلى علي «عليه السلام»، ولكن رواية الخرائج تقول: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال له: «ولكن ابن الأصفر بعث إلى معاوية بمسائل أقلقته، وأرسلك إلي بها.

قال: صدقت يا أمير المؤمنين، إن معاوية أرسلني إليك في خفية، وأنت قد اطلعت على ذلك، ولا يعلمه غير الله».

وهذا الإخبار العلوي عن أمر غيبي من شأنه أن يظهر للناس: أن علياً «عليه السلام» لم يكن مجرد عالم كسائر العلماء الذين عرفوهم، وأنه لم يحصل على معارفه بجهد شخصي، لو أن غيره بذل من الجهد مثل ما بذل لنال ما

---

(١) بحار الأنوار ج١٠ ص١٣١ وراجع النهاية في اللغة، باب الصاد مع الفاء.

(٢) القاموس المحيط ج٢ ص٧١ وراجع وفيات الأعيان ج٦ ص١٢٦.

نال. بل هو عالم مسدد من قبل الله تبارك وتعالى، ولديه علوم لا تنال بالجهد، لأنها علوم توقيفية تحتاج إلى توفيق ورعاية ربانية. وهي لا تنال إلا بالطهارة التامة، وبالطاعة المطلقة المحققة لرضاه تبارك وتعالى..

الإمام الحسن عليه السلام يخبر بالغيب أيضاً:

وقد أكد هذه الخصوصية ما ذكره نص الخرائج أيضاً، من أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد بادر إلى إخبار الشامي بالمسائل التي جاء بها من الشام، فبيَّن لهم بذلك: أن الإخبار بالغيوب لا يختص بعلي «عليه السلام»، بل هو سمة الأئمة الأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم. فقد تقدم: أن الشامي حين أتى الإمام الحسن «عليه السلام» ليسأله، قال له «عليه السلام»: «جئت تسأل: كم بين الحق والباطل، وكم بين الأرض والسماء إلخ..».

من أنت؟!:

إن الإمام «عليه السلام» بادر إلى سؤال ذلك الرجل عن نفسه، قبل أن يسأله عن حاجته، فإنه «عليه السلام» قد أنكره، وعرف أنه غريب عن بلاده بمجرد رؤيته له. وبما أنه مسؤول عن رعيته، في أمنها وفي جميع شؤونها، فالمسؤولية ـ مع غض النظر عن الإمامة ـ تفرض أن يُعْرَف هذا الشخص الغريب بصورة دقيقة، لكي يؤمن شره ومكره، إن كان قد كلف بمهمة شريرة وماكرة..

فإذا عرف ذلك الشخص نفسه بما يزيل الشبهة عنه، أمكن السماح له بالدخول في سائر المجالات..

وحين كذب عليه ذلك الشخص، واجهه «عليه السلام» بالتكذيب الصريح فإن من كذب علناً لا بد أن يتم فضحه علناً أيضاً.

وقد جاء هذا التكذيب له مدعماً بالدليل والشاهد، فقد أخبره علي «عليه السلام» أنه لو كان من رعيته ومن بلده لكان رآه، والتقى به، ولو رآه مرة واحدة لم يغب عنه، فإن علياً لا ينسى من يمر عليه..

فعرف ذلك الرجل أن استمراره بالمكايدة سيؤكد الشبهة عليه، وقد يؤخذ على أنه مدسوس من قبل عدو، فإذا فحص علي «عليه السلام» عن ذلك، ووجد أنه من مناطق سيطرة معاوية، فذلك يعني تكريس هذه التهمة فيه، ولم يكن ذلك الشامي يريد ذلك، فاعترف بأنه غريب عن تلك البلاد..

الأمن قبل كل شيء:

وأول سؤال وجهه «عليه السلام» إلى ذلك الغريب كان عما يحفظ أمن الناس، الذي هو من أوجب الواجبات، ومن الأولويات عنده.

ولم يعطه الإمام «عليه السلام» الأمان إلا بعد أن أجابه على السؤال المرتبط بأمن أهل مصره..

بل إنه حتى بعد أن أجابه بنفي أن يكون قد أحدث في مصره حدثاً لم يصرح بإعطائه الأمان. بل اكتفى بإظهار القبول بدخوله إلى مصره بعد أن تضع الحرب أوزارها. مما يعني: أن دخوله لو حصل في حال كانت الحرب قائمة سيكون غير مقبول. كما أنه لو أحدث حدثاً في بلاد المسلمين فلابد من ملاحقته، في زمن الحرب أو في غيره.

حكم الله بيني وبين الأمة:

وقد صرح «عليه السلام»: بما دل على أن الأمة هي المسؤولة عما حاق به من ظلم وحيف، ومن تعديات على الدين وأهله.. إذ لولا انقيادهم لمن غصبوه حقه، وقبولهم بأن يكونوا سيفهم وسوطهم، لم يتمكنوا من العبث بتوجيهات وأوامر الله ورسوله، ولا بد أن تحاسب الأمة على هذا التقصير، بل على هذا العدوان الذي اختارت أن تشارك فيه.

قطعوا رحمي، كيف؟!:

وحين ذكر «عليه السلام»: أن هذه الأمة قد قطعت رحمه، فالمراد: أنهم لم يراعوا رحمه من رسول الله «صلى الله عليه وآله». فيكونون بعملهم هذا قد أساؤا إليه وإلى الرسول في آن واحد. أو المراد أنهم لم يراعوا حقه الذي أوجبه الله عليهم، فقطعوا صلتهم معه، وهي صلة الآخرة، والإيمان، والولاية.

أضاعوا أيامي، كيف؟!:

وأما إضاعة الأمة أيامه فلأنهم لم يقدِّروا له جهاده في سبيل إقامة هذا الدين، وتأييده وحفظه من كيد الكافرين والمشركين، وقد كانت له وقائع عظيمة وأيام هائلة في نصرة الله ورسوله، فقد أضاعوها، وأبطلوا الأثر المتوخى منها، وكان حفظها سيعود عليهم، وعلى الإسلام والإيمان، بأفضل العوائد وأسنى الفوائد.. أو أضاعوا أيامي، بمعنى: أنهم بتركهم الآخرين يغتصبون الخلافة قد أضاعوا الكثير من الفوائد والعوائد والبركات الدنيوية والأخروية التي كانت ستحصل لهم.

هل كان الإمام الحسن صبياً؟!:

وتقدم قول الرواية: «اسأل ذا الوفرة ـ يعني الحسن «عليه السلام» ـ وكان صبياً».

وهو كلام غير دقيق، فإنه «عليه السلام» قد ولد في السنة الثالثة من الهجرة، وقد بدأت خلافة أمير المؤمنين «عليه السلام» في سنة خمس وثلاثين للهجرة، فلو أن هذه القضية قد حصلت في أول سني خلافته «عليه السلام» لكان عمر الإمام الحسن «عليه السلام» اثنين وثلاثين سنة[1]. فكيف تقول الرواية: إنه «عليه السلام» كان صبياً؟!

ونظن: أن هذه الكلمة قد صحفت عن كلمة أخرى، ولعل الصحيح: «وكان ملياً»، أي من العلم، أو «وكان فتياً»، على حد ما ورد في نداء جبرئيل بين السماء والأرض:

لا فتـى إلا عـلي لا سيف إلا ذو الفقار

فلاح علي عليه السلام وخذلان معاوية:

وقد بينت هذه الواقعة ـ بغض النظر عن علم الإمامة، وصفاتها وحالاتها ـ شدة يقظة أمير المؤمنين «عليه السلام»، وسهره على رعيته، ومدى ضبطه لأمر الأمن فيها، فإنه «عليه السلام» يميز الدخيل من الأصيل من أول نظرة، كما أنه «عليه السلام» لا تخطئ فراسته، ولا يقع

---

(١) راجع: بحار الأنوار ج١٠ ص١٣٢.

أحد في مأزق، ولا يضيع له حق نتيجة ضعف ذاكرة الحاكم، أو غلطه، لأنه «عليه السلام» لا ينسى من يراه، ولو لمرة واحدة.

ولا يستطيع أحد أن يدلس نفسه عليه، ويخلط نفسه بأصحابه مستغلاً غفلته، أو عدم معرفته به.

وهذه اليقظة البالغة هي التي سهلت له «عليه السلام» كشف حقيقة ذلك الرجل من أول نظرة..

أما معاوية فقد باء بالفضيحة المخزية، حيث عرف الناس كلهم أنه عاجز عن حفظ ماء وجهه أمام ملك الروم، فلجأ إلى المكر والحيلة، ليستخرج الأجوبة من سيد الوصيين عليه رغم شدة عدائه، وحربه له. ورغم أن معاوية يدَّعي لنفسه الخلافة والزعامة للأمة، مع أنه مقام إلهي، لا سبيل إليه إلا بالنص من الله ورسوله، وعماده عصمة الإمام عن الخطأ وعن السهو والنسيان، والعلم الخاص الذي يختصه الله تعالى به، بالإضافة إلى معرفته التامة بكل ما تحتاج إليه الأمة، وعمق الصلة بالله تبارك وتعالى..

وكان هذا الذي جرى من موجبات إظهار مدى الخواء لديه من أي مؤهلات لهذا المقام الجليل الذي يدعيه.

ويكون بما أراده من استغفال علي «عليه السلام» قد قدم دليلاً حسياً على شدة ظلمه لأمير المؤمنين «عليه السلام»، ويبين بما لا شك فيه ولا شبهة تعتريه: أنه معتد، ومتوثب على ما ليس له..

كما أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد قدم دليلاً حسياً: على أنه على الضد مما ظهر من حال معاوية، فهو «عليه السلام» الرجل اليقظ والحازم،

والمشمول باللطف الإلهي، وهو المعصوم والمسدد، والعالم بكل الأسرار والخفايا التي تحتاج إليه الأمة في قضاياها.

ثم إنه «عليه السلام» أثبت عملياً: أنه متصل بالغيب، حيث أخبر ذلك الرجل بأمره، وما جاء له قبل أن يصرح له به كما في رواية الراوندي.. هذا بالإضافة إلى ما قدمناه من إخبار الإمام الحسن «عليه السلام» لذلك الشامي بعين المسائل التي جاء بها، قبل أن يذكر منها شيئاً كما تقدم..

ملك الروم وشرائط الإمامة:

وقد ظهر أن ملك الروم يرى: أن خليفة النبي يجيب على مختلف الأسئلة الصعبة، وأن عجزه عن ذلك يدل على ادعائه مقاماً ليس له. وأن اختباره في هذا الأمر يكفي للإذعان والانقياد له أو صرف النظر عنه..

ولذلك أعطى ملك الروم عهده بأن يتبع معاوية إن أجابه بنفسه عن تلك الأسئلة التي أراد أن يمتحنه بها.

غير أن الذي ظهر هو أن ملك الروم كان عارفاً بأمر معاوية، وبأنه متغلب ومدع لما ليس له. وأنه كان على درجة دراية بمنطق معاوية، واقفاً على ما ينطوي عليه من خواءٍ علمي، وفراغ مضموني. وأن الأجوبة التي بعث إليه بها لم يكن هو مصدرها، بل هي قد خرجت من معدن النبوة، وموضع الرسالة..

وما نريد أن ننبه إليه الآن هو أن معرفة ابن الأصفر بذلك قد كانت ـ فيما يظهر ـ عن طريق الكتب الدينية التي كانت بحوزته.. وربما كانت هي ما انساق إليه بعقله ووجدانه، حيث إن العقل والوجدان يقضي بأن يكون

خلفاء الأنبياء أعلم الناس بما جاؤوا به، وإن علمهم بالأسرار والخفايا هو الذي يميزهم عن غيرهم، بالإضافة إلى تميزهم في ملكاتهم ومزاياهم، وفي سلوكهم الملتزم بخط الشرع والدين إلى حد العصمة عن كل خطأ وخطل، في الفكر، وفي القول والعمل.

يلاحظ: أن ملك الروم قال له: إن كنت أحق بهذا الأمر والخليفة بعد محمد «صلى الله عليه وآله»، فأجبني عما أسألك. ولم يقل له: الخليفة بعد من سبقك من الخلفاء، وهذا يكشف عن مرتكز ذهني ثابت في وجدان الأمم الأخرين ـ فضلاً عن المسلمين ـ بما فيهم اليهود والنصارى حول مقام خلافة النبي «صلى الله عليه وآله»، ومواصفات الخليفة، ومنها: العلم الخاص، والعصمة، ويظهر: أن ملك الروم كان يعلم: بأن معاوية ليس هو صاحب الحق، لكنه أراد أن يسخر منه ويصغره.

وقد صرح ذلك الشامي بأن أسئلة ابن الأصفر قد أقلقت معاوية، وحق له أن يقلق، لأنه كان يعرف حجم نفسه، وأنه لا يملك ما يدفع به عن نفسه غائلة عجزه وجهله، ولأنه يواجه خطر فضيحة، من شأنها أن تضعف موقفه الظالم ضد أمير المؤمنين، وسيد الوصيين عليه الصلاة والسلام..

معاوية بنظر علي عليه السلام:

وقد صرح علي «عليه السلام» بما دل على نظرته الثاقبة إلى واقع معاوية، فدلنا بكلامه على الأمور التالية:

١ ـ إن معاوية ليس فقط كان ضالاً كسائر الناس الضالين، بل هو ممعن في الضلال إلى حد يثير العجب والإستهجان..

كما أنه ليس فقط لا يبصر حتى ما هو ماثل أمام عينيه، بل هو شديد العمى عنه.. ولذلك قال «عليه السلام» على سبيل التعجب: «ما أضله وأعماه»!.

٢ ـ إن هذه الحالة لا تختص بمعاوية، بل هي حال أصحابه معه، الأمر الذي يدعو إلى اليأس عن أن يجد من يرشده إلى طريق الحق والهدى والصلاح..

٣ ـ إن معاوية هو من ذلك البيت الذي يمعن في البعد عن الخير والصلاح، إلى حد أن نساءه يشققن بطون الأخيار، ويأكلن أكباد الشهداء الأطهار. فكيف تكون حال رجال ذلك البيت يا ترى؟!

وهل ينتج محيط كهذا إلا الذين يكرهون الصلاح والصالحين، والحق وأهل الحق..

٤ ـ إنه «عليه السلام» أكد ما قاله عن معاوية بتقديم نموذج حي يدلل على مدى بعده عن العلم والفقه، فإنه لم يحسن أن يتزوج بجاريته التي أعتقها. مع أن هذا من أبده البديهات، وأوضح الواضحات..

ويقول بعض الأخوة:

لعل الإمام أراد أن يعبر عن مدى شقاء معاوية، وإمعانه في الغي إلى درجة أن اللقمة لو كانت بيده حلالاً لغمسها بالحرام ليأكلها حراماً، لأنه لا يستسيغ الحلال.

وفي تقديري: أنه كان لمعاوية جارية، فأعتقها، ثم زنا بها. مع أنه كان يستطيع أن يتزوج بها لينال بذاك أجراً، لكنه زهد بالأجر ورغب بما يوجب

السخط والعذاب.

هذا ابني، وهذان ابنا الرسول صلى الله عليه وآله:

وقد قال «عليه السلام» لذلك الشامي، حين حضر الإمامان الحسنان «عليهما السلام»، وابنه محمد: يا شامي، هذان ابنا رسول الله، وهذا ابني، فاسأل أيهم أحببت.

وقد تضمن كلامه هذا الإشارة إلى العديد من الأمور، مثل:

١ ـ أن ولده محمد بن الحنفية كان أيضاً قادراً على أن يجيب على أسئلة ذلك الشامي، التي عجز عنها معاوية وحزبه، ولجأ فيها إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»..

٢ ـ إن هذا يدل على أن لمحمد أيضاً مقاماً عظيماً في العلم، وأنه كان أهلاً للثقة التي منحه إياها أبوه «عليه السلام».

٣ ـ إن هذا يدل على أن أمير المؤمنين «عليه السلام» كان عارفاً بحقيقة المسائل التي يحملها ذلك الشامي. وكان يعرف أن أجوبتها حاضرة لدى محمد بن الحنيفة.

ولم تكن هذه المعرفة ميسورة للناس بالطرق العادية.

فدل ذلك على أنه قد عرف بها من طريق غير عادي، يؤكد أن له خصوصية إطلاعه على الغيوب لم تكن لدى غيره من البشر. ولو من حيث أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخبره عن جبرئيل «عليه السلام» عن الله عز وجل بهذا الحدث بكل تفاصيله.. أو أنه علمه بوسائل أخرى ترتبط

بعلم الإمامة، وقدرات الإمام.

٤ ـ لقد نسب علي «عليه السلام» الإمامين الحسنين «عليهما السلام» إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» تكريماً لهما، وإعظاماً للرسول «صلى الله عليه وآله».. وليدل الشامي على أن عليه أن يتجه بكل وجوده نحو أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة.. ويريد أن يضعه أمام موازنة وجدانية ومقارنة واقعية عليه أن يجريها بين أهل هذا البيت، وبين البيت الذي نشأ فيه معاوية، وكانت تديره امرأة ـ هي أم معاوية ـ لم تتورع أن تشق بطون الشهداء لتستخرج أكبادهم، وتأكلها..

٥ ـ إن نفس تقديم محمد كعالم بالخفايا والأسرار، قادر على حل معضلات المسائل، مع أنه ليس هو ابن الرسول، بل هو نتاج تربية علي وحسب، يُظْهِر البون الشاسع بين معاوية الذي عرفنا مدى خوائه العلمي، وعدوانيته للحق وأهله، وجرأته على ظلم الأنبياء في أوصيائهم، وفي أهل بيت النبوة، والذي يدعي ما ليس فيه. وبين بيت يربي أمثال محمد، في علمه، وتقواه، واستقامته وهداه والتزامه طريق الحق والخير والسداد.

من قال غير هذا فكذبه؟!:

١ ـ تضمنت الأجوبة قول الإمام الحسن «عليه السلام»: «وبين السماء والأرض دعوة المظلوم، ومد البصر، فمن قال غير هذا، فكذبه».

ولم يطلب الإمام «عليه السلام» تكذيب من يجيب بغير أجوبته إلا في هذا المورد.

ولعله «عليه السلام» أراد أن يسد الطريق على كل مدع للزور والكذب،

الذي قد يبادر إلى طرح أرقام خيالية للمسافات، من دون شاهد أو دليل سوى مجرد الادعاء والتحكم، ممن يعلم بأن أحداً لا يستطيع إثبات كذبه، لعدم إمكان قياس المسافات في أمثال هذه الأمور.

فإذا عرف أمثال هؤلاء الدجالين أنهم سيواجهون بالتكذيب، وسيطالبونهم بإقامة البراهين على دعاواهم الجزافية، فإنهم سيضطرون إما إلى الانسحاب الذليل، لعجزهم عن إثبات صحة أقوالهم وتخرصاتهم.

أي أن هذا الموقف من هؤلاء يجعلهم مطالبين إما بإثبات صدقهم، أو بالاعتراف بكذبهم، وتراجعهم، وهم يجرون أذيال الخزي والخيبة..

٢ ـ إن إجابة الإمام عن المسافة بين السماء والأرض، قد تضمنت امرين:

أحدهما: تربوي، يفيد في تهذيب الروح، وترويض النفس على طاعة الله، والخشية منه، ويدفعها لمراقبته في كل قول وفعل، في أمر هو من أكثر الأمور حضوراً في حياة الناس، فإن أكثرهم ظالم لنفسه ولغيره، يحتاج إلى أن يشعر بقهارية الله تعالى، وإلى أنه بالمرصاد، وإلى أن عدم معاجلته بالعقوبة لا تعني إفلاته منها، بل هي لطف به، لأنها تدعو إلى التوبة و الإنابة.

الثاني: جواب حسي يرتكز إلى: أن من معاني السماء في اللغة العربية: الفضاء المحيط بالأرض، وهو ما يظهر فوقنا كقبة عظيمة فيها الشمس والقمر وسائر الكواكب[1].

فرؤية هذه القبة وما فيها معناه أن البصر قد اخترقها، واستمر في

---

(١) أقرب المواد (ط سنة ١٩٩٢م) ج٢ ص٥٤٥.

امتداده إلى أن بلغ تلك المرئيات، فإذا امتد ليرى أبعد الكواكب، فذلك يعني أنه قد قطع تلك المسافات كلها مهما كانت هائلة، فإنها كلها تقع في مدى هذه القبة التي تحتويها، وقد نالها بصره.

فالنتيجة هي: أن الجواب صحيح من الناحية الحسية.

وقد يقال: إن هذا الجواب لا يصح: لأن مد البصر إنما يكون في داخل السماء، ولكنه لا يخترقها، لأن ما يخترقه البصر في تلك القبة لا يصل إلى القبة نفسها.

ويجاب:

بأن البصر إذا وصل إلى تلك القبة المسماة بالسماء، فذلك يعني أنه قد قطع المسافة كلها.

الفصل الثاني:

معاوية يسأل علياً عليه السلام

معاوية يسأل علياً مباشرة:

سعيد بن منصور، عن شيخ من فزارة قال: سمعت علياً «عليه السلام» يقول: الحمد لله الذي جعل عدونا يسألنا عما نزل به من أمر دينه، إن معاوية كتب إلي يسألني عن الخنثى المشكل، فكتب إليه أن يورثه من قبل مباله[1].

ونقول:

وقد دلت هذه الرواية على ما يلي:

١ ـ إن معاوية كان يجهل حكم الخنثى المشكل، ويريد ببغيه أن يقصي الخليفة المنصوب من قبل الله ورسوله، ليأخذ هو مقام خلافة النبوة الذي يكون من أبسط مسؤولياته معرفة الأحكام الشرعية. فضلاً عما سوى ذلك من علوم.

٢ ـ لولا أن معاوية كان في أمر الخنثى في غاية الإحراج، ويخاف من

(١) كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١١ ص٨٢ وفلك النجاة لفتح الدين الحنفي ص١٧٥ والعلم والعلماء، تأليف أبي بكر جابر الجزائري (ط دار الكتب العلمية) ص١٧٥ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص١٧٤ و ١٧٥.

التشنيع عليه في صورة الخطأ في الحكم لم يكتب إلى علي ولا إلى غيره، ولكان قد أفتاهم بما خطر بباله، وعليهم أن يرضوا به من دون نقاش.

٣ ـ إن ما يهم علياً «عليه السلام» هو إجراء أحكام الشريعة، ولم يكن يهتم بتسجيل النقاط على أحد، حتى لو كان عدوه.. ولذلك لم يتوان في الكتابة إلى معاوية بما طلب..

٤ ـ إن علياً «عليه السلام» يحمد الله تعالى على أن ذلك الباغي عليه، والمكابر يضطر للاعتراف عملياً، وبصورة مكتوبة بمرجعية علي «عليه السلام» في أمور الدين، ولا يزيد على ذلك.

٥ ـ إن معاوية حين يكتب لعلي «عليه السلام» بأسئلته، فإنه يكون قد أعطى وثيقة حية وقابلة للتداول تؤكد على انه لا يملك المؤهلات للمقام الذي يقاتل للحصول عليه..

سؤال معاوية عمن قتل من يزني بزوجته:

روى ابن المسيب: أنه كتب معاوية إلى أبي موسى الأشعري يسأله أن يسأل علياً عن رجل يجد مع امرأته رجلاً يفجر بها، فقتله، ما الذي يجب عليه؟!

قال : إن كان الزاني محصناً فلا شيء على قاتله، لأنه قتل من يجب عليه القتل(١).

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٨٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٢٠٠ وبحار الأنوار ج٧٦ ص٥٣.

وفي رواية صاحب الموطأ، فقال «عليه السلام»: أنا أبو الحسن، فإن لم يقم أربعة شهداء فليعط برمته[١].

ونقول:

أحكام الشريعة بنظر معاوية:

قلنا: إن معاوية لم يكن يهتم كثيراً لحفظ الأحكام الشرعية، ويدل على ذلك الكثير من الأمور، ومنها تحليله الربا، فلما اعترض عليه أبو الدرداء بنهي رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنه.

قال معاوية: ما أرى بهذا بأساً.

فقال أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية؟! أنا أخبره عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويخبرني عن رأيه!! لا أساكنك بأرض أنت بها.

ثم قدم أبو الدرداء على عمر بن الخطاب، فأخبره. فكتب عمر بن

---

(١) كتاب الموطأ لمالك ج٢ ص٧٣٨ وكتاب المسند للشافعي ص٣٦٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٢٣١ و ٣٣٧ ومعرفة السنن والآثار ج٦ ص٣٤٨ و ٤٧٩ والإستذكار لابن عبد البر ج٧ ص١٥٧ والمغني لابن قدامة ج٩ ص٣٣٦ وج١٠ ص٣٥٣ ونصب الراية ج٤ ص٩٤ وشرح الأخبار ج٢ ص٣٢٣ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٨٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٢٠٠ وبحار الأنوار ج٧٦ ص٥٣ والغدير ج١٠ ص٢٠٩ .

الخطاب إلى معاوية: أن لا تبيع ذلك. إلا مثلا بمثل، وزناً بوزن(١).

وكيف يكون معاوية مهتماً بأحكام الشريعة، وكيفي توقع منه ذلك وهو من الشجرة الملعونة في القرآن (الكريم). وقد شغل نفسه عن إجابة النبي «صلى الله عليه وآله» وطاعته، معتذراً بأنه يأكل حتى استوجب سخط الله ورسوله «صلى الله عليه وآله»: لا أشبع الله له بطناً، أو لا أشبع الله بطنه. وقال «صلى الله عليه وآله»: إذا رأيتموه على منبري فاقتلوه.

وهل يمكن أن يكون معاوية مهتماً بأحكام الشريعة، والحال قد قتل في صفين من أهل بيعة الرضوان ٦٣ رجلاً(٢).

---

(١) موطأ مالك ج٢ ص١٣٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٢ ص٦٣٤ ومعرفة السنن والآثار ج٤ ص٢٩٣ والتمهيد لابن عبد البر ج٤ ص٧٠ والمجموع للنووي ج١٠ ص٣٠ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٢٢٧ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٢ والغدير ج١٠ ص١٨٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٢٨٠ وأضواء البيان للشنقيطي ج١ ص١٨٠ والإستذكار لابن عبد البر ج٦ ص٣٤٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢٠ ص٢٧ والنصائح الكافية ص١٢١.

(٢) الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٢ ص٢٧٨ و (ط دار الجيل) ج٣ ص١١٣٨ والتنبيه والإشراف ص٢٥٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٥٤٥ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٢٦٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٠ ص١٠٤ والدرجات الرفيعة ص٢٥٧ وتاريخ خليفة بن خياط ص١٤٨ وشرح الأخبار ج١ ص٤٩٢ وج٢ص٩ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٣٧٩

ومن أهل بدر ٢٥ رجلاً[١]. بل قتل في تلك الحرب التي أثارها معاوية سبعون ألف قتيل، كما رواه المنقري[٢].

معاوية يضطر لسؤال علي عليه السلام:

وبناء على هذا يتأكد لزوم الإجابة على سؤال: لماذا إذن يكتب إلى أبي موسى الأشعري، ليسأل علياً «عليه السلام» عن هذا الحكم الشرعي؟!

ونجيب:

بأن استهتار معاوية بالأحكام لا يعني أنه يتجاهر بذلك، لا سيما إذا كان التجاهر سيتسبب بإلحاق الضرر به، وتقوية شوكة علي «عليه السلام».

والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص١٠٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص٥٢١.

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج٢ ص٥٨٠ وشرح الأخبار ج٢ ص١٤ وعمدة القاري ج١٦ ص١٤١ ومعجم البلدان ج٣ ص٤١٤ والتنبيه والإشراف ص٢٥٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٥٤٢ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٧ ص٣٠٤ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٤٩٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٤٠٣ وج٣٢ ص٥٢٠.

(٢) وقعة صفين للمنقري ص٥٥٨ والثقات لابن حبان ج٢ ص٢٩١ و ٢٩٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٣ ص٤٨٢ وتهذيب الكمال ج٢١ ص٢٢٦ وأنساب الأشراف للبلاذري ص٣٢٢ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٧ ص٣٤٦ وعن مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص٤٠٥.

الذي لا يمكن أن يسكت على استهتاره هذا لو كان متجاهراً به.

يضاف إلى ذلك: أن قوة علي«عليه السلام» في الأمة إنما كانت تترسخ بما يظهره من علوم وحقائق، وبما يشير إليه من أسرار ودقائق في مختلف الإتجاهات، فلا يصح من معاوية أن يظهر نفسه بمظهر الجاهل بأبسط المسائل. فإن ذلك سيضعفه كثيراً في منصبه، خصوصاً أنه (معاوية) جلس في مجلسه باسم الإسلام، والقرابة المزعومة التي تربطه بالنبي «صلى الله عليه وآله»، فإن بني أمية كانوا يزعمون أنهم لأقرباء الرسول «صلى الله عليه وآله». كما يدل عليه: أن عشرة من أمراء أهل الشام وقادتها، وأهل الرياسة فيها حلفوا للسفاح السياسي بالطلاق والعتاق، وصدقة ما يملكون أنهم ما كانوا يعرفون لرسول الله «صلى الله عليه وآله» قرابة غير بني أمية[1].

علي عليه السلام يسخو بعلمه:

ولذلك نلاحظ: أن معاوية كان يتحايل على أمير المؤمنين «عليه السلام» للحصول على أجوبة المسائل منه، وكان «عليه السلام» واقفاً على ذلك، وقد صرح به حين أجاب عن سؤال ملك الروم.

ولكنه «عليه السلام» لم يكن يبخل بالإجابة حتى لو كان السائل هو معاوية، الذي كان يبغي له الغوائل ليل نهار، بل حتى لو ورد عليه السؤال، وهو في ساحات القتال معه.

---

(١) راجع مصادر ذلك في كتابنا: الحياة السياسية للإمام الرضا «عليه السلام» في بعض هوامش الفصل الأول.

تواطؤ أبي موسى:

إن كتابة معاوية لأبي موسى الأشعري ليسأل له علياً «عليه السلام»، ومبادرة الأشعري إلى تنفيذ طلبه شاهداً آخر على انحراف هذا الرجل، أعني أبا موسى عن علي «عليه السلام»، وموالاته لأعدائه.. والإنحراف عن علي يساوي الإنحراف والتنكب عن الصراط المستقيم كما قال الله ورسوله «صلى الله عليه وآله»، والآيات والروايات المصرحة بذلك كثيرة جداً تفوق حد التواتر.

منها قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾(٢).

وقوله سبحانه: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾(٣).

وهناك الكثير من الروايات، منها قوله «صلى الله عليه وآله» لعائشة: إنها ستحارب علياً «عليه السلام»، وستأتي ناكبة على الصراط.

وقوله «صلى الله عليه وآله»: حب علي إيمان، وبغضه كفر.

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٣) الآية ٥٥ من سورة المائدة.

وقوله «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق.

وقوله «صلى الله عليه وآله»: علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار.

والروايات في ذلك تفوق التواتر، بل تفوق الحصر.

واقعة واحدة أم وقائع؟!:

١ ـ إن الرواية الثانية التي تقول: إنه «عليه السلام» قال: فإن لم يقم أربعة شهداء، فليعط برمته.. يحتمل فيها أمران:

أولهما: أن تكون هناك واقعتان. أجاب علي «عليه السلام» في إحديهما بالجواب الأول، حيث كان «عليه السلام» متيقناً من صدق القاتل فيما يدعيه.

وأجاب في الأخرى بالجواب الثاني، لاحتمال أن يكون القاتل غير مأمون فيما يدعيه، إذ لعله قتله بلا ذنب، ويريد أن يتخلص من القصاص، باتهامه بالفجور.

الثاني: أن تكون واقعة واحدة ذكر فيها «عليه السلام» كلا الأمرين، أي أنه اشترط على القاتل أن يشهد أربعة شهداء بحصول الفجور بزوجته، فإن شهدوا بذلك وكان الزوج هو القاتل، لم يكن عليه شيء لأنه كان قد قتل من يستحق القتل.

٢ ـ ويحتمل أن تكون الرواية الأولى تتحدث عن جواز قتل الزوج من يفجر بزوجته وعدمه بغض النظر عن القصاص في الدنيا وعدمه..

وقد يؤيد ذلك: قول الرواية الأولى: ما الذي يجب عليه، ولم تشر على الحد ولا إلى غيره..

٣ ـ يلاحظ: أن الرواية لم تذكر صورة ما لم يكن الزاني محصناً..

فهل يجب عليه الدية؟! أو بعضها؟! أم يقاد به؟! أم ماذا؟!

ويمكن الجواب عن ذلك:

بأن الرواية ناظرة إلى الجواز وعدمه، بملاحظة العقوبة في الآخرة وعدمها.

معاوية لا يعرف أن الحق لصاحب البينة:

ابن بطة وشريك باسنادهما، عن ابن أبجر العجلي، قال: كنت عند معاوية، فاختصم إليه رجلان في ثوب، فقال أحدهما: ثوبي، وأقام البينة.

وقال الآخر: ثوبي اشتريته من السوق من رجل لا أعرفه.

فقال معاوية: لو كان لها علي بن أبي طالب.

فقال ابن أبجر، فقلت له: قد شهدت علياً قضى في مثل هذا، وذلك أنه قضى بالثوب للذي أقام البينة.

وقال للآخر: اطلب البايع، فقضى معاوية بذلك بين الرجلين(١).

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٧٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص١٩٧ وبحار الأنوار ج١٠١ ص٢٨٩ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج٥ ص٨٤٠ وتاريخ مدينة دمشق ج١٢ ص٢٠٦ وشرح الأخبار ج٢ ص٣١٥ .

ونقول:

١ ـ إن هذه الرواية لم تبين لنا تاريخ هذه الواقعة، هل هي في حياة علي «عليه السلام»؟! أم بعد استشهاده؟!

٢ ـ إن هذه القضية من أعجب القضايا، حيث صرحت بما لا يقبل الشك: بأن معاوية الذي يحارب علياً «عليه السلام»، ليقصيه عن مقام خلافة الرسول، ويختص به لنفسه ـ إن معاوية ـ لا يعرف: أن عليه أن يحكم بالثوب لمن أقام البينة، وأن يصرف الآخر، ويسقط دعواه..

ألم يبلغه قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: البينة على المدعي، واليمين على المنكر[1].

(١) نيل الأوطار ج٥ ص٣٤٢ وج٧ ص١٩٠ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٥ ص١٢٠ والإستذكار لابن عبد البر ج٦ ص٤٨١ وج٨ ص٢٠٩ وفيض القدير ج٥ ص٤٢٥ وكشف الخفاء ج١ ص٢٨٩ وج٢ ص١٧٤ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٣ ص٢٠٤ وعمدة القاري ج٦ ص٢٢٣ وج١٣ ص٧٥ و ٢٤٦ و ٢٤٨ وج٢٤ ص٥٩ و ٦٠ وعون المعبود ج١٠ ص٣٥ وج١٢ ص١٥٧ والكافي لابن عبد البر ص٤٧٨ والأذكار النووية ص٤٠٨ ونصب الراية ج٥ ص١٤٣ وج٦ ص٤٦٢ والدراية لابن حجر ج٢ ص١٧٥ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج٦ ص١٨٧ و ١٩٠ والإستغاثة ج١ ص١٢ والمبسوط للطوسي ج٨ ص٢٥٦ والخلاف للطوسي ج٣ ص١٣١ وج٣ ص١٤٨ وج٤ ص٤٣٥ عن المصادر التالية: الكافي ج٧ ص٤١٥ حديث١، والتهذيب ج٦

وقوله «صلى الله عليه وآله»: إنما أقضي بينكم بالبينات والأيمان؟!(١).

وقال تعالى لداود «عليه السلام»: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ**﴾(٢).

ولا أدري بماذا كان معاوية يحكم بين الناس طيلة عشرين سنة قضاها في حكم بلاد الشام من قبل عمر بن الخطاب، وعثمان.. وإلى ذلك الوقت من حين قتل عثمان.. وإلى أي مستوى انحط الفكر والفقه لدى حكام الأمة؟! وعلى أي ميزان اعتمد الخلفاء لنصب معاوية حاكماً على الشام طيلة حوالي عقد ونصف من الزمن؟!

أم يعقل أن لا تكون قد حدثت أية منازعة بين أحد من الناس طيلة تلك العقود من السنين؟! أو أنه كان يحكم فيها بالهوى، وكيفما اتفق؟!

ص٢٢٩ حديث ٥٥٣، ومن لا يحضره الفقيه ج٣ ص٢٠ حديث ١، والسنن الكبرى ج١٠ ص٢٥٢، وصحيح البخاري ج٣ ص١٨٧ وسنن الدارقطني ج٤ ص١٥٧ حديث ٨ وج٤ ص٢١٨ حديث ٥٣ و ٥٤ وسنن الترمذي ج٣ ص٦٢٦ حديث ١٣٤١ والسنن الكبرى ج٨ ص٢٧٩ وج١٠ ص٢٥٢.

(١) الكافي ج٧ ص٤١٤ ودعائم الإسلام ج٢ ص٥١٨ وتهذيب الأحكام ج٦ ص٢٢٩ ومستدرك الوسائل ج١٧ ص٣٦١ و ٣٦٦ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٧ ص٢٣٢ و (الإسلامية) ج١٨ ص١٦٩ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٥ ص٤٥ و ٤٦ و ٩٢ و ١٠٢.

(٢) الآية ٢٦ من سورة ص.

ألا يحق لنا أن نقول بعد هذا: فقوموا على الإسلام نبكي ونلطم. إذ ابتليت الأمة براع مثل معاوية لا يعرف أن الحق لصاحب البينة، وكيف يمكن تبرير أن ترضى الأمة بأن يصبح معاوية المتصدي لخلافة النبوة، مدعياً يريد أن يحكم فيهم بأحكام الله، ويعلمهم شرائعه، ويجري فيهم سياساته، وينشر فيهم قيمه، وحقائقه، ويربيهم على أخلاقياته؟! ولا نريد أن نقول أكثر من هذا..

ملك الروم يسأل معاوية ويجيب علي عليه السلام:

وروى الأصبغ قال: كتب ملك الروم إلى معاوية: إن أجبتني عن هذه المسائل حملت إليك الخراج، وإلا حملت أنت.

فلم يدرِ معاوية، فأرسلها إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فأجاب عنها، فقال:

أول ما اهتز على وجه الأرض النخلة، وأول شيء صيح عليها واد باليمن. وهو أول واد فار فيه الماء.

والقوس أمان لأهل الأرض كلها عند الغرق ما دام يرى في السماء.

والمجرة أبواب فتحها الله على قوم، ثم أغلقها فلم يفتحها.

قال: فكتب بها معاوية إلى ملك الروم.

فقال: والله ما خرج هذا إلا من كنز نبوة محمد، فحمل إليه الخراج[1].

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٨٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٢٠٣

ونقول:

لاحظ ما يلي:

١ ـ قلنا فيما سبق: إن الروم كانوا مهتمين بإعادة الاعتبار لأنفسهم في مقابل المسلمين، لأسباب عديدة منها: أنهم رأوا في الإسلام خطراً جدياً على مكانتهم الدينية، والثقافة العلمية.. فكان لا بد لهم من استعادة هذه الهيبة، وكسر شوكة الإسلام وأهله في هذا المجال..

٢ ـ لو عجز معاوية عن الإجابة، فهل يحق له أن يؤدي الخراج لملك الروم الكافر والطاغية؟! أم أن عليه أن يعتزل موقعه، ويعيده إلى أصحابه الشرعيين، الذين نصبهم الله ورسوله، ليكونوا هم الذين يذبون عن الدين وأهله، ويذودون عن حياضه؟!

٣ ـ إن هذه المسائل كانت تضر كثيراً بحال الغاصبين لمقام الإمامة، لأنها كانت تثير لديهم الشعور بالعجز وتعيدهم إلى واقعهم، وتعرفهم بمدى جهلهم، وتذكرهم ببغيهم.. وكانت أيضاً تعرف الناس بأهل الحق، وبالورثة الحقيقيين للأنبياء.

٤ ـ إن هذا النص يوضح: أن ملك الروم كان يعرف أصحاب الحق الشرعيين. وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه بذلك في آيات عديدة بما لا يدع مجالاً للشك، ومنها قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي

وبحار الأنوار ج١٠ ص٨٤.

التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾(١). وقوله سبحانه: ﴿**وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ**﴾(٢). وقوله عز وجل: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ**﴾(٣). وغير ذلك من الآيات كثير.

ولكن ملك الروم لم يستفيد من هذه المعرفة، ولم يستثمرها، بل كان يتذاكى على الناس، وعلى قومه، لأنه يريد أن يوهمهم أنه إذا حقق غلبة على معاوية وأمثاله من البغاة والغاصبين، فكأنه انتصر على الإسلام، وأبطل نبوة النبي محمد «صلى الله عليه وآله»، ويكون من ثمة قد أعلن نفسه بطلاً قومياً، واتخذ من ذلك ذريعة لترسيخ موقعه، في الحكم والسيطرة على العباد والبلاد..

٥ ـ لعل من دوافع مبادرة أمير المؤمنين «عليه السلام» للإجابة على تلك الأسئلة، مع علمه: بأن المطالب بها هو غيره، الذي هو عدوه هو: أن كل همه «عليه السلام» هو إحقاق الحق، وحفظ الدين وأهله، والذب عن أنبياء الله، وعن شرائعه وأحكامه.. ولم يكن يهتم بصغائر الأمور، كما كان الآخرون يهتمون بها.

---

(١) الآية ١٥٧ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ١٤٤ من سورة البقرة.

(٣) الآية ١٤٦ من سورة البقرة.

ملك الروم لمعاوية: أخبرني عن لا شيء:

ليسن هذه هي المرة الأولى التي يرجع فيها معاوية إلى علي «عليه السلام» ليسأله عن المعضلات من المسائل. ولكن المسألة في هذه المرة كانت حساسة وخطيرة بالنسبة لمعاوية، فقد قالوا: كتب ملك الروم إلى معاوية، يسأله عن خصال، فكان فيما سأله: «أخبرني عن لا شيء.

فتحير.

فقال عمرو بن العاص: وجه فرساً فأرها إلى معسكر علي ليباع، فإذا قيل للذي هو معه: بكم؟!

يقول: بلا شيء، فعسى أن تخرج المسألة.

فجاء الرجل إلى عسكر علي، إذ مر به علي ومعه قنبر.

فقال: يا قنبر ساومه.

فقال: بكم الفرس.

قال: بلا شيء.

قال: يا قنبر، خذ منه.

قال: أعطني لا شيء.

فأخرجه إلى الصحراء، وأراه السراب، فقال: ذلك لا شيء.

قال: اذهب فخبره.

قال: وكيف قلت؟!

قال: أما سمعت بقول الله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآَنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ

يَجِدْهُ شَيْئًا﴾؟!(١)»(٢).

ونقول:

في هذا النص أمور يحسن لفت النظر إليها، ومنها ما يلي:

حرب الفكر والثقافة في عهد علي عليه السلام:

١ ـ إن أمثال هذه الأسئلة، التي كانت تهدف إلى إحراج الطرف الآخر، بهدف إسقاط موقعه، وبيان جهله. وإظهار التفوق، وتحصيل الغلبة عليه، كانت تحصل حتى بين الملوك، فضلاً عن غيرهم.

٢ ـ قد لاحظنا اهتماماً خاصاً لدى لملوك الروم بهذا الأمر في مواجهة المسلمين وحكامهم ولعل عدم ظهور ذلك لدى الفرس بصورة واضحة يرجع إلى سقوط ملكهم في وقت مبكر، ولم يحدث ذلك لملوك الروم.

كما أن الفرس قد دخلوا في الإسلام، ولم يدخل فيه غيرهم إلا في أوقات متأخرة، ولذلك نجد وفود علماء النصارى واليهود كانت تتوالى على البلاد الإسلامية، بهدف السؤال والنقاش في أمور الدين، أما علماء سائر النحل فلم تكن بتلك الكثرة.

٣ ـ لعل الرومان الذين كانت لديهم حضارات، ومدنيات، وديانات سماوية، كانوا يرون لأنفسهم موقعاً مميزاً في المجالات العلمية والثقافية، وقد

(١) الآية ٣٩ من سورة النور.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٨٢ و ٣٨٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٢٠٢ وبحار الأنوار ج١٠ ص٨٤.

رأوا في الإسلام تحدياً لموقعهم هذا. فكانوا يسعون إلى تسجيل نجاحات لهم في المجال الثقافي والديني، ليتباهوا به أمام شعوبهم، وأتباعهم.

ولم يكن يقتصر الأمر على المجالات الثقافية، بل كان يتعداها إلى غيرها..

وقد رووا: أن ملك الروم أرسل إلى معاوية يتحدى المسلمين برجلين:

أحدهما: أقوى رجل في بلاده.

والآخر: أطول رجل في أرضه...

فلم يجد معاوية سوى رجلين يرد بهما هذا التحدي، وكلاهما ثقيل عليه، مبغض له، هما محمد بن الحنفية (ابن علي «عليه السلام»)، والآخر قيس بن سعد بن عبادة، وهو من خيار أصحاب علي «عليه السلام» أيضاً.

فلما حضرا قال محمد للرومي: ما تشاء؟!

فقال: يجلس كل واحد منا ويدفع يده إلى صاحبه، فمن قلع صاحبه من موضعه، أو رفعه عن مكانه فقد فلح عليه، ومن عجز عن ذلك وقهره صاحبه قضي بالغلبة له.

فقال محمد: هذا لك فاختر أينا يبدأ بالجلوس.

فقال له: اجلس أنت.

فجلس، وأعطاه يديه، فجعل يمارسه، ويجتهد في إزالته عن موضعه، فلم يتحرك محمد وظهر عجز الرومي لمن حضر.

فقال له محمد: اجلس الآن.

فجلس، وأخذ بيده، فما لبث أن اقتلعه، ورفعه في الهواء، ثم ألقاه على

الأرض.

فسر معاوية وحاضروه من المسلمين، وقال معاوية لقيس بن سعد والرومي: الطوال تطاولا.

فقال قيس: أنا أخلع سراويلي، ويلبسها هذا العلج، فإن ما بيننا ببين بذلك.

ثم خلع سراويله وألقاها إلى الرومي فلبسها، فبلغت ثدييه، وانسحب بعضها في الأرض. فاستبشر الناس بذلك.

وجاءت الأنصار إلى قيس، فقالت له: تبذلت بين يدي معاوية؟! ولو كنت مضيت إلى منزلك وبعثت بالسراويل إليه؟!

فقال:

أردت لكيما يعلم الناس أنها   سراويل قيس والوفود شهود
وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه   سراويل عادي نمته ثمود
وإني من القوم الثمانين سيد   وما الناس إلا سيد ومسود
وفضلني في الناس أصلي ووالدي   وباع به أعلو الرجال مديد(١)

من أين يأتي العلم لمعاوية؟!:

١ ـ وكان لا بد لمعاوية أن يتحير في أمره، إذ من أين يأتيه العلم، وهو

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٤٩ ص٤٣٢ و ٤٣٣ والكافي ج٤ ص١٦٧ و وفيات الأعيان ج٤ ص١٧٠ و ١٧١ والبداية والنهاية ج٨ ص١٠٩ وراجع: مروج الذهب ج٤ ص٢٣٨ وراجع: مختصر تاريخ مدينة دمشق ج٢١ ص١١٣ و ١١٤.

من الطلقاء الذين لم يحسنوا الاستفادة من بركات وجود رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل نابذوه وحاربوه، وحين قهرهم لم يهتموا بالإستفادة من توجيهاته، ومما حباه الله به من علوم ومعارف وأسرار؟!

بل نأى وصد عنه وتمنع من الحضور عنده، وقد أرسل من يطلبه عدة مرات معتذراً بأنه يأكل، فدعا عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن لا يشبع الله بطنه.

وكان الناس بما فيهم معاوية وعمرو بن العاص، يعلمون أن علياً «عليه السلام» هو مستودع أسرار النبي «صلى الله عليه وآله»، وباب مدينة علومه. ولكنهم كانوا يأنفون من الخضوع للحق، ولا يريدون الاعتراف به، فحاول هو وعمرو بن العاص الالتفاف على أمير المؤمنين «عليه السلام» ظناً منهم أنه «عليه السلام» سوف لا يكتشف تمويههم وخداعهم. فدبروا هذه الحيلة لاقتناص الجواب الصحيح منه «عليه السلام»..

٢ ـ ولكن علياً «عليه السلام» ليس فقط قد أجاب على السؤال، بل وأثبت أنه هو وحده مستودع أسرار رسول الله «صلى الله عليه وآله» وإنما شفع إجابته بإخبار غيبي يقيم عليهم الحجة التي لا مهرب منها.. حين قال لصاحب الفرس: اذهب فخبره، ليدل على أنه علمه بمكيدتهم كعلمه بجواب مسألتهم. وذلك لتتلاقى الكرامة مع المعجزة ليعلم الجميع أنه «عليه السلام» متصل بالغيب دون كل أحد.

لعلها ليست كرامة:

ولعلك تقول: لا دليل على أنها كرامة غيبية، فلعله عرف ذلك من

نفس طلب صاحب الفرس ذلك الثمن الغريب والعجيب، فإنه طلب ينم عما وراءه.

ونجيب: بأن السؤال وإن كان يشير إلى أن ثمة أمراً غريباً، ولكن لا يشير إلى معاوية ولا إلى ابن العاص من قريب ولا من بعيد. إذ لعل صاحب الفرس نفسه قد اخترع هذا السؤال، أو أن أحداً قد طرحه عليه، من أهل الكتاب أو من غيرهم من أهل التعنت، أو من طلاب المعرفة..

أو لعل جماعة من الناس دبروا هذا الأمر لحاجة في أنفسهم.

علي عليه السلام يشتري الخيل للحرب:

إن الرواية أظهرت أنه «عليه السلام» كان مهتماً بشراء الخيل، التي كانت هي الوسيلة المهمة والمؤثرة في القتال، وكان «عليه السلام» في ساحة الحرب في صفين، حيث صرحت الرواية أيضاً: بأن معاوية وابن العاص، إنما أرسلا بائع الفرس إلى معسكر علي «عليه السلام»، وهو يعرف ما ينتظره من مواجهات فكان يعد له ما يستطيع من قوة، ومن رباط الخيل، ليرهب به عدو الله وعدو المسلمين.

اذهب فخبره، لماذا؟!:

ويلاحظ هنا: أنه «عليه السلام» قد أشار إلى معاوية بضمير الغائب، فقال: اذهب فخبره، ليكون أوضح في الدلالة على اطلاعه «عليه السلام» على ما جرى، وانه أراد به إقامة الحجة عليه بهذا الإخبار الغيبي.

ولو قال: اذهب فخبر معاوية، لأمكن القول: بأنه «عليه السلام» أراد

إبلاغ معاوية بهذا الحدث، ليعرف مقامه «عليه السلام»، وأنه إنما يقاتل من لديه هذه العلوم الخفية، ليدرك سوء ما يأتيه إليه، وإلى الأمة.. فلا دلالة في هذا التعبير على علم معاوية بما جرى، فضلاً عن أن يدل على مشاركته في تدبيره.

الفصل الثالث:

معضلات حسابية..

قسمة السبعة عشر بعيراً:

ورووا: أنه جاء علياً «عليه السلام» ثلاثة رجالٍ، يختصمون في سبعة عشر بعيراً: أولهم يدعي نصفها، وثانيهم ثلثها، وثالثهم تسعها. وكان على كل منهم الكسر.

فقال «عليه السلام»: أترضون أن أضع بعيراً مني فوقها وأقسمها بينكم؟!

قالوا: نعم.

فوضع واحداً فوقها من نفسه، فصارت ثمانية عشر بعيراً، فأعطى الأول تسعة، والثاني ثلثها ستة، والثالث اثنين.

وبقي بعيره «عليه السلام» له(١).

---

(١) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٢٦ عن شرح بديعية ابن المقرى. والتكامل في الإسلام (الطبعة الثانية ـ مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف) ج٤ ص١٥٩ عن مشكلات العلوم للنراقي.

تسعة عشر بعيراً أيضاً:

وقد رويت المسألة المذكورة آنفاً بنحو آخر، ولعلها مسألة أخرى، وهي: أن ثلاثة أشخاص أتوا علياً «عليه السلام» ومعهم تسعة عشر بعيراً، يريدون تقسيمها، فيكون لأحدهم النصف، وللثاني الربع، وللثالث الخمس، فوضع جمله معها، فصارت عشرين، وأعطى عشرة لصاحب النصف، وخمسة لصاحب الربع، وأربعة لصاحب الخمس(١).

ونقول:

لا بد من إمام:

قلنا، ونعود فنقول:

إن هذا وأشباهه يدل على الحاجة إلى الإمام الذي يعلِّمه ويربيه ويطهره ويزكيه الله سبحانه ورسوله. لأن هذا وأمثاله لم يتصد النبي «صلى الله عليه وآله» لبيانه للناس. فلا بد أن يكون قد أودعه أو أودع مفاتيحه عند أهله.. إذا لا يمكن جعل حكم من دون أن تتوفر وسيلة تطبيقه في كل عصر. ولم نجد النبي «صلى الله عليه وآله» قدم وسيلة تكشف للناس أسرار هذه الأحكام، وتوضح غوامضها ومبهماتها سوى علي «عليه السلام»، وأهل بيته الطاهرين.

---

(١) التكامل في الإسلام (الطبعة الثانية ـ مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف) ج٤ ص١٧٠.

توضيحات للمحقق التستري:

قال المحقق التستري «رحمه الله»:

«وفلسفته: أن النصف، والثلث، والتسع، لا تستغرق الكل، فيبقى منه نصف تسع. وإنما المستغرق للكل النصف والثلث والسدس. وكان حصة كل واحدٍ أكثر مما قال بنصف تسع. ولم يكونوا متفطنين لذلك»[١].

الفعل أقوى دلالة:

لقد كان بإمكانه «عليه السلام» أن يبين لهؤلاء الثلاثة حصة كل واحد منهم بالكلام، بأن يقول لهم: أنت لك تسعة، ولهذا ستة، ولذلك اثنان، ولكنه «عليه السلام» آثر أن يضع جمله مع جمالهم، كي يتلمسوا بصورة حسية عملية صحة قسمته. وليدركوا عن طريق الحس: أنه «عليه السلام» لم يظلم أياً منهم في قسمته. فلا يظنن أي منهم أنه أخذ منه، وأعطى رفيقيه، أو أنه أخذ من رفيقيه وأعطاه..

وقد وضع البعير مع أبعرتهم لكي يوحي لهم بأن كلاً منهم قد أخذ زائداً على حقه.. لأن هذا أخذ نصف الثمانية عشر لا السبعة عشر، وأخذ ذاك ثلث الثمانية عشر أيضاً، وكذلك الذي أخذ التسع منها.

لمزيد من التبصُّر والإهتمام:

إنه «عليه السلام» حين طلب منهم أن يرضوا بإضافة بعير من عنده،

---

(١) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٢٦.

يكون قد زاد من درجة اهتمامهم، وأثار عجبهم من نتائج قسمته، التي يخيل إليهم منها أنه أخذ أكثر من حقه، مع أن مجموع ما أخذوه مطابق للعدد الذي اختلفوا عليه..

ولا سيما بعد أن يعود جمله إليه..

ولعلهم حين يضع جمله مع جمالهم من غير إذنهم يتخيلون أنه قد وهبهم إياه، والهبة تحتاج إلى القبول منهم، وتحتاج إلى داع ومبرر

أضرب أيام أسبوعك في سنتك:

في كشكول البهائي: دخل رجل على علي «عليه السلام» وقال: أخبرني عن عددٍ يكون له نصف، وثلث، وربع، وخمس، وسدس، وسبع، وثمن، وتسع، وعشر، ولم يكن فيه كسر.

فقال علي: إن أخبرتك تسلم؟!

فقال نعم.

فقال علي «عليه السلام» اضرب أيام أسبوعك في سنتك.

فكان كما قال. فلما تحقق المسألة وصحتها، ولم يكن فيها كسر، أسلم.

وقال «رحمه الله» في كتابه: خلاصة الحساب:

لطيفة: يحصل مخرج الكسور التسعة من ضرب أيام الشهر في عدة الشهور والحاصل في أيام الأسبوع

ومن ضرب مخارج الكسور التي فيها حرف العين بعضها في بعض.

وسئل أمير المؤمنين «عليه السلام» عن ذلك، فقال: اضرب أيام أسبوعك

في أيام سنتك. انتهى[١].

ونقول:

١ـ لا نحتاج إلى الكثير من التفصيل هنا، غير أننا نقول:

إن هذا اليهودي، ربما يكون قد صرف دهراً طويلاً ليصل إلى معرفة العدد الذي سأل عنه أمير المؤمنين «عليه السلام».. وها هو يسمع الجواب يأتيه على البداهة.. فكيف يبقى معانداً لهذا الدين، الذي له إمام كعلي «عليه السلام»؟!

٢ـ قال المحقق التستري «رحمه الله»، تعليقاً على الحديث المذكور:

قلت: شرح «عليه السلام»: أنه إذا ضرب أيام الأسبوع السبعة في ثلاثمائة وستين أيام السنة يصير الحاصل ألفين وخمسمائة وعشرين، وله الكسور التسعة.

النصف هو ألف ومائتان وستون.

والثلث هو ثمانمائة وأربعون.

والربع ست مئة وثلاثون.

والخمس خمسمائة وأربعون.

والسدس أربع مئة وعشرون.

والسبع ثلاثمائة وستون.

---

(١) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٢٦.

والثمن ثلاثمائة وخمسة عشر.

والتسع مائتان وثمانون.

والعشر مائتان واثنان وخمسون.

وكذلك الطريق الأول مما ذكره البهائي، فمن ضرب أيام الشهر في عدة الشهور يحصل على عدد أيام السنة فيضرب في أيام الأسبوع.

والطريق الثاني من الإقتصار على ضرب الأربعة العينية منها، أي مخرجها وهي: الربع، والسبع، والتسع، والعشر، دون جميع التسعة. ولو ضرب الجميع يرتفع الحاصل إلى خمسة وسبعين ألفاً[1].

٣ ـ إن علياً «عليه السلام» حين شرط على ذلك اليهودي أن يسلم بيَّن بوضوح: أنه لا يريد أن يستفيد من علمه لتأكيد عظمته الشخصية، بل يريد أن يكون وسيلة لنجاة العباد، وإصلاح البلاد، والفوز يوم التناد..

المسألة الدينارية:

وروي: أنه «عليه السلام» أراد أن يركب، ووضع إحدى رجليه في الركاب، فسألته امرأة: أن أخاها مات وله ستمائة دينار، وأعطوها ديناراً وظلموها.

قال «عليه السلام»: كان لأخيك بنتان؟!

قالت: نعم.

---

(١) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٢٧.

قال: سهمها الثلثان، أربعمائة. وأخ من أم سهمه السدس، مائة دينار.

قالت: نعم.

قال: وامرأة لها الثمن، خمس وسبعون ديناراً.

قالت: نعم.

قال: واثنا عشر أخاً لكل واحد ديناران.

قالت نعم.

قال: فيبقى لك دينار، وهو حقك، انصرفي. ثم وضع رجله الأخرى في الركاب، فلقبت بالمسألة الدينارية(١).

ونقول:

لاحظ الأمور التالية:

الجواب بناءً على التعصيب، ولا تعصيب:

بما أن الإخوة لا يرثون مع وجود البنت في مذهب أهل البيت «عليهم السلام» وشيعتهم، عرفنا: أن جوابه «عليه السلام» لهذه المرأة مبني على توريث العصبة مع البنت أي أنه «عليه السلام» أراد أن يقول لها: إن ما

---

(١) مطالب السؤول ص١٥٩ وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٢٩ وكشف الغمة ج١ ص١٣٠ ونهج الإيمان ص٢٧٦ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٤٧٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٣٤٣ وعجائب أحكام أمير المؤمنين «عليه السلام» ص١٢٣.

أعطوك إياه بناء على قولهم الفاسد صحيح..

ويستفاد أيضاً من هذه القضية وكثير مثيلاتها: أن العمل بالتقية كان قد بدأ منذ عهد أمير المؤمنين «عليه السلام»، إن لم نقل أنه بدأ منذ عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث أخر تبليغ أمر الإمامة تقية كما اشير إليه في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾(١).

إلا أن الإمامة لم تكن من موارد التقية، فقد بقي «عليه السلام» يظهر أحقيته بالإمامة، كذلك ولده «عليهم السلام» ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، لأن حفظ الدين منوط بحفظ الإمامة.

التعصيب لتصغير شأن الزهراء عليها السلام:

يبدو: أن توريث إخوة الميت مع وجود بناته من صلبه، قد جاء لتصغير شأن الزهراء «عليها السلام»، وإظهار أن العباس عم النبي «صلى الله عليه وآله» أقرب من أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فاخترعوا مقولة: أن العباس يرث الرسول «صلى الله عليه وآله» حتى مع وجود الزهراء «عليها السلام»، ولا يرثه علي «صلوات الله

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

وسلامه عليه». وهذا من الكيد السياسي، الذي واجهوا به أمير المؤمنين «عليه السلام».

وإلا فإنه مما لا شك فيه ولا شبهة: أن قاعدة منع الأقرب للأبعد لا تجري عند الشيعة الإمامية إلا في مورد اجتماع ابن عم لأب وأم مع عم لأب، فإن ابن العم أولى بالميراث عند الإمامية، والمال كله له.. وهي مسألة إجماعية عندهم لا خلاف فيها(١).

وكان دافعهم بالإضافة إلى ذلك: أنهم كانوا لا يرون للمرأة قيمة، وإن ما تأخذه المرأة من الميراث يذهب في الغالب إلى الغرباء عنهم، لقاعدتهم التي تقول:

بنونا بنو أبنائنا، وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد(٢)

وقد استفاد العباسيون من هذه السياسة، لادعاء: أن لهم الحق بالخلافة من خلال القربى النسبية للعباس(٣).

---

(١) راجع: رياض المسائل ج١٢ ص٥٦١ ومستند الشيعة ج١٩ ص٣٢٢ وجواهر الكلام ج٣٩ ص١٧٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص١٥٥ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٦٠ والغدير ج٧ ص١٢١ عنه، والكافي لابن عبد البر ص٥٤٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١١ ص٢٨ وفيض القدير ج١ ص١١٦ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٧٩ وإمتاع الأسماع ج٣ ص٢٤٣.

(٣) راجع: عيون أخبار الرضا ج٢ ص٧٩ وبحار الأنوار ج٤٨ ص١٢٦ وج١٠١ ص٣٣٤.

وقد قال مروان بن أبي حفصة:

أنى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الأعمام(١)

فأعطاه المهدي العباسي ثلاثين ألفاً من صلب ماله، وكساه جبةً، ومطرفاً، وفرض على أهله ومواليه ثلاثين ألفاً أيضاً.

وقيل: إنه فرض عليهم سبعين ألفاً ليصير المجموع مئة ألف(٢).

وهناك أحداث أخرى في هذه الإتجاه لا مجال لذكرها هنا، فراجع كتابنا: الحياة السياسية للإمام الرضا «عليه السلام».

---

(١) راجع: عيون أخبار الرضا ج١ ص١٨٩ والفصول المختارة ص٩٦ والإحتجاج للطبرسي ج٢ ص١٦٧ وبحار الأنوار ج١٠ ص٣٩١ وج٤٩ ص١١٠ وقاموس الرجال ج٩ ص٦٤٧ وتاريخ بغداد ج١٣ ص١٤٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص٢٩٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٦ ص٤٠٢.

(٢) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٢٩.

لكن في العقد الفريد (الطبعة الثالثة) ج١ ص٣١٢ والمحاسن والمساوي ص٢١٩: أنه أخذ منه ثلاثين، ومن أهل بيته سبعين. ولعل هذا هو الأقرب إلى الواقع، فقد ذكر في المحاسن والمساوي ص٢٢٠: أن مروان هذا قال في هذه المناسبة:

بسبعين ألفا راشي من حبائه وما نالها في الناس من شاعر قبلي

بل هذا البيت يدل على أن السبعين كانت منه، لا من أهل بيته.. وفي طبقات الشعراء ص٥١ اكتفى بالقول: أنه أخذ بهذا البيت مالاً عظيماً. وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج٦ ص٤٠٢.

جوابه من دلائل إمامته:

إن نفس إخباره «عليه السلام» تلك المرأة بالذين شاركوها في التركة بهذه السرعة الفائقة، وحيث كان قد وضع إحدى رجليه في ركاب الفرس. يعد من خوارق العادات لعلي «عليه السلام»[١]. ومن مؤكدات إمامته.

صار ثمنها تسعاً:

في فضائل أحمد قال عبد الله: إن أعلم أهل المدينة بالفرائض علي بن أبي طالب «عليه السلام» قال الشعبي: ما رأيت أفرض من علي و لا أحسب منه، وقد سئل وهو على المنبر يخطب عن رجل مات وترك امرأة وأبوين وابنتين: كم نصيب المرأة؟!

فقال: صار ثمنها تسعاً.

فلقبت بالمسألة المنبرية.

قال ابن شهرآشوب:

شرح ذلك: للأبوين السدسان، وللبنتين الثلثان، وللمرأة الثمن، عالت الفريضة فكان لها ثلاث من أربعة وعشرين ثمنها، فلما صارت إلى سبعة وعشرين صار ثمنها تسعاً، فإن ثلاثة من سبعة وعشرين تسعها،

(١) راجع العقد الفريد (الطبعة الثالثة) ج١ ص ٣١٢ والمحاسن والمساوي للبيهقي (ط صادر) ص٢١٩ و ٢٢٠ وراجع: طبقات الشعراء ص٥١.

ويبقى أربعة وعشرون، للابنتين ستة عشر، وثمانية للأبوين سواء[1].

ونقول:

العول باطل عند علي عليه السلام:

١ ـ لعل من الناس من يتخيل أن علياً «عليه السلام» الذي يرى بطلان العول في الفرائض، لم يكن بصدد حل مشكلاته، وإيضاح مهماته، فلا يتوقع منه أن يتمكن من تقديم حلول سريعة، وبالغة الدقة فيه.. فكيف إذا عرضت عليه أدق مسائله، وهو يضع رجله في الركاب، فيجيب عنها في لحظة فريدة بما لا تبلغه عقول جهابذة الرجال إلا بعد جهد، وتعب، وصرف الوقت لاستخراجه، كما هو الحال في هذه المسألة. فإنه بمجرد أن تفوهت تلك المرأة بمقدار التركة، وبما أعطوها منها، أجابها «عليه السلام» بالسؤال الإنكاري الذي يدين القول بالعول في الفرائض. ثم قرر لها ما دلها على حقيقة ما جرى.

٢ ـ قال المحقق التستري: لما كان العول غير صحيح في مذهب الأئمة «عليهم السلام» قال السروي: قال «عليه السلام» ما قال على الاستفهام، أو على قولهم: صار ثمنها تسعاً.

وسئل «عليه السلام»: كيف يجيء الحكم على مذهب من يقول

---

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٢٣ وبحار الأنوار ج٤٠ ص١٥٩ ونهج الإيمان ص٢٧٦ والكنى والألقاب ج٢ ص٢٤٩ وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٢٨.

بالعول؟! فبيَّن الجواب، والحساب، والقسمة، والنسبة[1].

ما المراد بالعول؟!:

المراد بالعول هو أن تزيد الفريضة عن سهام الورثة على وجه يدخل به النقص على جميعهم، مثاله زوج وأختان لأب، فللزوج النصف، وهو ثلاثة سهام، وللأختين الثلثان، وهو أربعة سهام مع أن الموجود هو ستة. وإذا كان معهم أخت لأم فلها سهم ثامن، فإن كان لهم أخت أخرى صارت من تسعة.. مع أن الموجود هو ستة..

والقائلون بالعول يجمعون السهام كلها ثم تقسم الفريضة عليها، ليدخل النقص على كل واحد بحسب فرضه كأرباب الديون إذا ضاق المال عن حقهم.

وقد تواتر عن أئمتنا «عليهم السلام»: أن السهام لا تعول، ولا تكون أكثر من ستة[2].

---

(١) راجع: قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٢٨ و ١٢٩.

(٢) راجع: جواهر الكلام ج٣٩ ص١٠٦ وجامع المدارك ج٥ ص٣٠٥ وراجع: من لا يحضره الفقيه ج٤ ص٢٥٤ وجواهر الكلام ج٣٩ ص١٠٦ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٦ ص٧٢ و (الإسلامية) ج١٧ ص٤٢١ والكافي ج٧ ص٨٠ و ٨١ والفصول المهمة ج٢ ص٤٧٥.

وكان علي «عليه السلام» يقول: إن الذي أحصى رمل عالج، يعلم أن السهام لا تعول على ستة لو يبصرون وجوهها لم تجز ستة[1].

وقال أهل البيت «عليهم السلام»، وفقهاء المذهب تبعاً لأئمتهم: إن العول باطل، لأن فيه شكاً في قسمة الله، وتغليطاً له جل جلاله فيها، ونسبة الجهل إليه تعالى..

والحقيقة هي: أن النقص في هذه المسائل لا يرد على من يرث بالفرض (أي أن صاحب السهم)، فيأخذ سهمه كاملاً، والباقي يأخذه الباقون الذين يرثون بالقرابة.

فالأب أو البنت يرثان بالقرابة تارة، وبالفرض أخرى، فيرد النقص عليهم. أما من يتقرب بواسطة الأم، فلا يرث إلا بالفرض.. فيأخذ هذا سهمه كاملاً، ثم يعطى الباقي للأب أو البنت. فإن البنت إذا اجتمعت مع الأبناء ينقص نصيبها عن النصف، ويصير للذكر مثل حظ الأنثيين[2].

---

(١) راجع: علل الشرائع ج٢ ص٥٦٨ ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص٢٥٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٦ ص٧٥ و (الإسلامية) ج١٧ ص٤٢٤ وبحار الأنوار ج١٠١ ص٣٣٣ ودعائم الإسلام ج٢ ص٣٨١ ومستدرك الوسائل ج١٧ ص١٥٦.

(٢) راجع: جواهر الكلام ج٣٩ ص١٠٥ ـ ١١٠.

قسمة الدراهم في الأرغفة الثمانية:

أحمد بن محمد (وعلي بن إبراهيم عن أبيه جميعاً ـ كا) عن ابن محبوب عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: سمعت ابن أبي ليلى يحدث أصحابه، فقال: قضى أمير المؤمنين «عليه السلام» بين رجلين اصطحبا في سفرٍ، فلما أرادا الغداء أخرج أحدهما من زاده خمسة أرغفة، وأخرج الآخر ثلاثة أرغفة، فمر بهما عابر سبيل، فدعواه إلى طعامهما، فأكل الرجل معهما حتى لم يبق شيء.

فلما فرغوا أعطاهما ثمانية دراهم ثواب ما أكله من طعامهما، ومضى فقال صاحب الثلاثة أرغفة لصاحب الخمسة أرغفة: اقسمها نصفين بيني وبينك.

وقال صاحب الخمسة: لا بل يأخذ كل واحد منا من الدراهم على عدد ما أخرج من الزاد.

قال: فأتيا أمير المؤمنين «عليه السلام» في ذلك، فلما سمع مقالتهما قال لهم: اصطلحا، فإن قضيتكما دنية.

فقالا: اقض بيننا بالحق.

قال: فأعطى صاحب الخمسة أرغفة سبعة دراهم، وأعطى صاحب الثلاثة أرغفة درهماً، وقال (لهما ـ يب): أليس أخرج أحدكما من زاده خمسة أرغفة، وأخرج الآخر ثلاثة (أرغفة ـ كا)؟!

قالا: نعم.

قال: أليس (قد) أكل معكما ضيفكما مثلما أكلتما؟!

قالا: نعم.

قال: أليس (أكل ـ كا) كل واحد منكما ثلاثة أرغفة غير ثلثها.

قالا: نعم.

قال: أليس أكلت أنت يا صاحب الثلاثة ثلاثة أرغفة إلا ثلثاً، وأكلت يا صاحب الخمسة ثلاثة أرغفة غير ثلث، وأكل الضيف ثلاثة أرغفة غير ثلث؟!

أليس (قد ـ يب) بقي لك يا صاحب الثلاثة ثلث رغيفٍ من زادك، وبقي لك يا صاحب الخمسة رغيفان وثلث، وأكلت ثلاثة أرغفة غير ثلث؟!

فأعطاها لكل ثلث رغيف درهماً، فأعطى صاحب الرغيفين وثلث سبعة دراهم، وأعطى صاحب (ثلث رغيف) درهماً[1].

وفي نص آخر:

عن صباح المزني رفعه قال: جاء رجلان إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» قال أحدهما: يا أمير المؤمنين، إن هذا غاداني، فجئت بثلاثة أرغفة، وجاء هو

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٧ ص٢٨٥ و (ط الإسلامية) ج١٨ ص٢٠٩ و ٢١٠ وجامع أحاديث الشيعة ج١٨ ص٣٠٣ وج٢٥ ص١٣١ والكافي ج٧ ص٤٢٧ وتهذيب الأحكام ج٦ ص٢٩٠ والإرشاد للمفيد ص١١٧ والإختصاص ص١٠٧ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص١٢٨ و ١٢٩ والإمام علي بن أبي طالب، لمحمد رضا (ط دار الكتب العلمية) ص١٩ ومختصر المحاسن المجتمعة (ط دار ابن كثير ـ دمشق وبيروت) ص١٧٩ والمعاملات في الإسلام (ط مؤسسة الإيمان، ودار الرشيد ـ بيروت ودمشق) ص٣٠.

بخمسة أرغفة، فتغدينا. ومر بنا رجل فدعوناه إلى الغداء، فجاء فتغدى معنا، فلما فرغنا وهب لنا ثمانية دراهم ومضى. فقلت: يا هذا قاسمني!

فقال: لا أفعل، إلا على قدر الحصص من الخبز.

قال: اذهبا فاصطلحا.

قال: يا أمير المؤمنين، إنه يأبى أن يعطيني إلا ثلاثة دراهم، ويأخذ هو خمسة دراهم، فاحملنا على القضاء.

قال: فقال له يا عبد الله، أتعلم أن ثلاثة أرغفة تسعة أثلاث.

قال: نعم.

قال: وتعلم أن خمسة أرغفة خمسة عشر ثلثاً.

قال: نعم.

قال: فأكلت أنت من تسعة أثلاث ثمانية، وبقي لك واحد، وأكل هذا من خمسة عشر ثمانية وبقي له سبعة.

وأكل الضيف من خبز هذا سبعة أثلاث، ومن خبزك هذا الثلث الذي بقي من خبزك.

فأصاب كل واحد منكم ثمانية أثلاث، فلهذا سبعة دراهم بدل كل ثلث درهم، ولك أنت لثلك درهم، فخذ أنت درهماً، وأعط هذا سبعة دراهم[1].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج٣ ص٢٣ و (ط جماعة المدرسين) ج٣ ص٣٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٨ ص٤٥٣ و (الإسلامية) ج١٣ ص١٧٢ وجامع

ونقول:

حسبنا أن نشير هنا إلى ما يلي:

١ ـ إن طمع صاحب الأرغفة الثلاثة قد أدى به إلى خسارة، ما كان قد عرضه عليه رفيقه، فكان مصداقاً لقولهم: الطمع ضر وما نفع.

٢ ـ إنه «عليه السلام» قد نصح ذينك الرجلين بالترفع عن هذا الأمر، لأنه رأى أنها قضية دنية، فدلنا بذلك على أن صون الكرامات، وحفظ المقامات أولى من جلب المنافع المادية ومن العناد..

٣ ـ إنه «عليه السلام» حين بيَّن وجه حكمه في هذه المسألة، فإن القارئ والسامع، وكل من يعرض عليه، يشعر ببداهة حكمه.

ولكنه بالرغم من ذلك حكم لا يخطر على بال أشد الناس دقة، وذكاءً، وخبرةً في الحساب والقضاء..

بل إن المتبادر للأذهان هنا هو: أن الحق لصاحب الأرغفة الخمسة..

ولا يمكن لغير النبي والوصي أن يكشف الحق في هذه القضية.

أحاديث الشيعة ج١٨ ص٤٠٤ وج٢٥ ص١٣٢.

الفصل الرابع:

وسائل إثبات من الواقع..

كيفية اكتشاف أنه لا يسمع:

روى الكليني بسند صحيح عن الإمام الصادق «عليه السلام» في رجل ضرب رجلاً في أذنه بعظم، فادعى أنه لا يسمع، قال:

قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: يترصد، ويستغفل، وينتظر به سنة فإن سمع، أو شهد عليه رجلان أنه يسمع، وإلا حلفه، وأعطاه الدية.

قيل: يا أمير المؤمنين، فإن عثر عليه بعد ذلك أنه يسمع.

قال: إن كان الله تعالى رد عليه سمعه لم أر عليه شيئاً[١].

وعن الرضا «عليه السلام» بسند صحيح قال ـ في حديث ـ: قضى أمير المؤمنين..

إلى أن قال: فإن كان سمعه كله، فخيف منه فجور، فإنه يترك حتى إذا

(١) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٧٦ والكافي ج٧ ص٣٢٢ وتهذيب الأحكام ج١٠ ص٢٦٤ ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص١٠١ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٩ ص٣٦٢ و (ط الإسلامية) ج١٩ ص٢٧٨ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٦ ص٥٠٥.

استثقل نوماً صيح به[١].

ونقول:

١ ـ إن الرواية عن الإمام الرضا «عليه السلام» قد بينت: أن ادعاء ذهاب السمع من رجل صادق، يُطمأنُّ إلى خبره كاف في ترتب الأثر، والحكم بمقتضاه. وإن كان ممن يخاف منه الفجور أي الكذب في الدعوى، فالحل هو المفاجأة له حال نومه..

٢ ـ إن المفاجأة إنما تحصل في صورة حصول الغفلة، والسهو، أو غلبة النوم عليه، واستثقاله فيه. إذ في غير هذه الصورة قد يتمكن من السيطرة على نفسه، ويتابع تظاهره بالصمم. ولا يتم اكتشاف الحقيقة.

٣ ـ إنه إذا أثبتت القرائن ذهاب سمعه، أو إذا حلف على مدعاه وأعطى الدية.. فإن ذلك لا يمنع من عودة السمع إليه لسبب من الأسباب، قد يعرف، وقد لا يعرف.. فلعل خلايا السمع استيقظت، أو لعل الله أعاد عليه سمعه بدعاء، أو لسبب آخر. قد لا نتمكن من الوقوف عليه..

ولأجل ذلك قال «عليه السلام»: «إن كان الله تعالى رد عليه سمعه لم أر

---

(١) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٧٦ والكافي ج٧ ص٣٢٤ وتهذيب الأحكام ج١٠ ص٢٦٧ ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص٥٦ ووسائل الشيعة (ط الإسلامية) ج١٩ ص٢٨٦ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٦ ص٤٠٤ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٣٩٠.

عليه شيئاً».

٤ ـ هناك أحكام أخرى تستفاد من هاتين الروايتين. لا مجال لبيانها هنا.. ولماذا العجلة، وما المانع من ذكرها هنا.

٥ ـ إن قوله «عليه السلام»: «إن كان الله رد عليه سمعه إلخ..» تضمن أمرين:

أولاهما: التعبير بكلمة إن التي تستعمل في مقام الشك.

الثاني: نسبة رد السمع إلى الله تعالى بالاستناد إلى كلمة «إن».. ربما ليفيد أن هذا يبقى مجرد احتمال، يقابله احتمال أن يكون هو قد دلس في يمينه، أو في دعواه

٦ ـ ولعل الانتظار به إلى سنة، لأجل أنه إن عاد إليه السمع خلال السنة فربما يكون ذهابه عارضياً، لا حقيقياً، أما إذا استمر عدم سماعه مدة سنة كاملة فإنه يكشف عن أن ذهاب السمع كان حقيقياً لا عرضياً، فيستحق الدية لأجله.

وربما يكون الإمهال في إعطاء الدية، لأن الشارع يريد أن يعطي مهلة لاستكشاف صحة قوله بالاستغفال له، قبل أن تدفع الدية إليه.

قياس البصر:

عن سعيد بن المسيب: أن رجلاً أصاب عين رجل فذهب بعض بصره وبقي بعضه، فرفع ذلك إلى علي «عليه السلام»، فأمر بعينه الصحيحة فعصبت، وأعطي رجلاً بيضة، فانطلق [بها] وهو ينظر حتى انتهى بصره، فأمر علي فخط عند ذلك خطاً علماً، ثم أمر بعينه الأخرى فعصبت وفتحت

الصحيحة، وأعطى رجل بيضة، فانطلق بها وهو ينظر حتى انتهى بصره. ثم خط عند ذلك علماً وعرف ما بين الموضعين من المسافة، ثم أمر به فحول إلى مكان. وفعل به مثل ذلك، ثم قاس فوجد مثل ذلك سواء، فأعطاه بقدر ما نقص من بصره من مال الجاني عليه[1].

ونلاحظ هنا:

ألف: أن جعل الأحكام بمجرده لا يكفي لإقامة العدل، ما لم تنفذ، وتنفيذها يحتاج إلى آليات ووسائل. ومن الواضح أن الجناية على البصر، والسمع، والشم، والكلام وغير ذلك تستتبع ضمان الدية التي تقدر بمقدار ما ذهب من البصر، وغيره من الحواس والأعضاء المشار إليها..

فلا بد من تحديد هذه المقادير ليصار إلى الإلزام بالدية المناسبة لها، ثم دفعها..

ولم تكن في زمن التشريع أجهزة تستطيع القيام بهذه المهمة، فكان لا بد للشارع من أن يرشد الناس إلى طرق وآليات يمكن بواسطتها معرفة مقدار التالف من هذه الحواس، أو من هذه الأعضاء..

ب: إن الناس لم يكونوا يجدون لدى غير الأنبياء وأوصيائهم من

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٨٧ والإستذكار لابن عبد البر ج٨ ص٨٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص٢٩٤ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج٥ ص٨٤٠ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٨٢ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص١٨٦ عن السنن الكبرى للبيهقي.

يرشدهم إلى هذه الطرق، والوسائل، وظهر أن سعي الطامحين والطامعين بمقام خلافة النبوة لم يكن موفقاً، فإن الحاجات الواقعية فرضت نفسها، واضطرتهم لاستجداء الحلول لما كان يعترضهم من مشاكل من نفس أولئك الذين ظلموهم ودفعوهم عن حقهم.

ج: إن هذا الاستجداء كان يعرِّف الناس ـ أو الكثيرين منهم ـ بأحقية أهل البيت «عليهم السلام» بمقام خلافة النبوة، ويؤكد صحة ما كانوا يلهجون به باستمرار: من أن الذين يتصدون للخلافة ليسوا أهلاً لها، وأن أصحابها الحقيقيين هم خصوص أهل البيت «عليهم السلام».

فكانت هذه الأمور تؤكد للناس بصورة عملية صحة تلك النصوص التي سمعوها مباشرة، أو كانت تنقل لهم، وسلامة دلالتها، وكان شيعتهم يؤكدونها باستمرار.

مولود له رأسان:

روى نقلة الأخبار، وذكر صاحب فضايل العشرة: أنه ولد على عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» مولود له رأسان وصدران على حقوٍ واحد، فسئل «عليه السلام»: كيف يورث؟!

قال: يترك حتى ينام، ثم يصاح به، فإن انتبها جميعاً كان له ميراث واحد، وإن انتبه أحدهما وبقي الآخر، كان له ميراث اثنين(١).

(١) الكافي ج٧ ص١٥٩ وتهذيب الأحكام ج٩ ص٣٥٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٦ ص٢٩٥ و (الإسلامية) ج١٧ ص٥٨٢ ومناقب آل أبي طالب

ونقول:

قد تقدم: أن نظير هذا قد حصل في عهد الخلفاء الذين تقدموا على أمير المؤمنين «عليه السلام»، فكان «عليه السلام» هو الذي حل مشكلة الخليفة الذي عرضت عليه هذه القضية فراجع.

كيف يعرف العنين؟!:

ألف: عن عجائب قضايا القمي: وقضى «عليه السلام» في رجل ادعى أنه لا يقدر أن يفتض امرأته، فقال له: بُل على الأرض، ثم قال: انظر يا قنبر، فإن ثقب بوله الأرض فهو يقدر على الافتضاض، وإن لم يثقب بوله الأرض فهو كما يزعم.

ب: عنه أيضاً في رجل ادعت امرأته: أنه عنين، فقال: يا قنبر خذ بيده، فاذهب به إلى نهر وقدر إحليله، فإن كان على مقداره الأول قبل أن يقع في الماء فهو عنين، وإن كان تقلص ونقص عن مقداره الأول قبل أن يقع في الماء فقد كذب وليس بعنين[1].

ج: في المناقب: قضى «عليه السلام» في رجل ادعت امرأته أنه [لا

ج٢ ص٣٧٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص١٩٦ وبحار الأنوار ج١٠١ ص٣٥٥ وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين ص١٠٠ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص١٦٤ و ١٦٥.

(١) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٥٠ وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين ص١٢٨.

يجامعها] عنين، فأنكر الزوج ذلك، فأمر النساء أن يحشون فرج الامرأة بالخلوق [بالزعفران] ولم يعلم زوجها بذلك، ثم قال لزوجها: فإن تلطخ الذكر بالخلوق فليس بعنين. ورواه الكليني مع تفاوت يسير وفيه: أمرها أن تستذفر بالزعفران، ثم يغسل ذكره، فإن خرج الماء أصفر صدقه، وإلا أمره بطلاقها[١].

معرفة سلامة حاسة الشم والبصر، واللسان:

عن الأصبغ قال: سئل أمير المؤمنين «عليه السلام» عن رجل ضرب رجلاً آخر على هامته، فادعى المضروب: أنه لا يبصر شيئاً، ولا يشم الرائحة، وأنه قد ذهب لسانه.

فقال «عليه السلام»: إن صدق فله ثلاث ديات.

فقيل: يا أمير المؤمنين، وكيف يعلم أنه صادق؟!

---

(١) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٧٨ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص٥٦ وبحار الأنوار ج١٠٠ ص٣٦٦ وجامع أحاديث الشيعة ج٢١ ص١٧٩ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص١٤١ وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين ص١٢٧ وراجع: الإستبصار ج٣ ص٢٥١ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢١ ص٢٣٤ و (ط الإسلامية) ج١٤ ص٦١٤ والكافي ج٥ ص٤١٢ وتهذيب الأحكام ج٧ ص٤٣٠ وجامع أحاديث الشيعة ج٢١ ص١٧٩.

فقال: أما ما ادعاه أنه لا يشم الرائحة، فإنه يدنى منه الحراق، فإن كان كما يقول، وإلا نحى رأسه، ودمعت عيناه.

وأما ما ادعاه في عينه، فإنه يقابل في عينه الشمس، فإن كان كاذباً لم يتمالك حتى يغمض عينه، وإن كان صادقاً بقيتا مفتوحتين.

وأما ما ادعاه في لسانه، فإنه يضرب على لسانه بإبرة، فإن خرج الدم أحمر فقد كذب، وإن خرج الدم أسود فقد صدق(١).

ورفعه الصدوق إلى الباقر عنه «عليه السلام».

ونقول:

لا بد من التثبت:

إنه «عليه السلام» لم يبادر إلى بيان حكم من ذهب شمه، وبصره ولسانه، بل أشار إلى أن مجرد دعواه ذهاب هذه الأمور تحتاج إلى إثبات، ولا تقبل منه بلا تثبت واختبار..

ولم يكتف هنا بقاعدة حمل فعل المسلم على الصحة، ولا رضي بأن يصدق في مثل هذا الأمر الذي قد يدعى أنه لا يعلم إلا من قبله..

بل أوجب اللجوء إلى وسائل إثبات عملية وعلمية، تكشف الزيف،

---

(١) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٧٦ و ١٧٧ والكافي ج٧ ص٣٢٣ وتهذيب الأحكام ج١٠ ص٢٦٨ وغوالي اللآلي ج٢ ص٣٦٧ و ٦٣٦ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٦ ص٥٠٨.

وتظهر الحق.

لكل معضلة حل:

إنه «عليه السلام» قرر لهذا الرجل ثلاث ديات:

إحداها: للبصر.

والثانية: للشم.

والثالثة: للسان.

وهذا هو الحكم الشرعي لمن يتعرض لجناية على أعضائه..

وقد ذكر ذلك، ثم سكت، متوقعاً مبادرة سامعيه إلى سؤاله عن الوسيلة التي ينبغي أن يستفاد منها للتحقق من صدق ذلك الرجل في دعواه..

ومع أن المفروض هو إيكال الأمر إلى أهل الاختصاص، فإن الناس لم يفعلوا ذلك، بل رجعوا إلى الإمام «عليه السلام»، وذلك يدل على أنهم يرون: أن لدى الشرع حلولاً لكل المشكلات التي تواجههم، وإنهم لا ينظرون إليه بصفته مجرد مقنن، وناقل للحكم التوقيفي كما يحاول البعض أن يدعي.

قياس الأنفاس؟!:

وقضى أمير المؤمنين «عليه السلام» في رجل ضُرِب على صدره، فادعى: أنه نقص نَفَسه، فقال «عليه السلام»: إن النفس يكون في المنخر الأيمن وفي الأيسر ساعة، فإذا طلع الفجر يكون في المنخر الأيمن إلى أن تطلع الشمس، وهو ساعة.

فأقعد المدعي من حين يطلع الفجر إلى طلوع الشمس، وعد أنفاسه، وأقعد رجلاً في سنه يوم الثاني من وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وعد أنفاسه ثم أعطى المصاب بقدر ما نقص من نفسه عن نفس الصحيح[1].

ونقول:

مقدار الإستحقاق يتبع مقدار النقص:

١ ـ إن كل مقدار من النقص يرد على شخص في بدنه بسبب فعل شخص آخر، له مقدار من الدية.. فإذا نقص السمع كان للمجني عليه من الدية بمقدار ما نقص من سمعه.. وكذا إذا نقص البصر، أو نقص النفس.

٢ ـ إن المهم هو تحديد مقدار النقص الوارد، ليمكن تحديد مقدار الإستحقاق. وصعوبة التحديد في مثل هذه الأمور لا تعني انسداد طرق الوصول إليه.. ولولا ذلك لكان الشارع قد وضع تشريعاً آخر يوصل الحق لصاحبه، ويكون قابلاً للتطبيق أيضاً.

الطريقة التي اختارها علي عليه السلام:

وقد بيَّن أمير المؤمنين «عليه السلام» هنا: أن بالإمكان معرفة مقدار ما

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٨٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٢٠٢ وبحار الأنوار ج١٠١ ص٣٩٩ وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين ص١٦٦.

نقص من النفس، باعتماد الطريقة التي بينتها الرواية.

وهي عدّ أنفاس الرجل السقيم، وأنفاس السليم في وقت بعينه، ثم المقارنة بينهما، ثم يعطى بمقدار ما نقص، ولكن بشروط هي:

ألف: اختيار الوقت الذي يخرج النفس فيه من المنخر الأيمن، وهو الوقت ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

ب: ضبط الوقت بدقة.

ج: أن يتوافق سن السليم مع سن السقيم.

د: أن تستمر المراقبة والعد مقدار ساعة كاملة.

وقد ظهر بذلك: أن الناس إذا توافقوا في مقدار سنهم، فإن أنفاسهم لا تختلف في مقاديرها. حتى لو اختلفوا في أحجامهم، وفي أوزانهم، وفي الطول وغير ذلك من خصوصيات.

ليس الإمام مجرد فقيه:

وظهر أيضاً: عدم صحة قول البعض: إن الإمام يحتاج فقط إلى المعرفة بأحكام الشريعة، وأن تكون له خبرة في إدارة الأمور، وقدرة سياسية(١)، بل هو يحتاج على المعرفة بسائر العلوم، وبأسرار الخلقة، وسائر الشؤون.

وظهر كذلك: أن ما كان يملكه علي «عليه السلام» من علوم، وقبله

---

(١) وقد رددنا على هذا البعض في كتابنا خلفيات مأساة الزهراء «عليها السلام»، فراجع.

رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يكن لمجرد التفنن والترف، بل كانت علوم يحتاجونها فيما أوكل إليهم من مهام.

خنثى ولدت، وأولدت!!:

١ ـ الحسن بن علي العبدي، عن سعد بن طريف، عن شريح: أن امرأة أتت إليه، فقالت: إن لي ما للرجال، وما للنساء.

فقال: إن أمير المؤمنين يقضي على المبال.

قالت: فإني أبول بهما، وينقطعان معاً.

فاستعجب شريح.

قالت: وأعجب من هذا، جامعني زوجي فولدت منه، وجامعت جاريتي فولدت مني.

فضرب شريح إحدى يديه على الأخرى متعجباً.

ثم جاء إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» فقالت: هو كما ذكر.

فقال لها: فمن زوجك؟!

قالت: فلان.

فبعث إليه فدعاه، وسأله عما قالت؟!

قال: هو كذلك.

فقال له «عليه السلام»: لأنت أجرأ من صايد الأسد، حين تقدم عليها بهذه الحال.

ثم قال: يا قنبر، أدخل مع أربع نسوة فعد أضلاعها.

فقال زوجها: لا آمن عليها رجلاً ولا ائتمن عليها امرأة.

فأمر دينار الخصي أن يشد عليها ثياباً، وأخلاه في بيت، ثم ولجه، وأمره بعد أضلاعه، فكانت من الجانب الأيمن ثمانية، ومن الجانب الأيسر سبعة.

فلبَّسها ثياب الرجال، وألحقها بهم.

فقال الزوج: يا أمير المؤمنين، ابنة عمي، قد ولدت مني تلحقها بالرجال؟!

فقال: إني حكمت فيها بحكم الله، إن الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصى، فأضلاع الرجال تنقص، وأضلاع النساء تمام(١).

٢ ـ وروى بعض أهل النقل: أن أمير المؤمنين أمر عدلين أن يحضرا بيتاً خالياً وأحضر الشخص معهما، وأمر بنصب مرآتين: إحدهما مقابلة لفرج الشخص، والأخرى مقابلة للمرآة الأخرى. وأمر الشخص أن يكشف عن عورته في مقابلة المرآة، حيث لا يراه العدلان، وأمر العدلين بالنظر في المرآة المقابلة لها.

فلما تحقق العدلان صحة ما ادعاه الشخص من الفرجين اعتبر حاله

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٧٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص١٩٦ و ١٩٧ ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص٣٢٧ و ٣٢٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٦ ص٢٨٨ ـ ٢٨٩ و (الإسلامية) ج١٧ ص٥٧٦ و ٥٧٧ ومستدرك الوسائل ج١٧ ص٢٢١ و ٢٢٢ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٤٦٧ ومسند محمد بن قيس (تحقيق بشير المازندراني) ص١٠٤ وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين ص١٠٧ و ١٠٨.

بعد أضلاعه[1].

ونقول:

الجرأة على الله!!:

نحتاج هنا إلى التذكير بالأمور التالية:

١ ـ لا شك في أن ذلك «الخنثى المشكل» كان جريئاً، بل وغير مبالٍ بانتهاك الحرمات، حيث أقدم على الزواج برجلٍ، مع احتمال كونه رجلاً مثله. ووطأ امرأةً هي جاريته، مع احتمال كونه امرأةً مثلها.

٢ ـ والرجل الذي تزوج تلك الخنثى كان هو الآخر جريئاً حين تزوج بخنثى يلد له، ثم يستولد امرأةً أخرى.

ولم يكتف بذلك، بل هو يعترض على أمير المؤمنين «عليه السلام»، لإلحاقه ذلك الخنثى بالرجال، حين ظهر له أنه رجل، فهل يريد ذلك الزوج أن يطأ رجلاً، مدعياً أنه امرأة؟!

لماذا أربع نساء؟!:

بالنسبة للنسوة الأربع اللواتي أمرهن «عليه السلام» بعدِّ أضلاع الخنثى

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٧٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص١٩٧ والإرشاد للمفيد ج١ ص٢١٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٦ ص٢٩١ و (الإسلامية) ج١٧ ص٥٧٩ وبحار الأنوار ج٤٠ ص٢٥٩ وج١٠١ ص٣٥٤ وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين ص١٠٧.

نقول:

إنما اختار هذا الرقم: «أربعة» لكي تكتمل عناصر البينة، فإن شهادة امرأتين تعدل شهادة رجلٍ واحد..

وقد أخبر الزوج بأن هذا الخنثى لا يؤتمن على امرأة، ولا يؤتمن عليه رجل، ربما بسبب عدم تورع الخنثى عن أي فعل ينافي الأخلاق إن وجد الفرصة لذلك.

فبادر «عليه السلام» بنفسه لاكتشاف الأمر.. لكي لا يحتاج إلى شهادة أحد..

عد الأضلاع هل ينافي الإحتياط؟!:

إن عد الأضلاع لا يحتاج إلى كشف البدن لرؤيته مباشرةً، ولا إلى ملامسته المباشرة، فيمكن ذلك من وراء ثوب ساتر. وهذا هو ما أشارت إليه الرواية، فإنه «عليه السلام» أمر دينار الخصي أن يشد ثياباً على الخنثى، ثم ولج «عليه السلام» البيت..

وقد وكل «عليه السلام» ذلك الخصي بعد أضلاع الخنثى..

وشد الثوب ظاهر بأنه لا يريد أن يكون الثوب فضفاضاً، بل يريده ملتصقاً ومشدوداً، ليتمكن من عدَّ الأضلاع من خلال تحسسها من وراء الثوب.

النظر إلى العورة عبر المرآة:

وقد ذكرت الرواية الثانية: أنه «عليه السلام» لم يسمح للشهود بأن ينظروا إلى الخنثى في موضع العورة مباشرةً، بل اكتفى بالنظر عبر المرآة،

فدل ذلك على أنه لا مجال للتساهل في أمر النظر المباشر ما دام أن المرآة وسيلة صالحة لذلك، فلا بد من الاقتصار عليها..

فلا مبرر إذن لما نشاهده من تساهل في هذا الأمر، من قبل الأطباء والممرضين والممرضات في أيامنا هذه، حيث يتعاملون مع مرضاهم، وكأنهم من محارمهم، بل هم يحللون لأنفسهم أكثر بكثير مما يحل للمحارم..

خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام:

وأما ما ذكرته الرواية الأولى من أنه «عليه السلام» قال: «إن الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصى، فأضلاع الرجال تنقص، وأضلاع النساء تمام» فيحتاج إلى بحث وتمحيص.

ونحن نكتفي هنا ببعض اللمحات التي نرى ضرورة للتعريف بها، فنقول:

آيات قرآنية:

هناك آيات أشارت إلى خلقة آدم، وموقع حواء منه، وهي التالية:

١ ـ قال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾**(١).

وقال: **﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾**(٢).

---

(١) الآية ١٨٩ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ٦ من سورة الزمر.

وليس في هاتين الآيتين دلالة على أن حواء «عليها السلام»، قد خلقت من ضلع آدم «عليه السلام»، بل المراد هو جعل الزوجية من خلال التشريع.

والمراد بالنفس الواحدة آدم «عليه السلام» كما هو ظاهر السياق.. حتى لو كان المراد هو النفس الإنسانية، فالأمر يكون أوضح فيما نرمي إليه.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً**﴾(١).

وهذه الآية لا تدل على أن حواء «عليها السلام» قد خلقت من ضلع آدم أيضاً.

أما بالنسبة لقوله تعالى: ﴿**خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾، فقد قلنا: إن المقصود به آدم «عليه السلام».. وإن كان المقصود معنى آخر. فالأمر يصبح أكثر وضوحاً.

وأما بالنسبة لقوله تعالى: ﴿**وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾(٢). فكذلك أيضاً، لأن ظاهره: أن زوجها منها من حيث أنهما معاً من النوع الإنساني، فكلمة «من» تفيد معنى النشوء، أي أن هذا قد نشأ من ذاك، فالآية على حد قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾(٣).

---

(١) من الآية ١ من سورة النساء.

(٢) من الآية ١ من سورة النساء.

(٣) من الآية٢١ من سورة الروم.

من روايات خلق حواء:

وقد وردت روايات تضمنت الإشارة إلى خلق حواء من ضلع آدم، منها ما يلي:

١ ـ عن أبي بصير، قال: سأل طاووس اليماني أبا جعفر «عليه السلام»: لم سمي آدمُ آدمَ؟!!

قال: لأنه رفعت طينته من أديم الأرض السفلى،

قال: فلم سميت حواءُ حواءَ؟!

قال: لأنها خلقت من ضلع حي. يعني ضلع آدم[١].

٢ ـ عن أبي بصير، عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال: سميت حواءُ حواءَ لأنها خُلقت من حي. قال عز وجل: ﴿**خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾[٢]»[٣].

٣ ـ وفي حديث آخر: أن يهودياً سأل علياً «عليه السلام» عن سبب

---

(١) الإحتجاج (ط دار النعمان) ج٢ ص٦٥ وبحار الأنوار ج١١ ص١٠٠ وج٤٦ ص٣٥٢ عنه.

(٢) الآية ١ من سورة النساء.

(٣) علل الشرائع (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص١٦ وبحار الأنوار ج١١ ص١٠٠ عنه، وراجع ص١٥٦ والبرهان (تفسير) ج١ ص٣٣٦ ونور الثقلين ج١ ص٤٢٩ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٠ ص٣٢٦ وراجع: مستدرك الوسائل ج١٤ ص٣٢٤ وتفسير مجمع البيان ج١ ص١٦٧ و ١٦٨.

تسمية حواء بحواءَ، فقال «عليه السلام»: «وإنما سميت حواءُ حواءَ، لأنها خلقت من الحيوان»(١).

٤ ـ عن أبي بصير عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال: سميت المرأة مرأة، لأنها خلقت من المرء. يعني: خلقت حواء من آدم(٢).

٥ ـ عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن بريد العجلي، عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال:

سألته عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا**﴾(٣).

قال: «إن الله تعالى خلق آدم من الماء العذب، وخلق زوجته من سنخه، فبرأها من أسفل أضلاعه، فجرى بذلك الضلع بينهما سبب نسب إلخ..»(٤).

---

(١) علل الشرائع ج١ ص٢ وبحار الأنوار ج١٠ ص١٣ وج١١ ص١٠٢ عنه.

(٢) علل الشرائع ج١ ص١٦ و ١٧ وبحار الأنوار ج١١ ص١٠٩ وج٥٧ ص٢٦٥ عنه، والبرهان (تفسير) ج١ ص٣٣٦ ونور الثقلين ج١ ص٤٢٩ ومعاني الأخبار ص٤٨ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٣٥٧ وقصص الأنبياء للجزائري ص٣٠.

(٣) الآية ٥٤ من سورة الفرقان.

(٤) الكافي ج٥ ص٤٤٢ وتفسير القمي ج٢ ص١١٤ وبحار الأنوار ج١١ ص١١٢ عنه، وراجع ج٥٧ ص٢٧٧ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٠ ص٣٩٩ والتفسير الصافي ج٤ ص١٩ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٢٣ وقصص الأنبياء للجزائري ص٣٢.

٦ ـ وعن أبي عبد الله «عليه السلام»: إن الله تعالى خلق آدم من الطين، وخلق حواء من آدم، فهمة الرجال الأرض، وهمة النساء الرجال إلخ..(١).

٧ ـ عن محمد بن عيسى العلوي، عن أبيه، عن جده، عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، قال: خلقت حواء من قصيرا جنب آدم ـ والقصيرا هو الضلع الأصغر ـ وأبدل الله مكانه لحماً(٢).

٨ ـ وبإسناده، عن أبيه، عن آبائه «عليهم السلام»، قال: خلقت حواء من جنب آدم، وهو راقد(٣).

ونقول:

إن جميع هذه الروايات لا تثبت مطلوب القائلين: بأن حواء قد خلقت من ضلع آدم بالمعنى الحسي المباشر. وذلك لما يلي:

أولاً: إن الرواية الثالثة، والرابعة، والسادسة، والثامنة، لا دلالة فيها على المطلوب، لأن كلمة: من آدم، أو من جنب آدم، أو من المرء، يعني: من

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي ص٤٥ وبحار الأنوار ج١١ ص١١٣ و ١١٦ و ١٥٦ عن قصص الأنبياء، وعن تفسير العياشي، وراجع نور الثقلين ج١ ص٣٣٤ عن الكافي، وتفسير مجمع البيان ج١ ص١٦٨ وقصص الأنبياء للجزائري ص٣٢ و ٤٤.

(٢) بحار الأنوار ج١١ ص١١٥ و ١١٦ عن تفسير العياشي، والبرهان (تفسير) ج١ ص٣٣٦ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٣٣٩.

(٣) تفسير العياشي ج١ ص٢١٥ وبحار الأنوار ج١١ ص١١٦ عن تفسير العياشي، وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٣٣٩ والبرهان (تفسير) ج١ ص٣٣٦.

آدم، أو من الحيوان، لا تعني: أنها خلقت من ضلع آدم بعد خلقه وصيرورته ضلعاً موجوداً بالفعل..

ثانياً: إن الرواية الثانية والثالثة معناهما: أن حواء مشتقة من حي، أو من الحيوان، مع أن هذا الإشتقاق خلاف القياس، لكون حواء واويا، وأما كلمتا حي، وحيوان فيائيتان.

إلا أن يقال: إنه اشتقاق جاء على خلاف القياس. أو لا يكون المراد منه الإشتقاق اللغوي.

ثالثاً: عن ابن سلام: أنه سأل النبي «صلى الله عليه وآله» عن آدم «عليه السلام»: لم سمي آدم..

إلى أن قال:

فأخبرني عن آدم، خلق من حواء؟! أو خلقت حواء من آدم؟!

قال: بل حواء خلقت من آدم، ولو كان آدم خلق من حواء لكان الطلاق بيد النساء،ولم يكن بيد الرجال.

قال: فمن كله خلقت؟! أم من بعضه؟!

قال: بل من بعضه، ولو خلقت من كله لجاز القصاص في النساء، كما يجوز في الرجال.

قال: فمن ظاهره أو باطنه؟!

قال: بل من باطنه، ولو خلقت من ظاهره لانكشفت النساء كما ينكشف الرجال. فلذلك صار النساء متسترات.

قال: فمن يمينه أو من شماله؟!

قال: بل من شماله، ولو خلقت من يمينه لكان للأنثى مثل حظ الذكر من الميراث. فلذلك صار للأنثى سهم وللذكر سهمان، وشهادة امرأتين مثل شهادة رجل واحد.

قال: فمن أين خلقت؟!

قال: من الطينة التي فضلت من ضلعه الأيسر(١).

رابعاً: يؤيد ذلك: ما رواه الصدوق «رحمه الله»، بالإسناد إلى وهب، قال: إن الله تعالى خلق حواء من فضل طينة آدم على صورته، وكان ألقى عليه النعاس إلخ..(٢).

خامساً: روى الصدوق، بإسناده إلى الحسن بن عبد الله، عن آبائه، عن جده الحسين بن علي بن أبي طالب «عليهما السلام» عن النبي «صلى الله عليه وآله»، في حديث طويل: «خلق الله عز وجل آدم من طين. ومن فضله وبقيته خلقت حواء»(٣).

---

(١) علل الشرائع ج٢ ص٤٧٠ ـ ٤٧٢ وبحار الأنوار ج٩ ص٣٠٤ ـ ٣٠٦ وج١١ ص١٠١ عنه، ونور الثقلين ج١ ص٣٣٤ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٣٤٢.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي ص٧٣ وبحار الأنوار ج١١ ص١١٥ عنه.

(٣) الأمالي للصدوق ص٢٥٩ و ٢٦٠ وبحار الأنوار وج٩ ص٢٩٩ وج١٠٠ ص٢٤١ و ٢٤١ ونور الثقلين ج١ ص٤٧٧ وعلل الشرائع ج٢ ص٥١٢ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٤٤٢ والإختصاص للمفيد ص٣٨ .

سادساً: عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، قال: سألت أبا جعفر «عليه السلام»: من أي شيء خلق الله حواء؟!

فقال: أي شيء يقول هذا الخلق؟!

قلت: يقولون: إن الله خلقها من ضلع من أضلاع آدم.

فقال: كذبوا. كان يعجزه أن يخلقها من غير ضلعه؟!

فقلت: جعلت فداك يا ابن رسول الله، من أي شيء خلقها؟!

فقال: أخبرني أبي، عن آبائه «عليهم السلام»، قال: قال رسول الله: «إن الله تبارك وتعالى قبض قبضة من طين، فخلطها بيمينه ـ وكلتا يديه يمين ـ فخلق منها آدم، وفضلت فضلة من الطين، فخلق منها حواء»(١).

وفي نص آخر عن الإمام الباقر «عليه السلام»: إنها خلقت من فضل طينة آدم عند دخول الجنة(٢).

---

(١) تفسير العياشي ج١ ص٢١٦ وبحار الأنوار ج١١ ص١١٦ عنه، وتفسير الميزان ج٤ ص١٤٦ و ١٤٧ وقضايا المجتمع والأسرة للطباطبائي ص٧٨ عن نهج البيان للشيباني، وعن الصدوق «رحمه الله»، والبرهان (تفسير) ج١ ص٣٣٦ ونور الثقلين ج١ ص٤٢٩ و ٤٣٠ وقصص الأنبياء للجزائري ص٣٣.

(٢) البرهان (تفسير) ج٣ ص٣٣٦ عن نهج البيان، وراجع: شرح مسلم للنووي ج١٠ ص٥٩ وفتح الباري ج٦ ص٢٦٢ وعمدة القاري ج١٥ ص٢١١ وجامع البيان للطبري ج١ ص٣٢٩ والتبيان للطوسي ج١ ص١٥٩ وبحار الأنوار ج١١ ص١٥٦ وتفسير الرازي ج٣ ص٢ وتفسير العز بن عبد السلام ج١ ص١١٨.

ونذكر القارئ: بأن كثيراً من التعابير قد جاءت على سبيل المجاز، ومنها قوله: «فخلطها بيمينه، وكلتا يديه يمين».

سابعاً: لعل الأخبار التي تحدثت عن خلق حواء من ضلع آدم قد جاءت على سبيل التقية، لأنها موافقة لما كان عليه الناس من غير أهل البيت وشيعتهم. كما دلت عليه الرواية السابقة..

ثامناً: قد يقال: إن أخبار خلقها من ضلع آدم لا تتنافى مع أخبار خلقها من فاضل طينته، بأن تكون قد خلقت من فاضل طينة ضلعه الأيسر. كما ألمحت إليه بعض الروايات المتقدمة..

هل هذه فكرة توراتية؟!:

وربما تكون هذه الفكرة قد تسربت إلى بعض المسلمين من قبل أهل الكتاب، وبالتحديد من التوراة المحرفة المتداولة. فقد جاء فيها:

«فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام، فأخذ واحداً من أعضائه، وملأ مكانها لحماً، وبنى الإله الضلع المحرم الذي أخذها من آدم امرأة، لأنها من امرئ أخذت، لذلك يترك الرجل أباه وأمه، ويلتصق بامرأته، ويكونان جسداً واحداً إلخ..»(١).

ونسجل هنا: أن مضامين هذه الفقرات مبثوثة في العديد من الروايات التي في الكتب التي يتداولها المسلمون أيضاً.. مع أنها مما لا يصح، ولا

---

(١) العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح الثاني.

ينبغي الاهتمام به.

الدواء الشافي:

ومن أقضية أمير المؤمنين «عليه السلام» ما رواه العياشي، عن حمران، عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» قال: اشتكى رجل إلى أمير المؤمنين بطنه، فقال له: سل امرأتك درهماً من صداقها، فاشتر به عسلاً، ثم اشربه بماء السماء، فإن الله يشفيك إن شاء الله.

ففعل الرجل ما أمره به علي «عليه السلام»، فبرئ وزالت عنه شكواه، فسئل أمير المؤمنين «عليه السلام» عن ذلك: أشيء سمعته من النبي؟!

فقال: «عليه السلام»: لا، لم أسمعه من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولكني سمعت الله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿**وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا**﴾(١). وقال «عليه السلام»: ﴿**يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ**﴾(٢). وكذلك قول الله تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ**﴾(٣).

---

(١) الآية ٤ من سورة النساء.

(٢) الآية ٦٩ من سورة النحل.

(٣) الآية ٩ من سورة ق.

فاجتمع الهنيئ والمريء، والبركة والشفاء، فرجوت بذلك البرء[١].

ونقول:

١ ـ إنه «عليه السلام» قد استفاد من هذه الآيات المباركات علاجاً ناجعاً، أخبر أنه يشفي ذلك المريض بشكل قاطع. مؤكداً حصول الشفاء بكلمة «إنَّ».

٢ ـ إن التأكيد بكلمة «إنَّ» يفيد: أن التعليق على المشيئة في قوله: «إن شاء الله» قد جاء لحفظ القدرة له عز وجل، وليس لأجل الترديد في حصول الشفاء.

٣ ـ إن مراجعة الناس للإمام في أمر الطب إما لاعتقادهم بإمامته، وفهمهم معنى الإمامة بصورة عميقة وصحيحة، أو لما كانوا يشاهدونه من تبحره «عليه السلام» في مختلف العلوم والمعارف. من حيث أن ذلك مما تتطلبه إمامته، أو لسماعهم من النبي «صلى الله عليه وآله»: «أنا مدينة العلم

(١) راجع: إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص١٦٥ و ١٦٦ وتفسير العياشي ج١ ص٢١٩ وراجع ص٢١٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢١ ص٢٨٥ و ٢٨٦ و و (الإسلامية) ج١٥ ص٣٧ وبحار الأنوار ج٥٩ ص٢٦٥ و (ط الحجرية) ج١٤ ص٨٧٣ وج٢٣ ص٨٣ وجامع أحاديث الشيعة ج٢١ ص٢٥٧ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٢٢١ وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٨٤ والبرهان (تفسير) ج١ ص٣٤١ ومجمع البيان ج٣ ص٧.

وعلي بابها».

ووعيهم له أو لسماعهم قوله تعالى: ﴿**كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾[1]. وغيره.. وربما لأجل ذلك كله.

(١) الآية ٦٩ من سورة النحل.

الفصل الخامس:

مشكلات وحلول..

ضاع دينار من ثلاثة:

روى الصدوق والشيخ مسنداً عن السكوني عن الصادق «عليه السلام» عن آبائه عنه «عليه السلام» في رجل استودع رجلاً دينارين، واستودعه آخر ديناراً، فضاع دينار منها، فقضى: أن لصاحب الدينارين ديناراً، ويقسمان الدينار الباقي بينهما نصفين[1].

ونقول:

ليس على أمين ضمان:

من الواضح: أن ذلك الرجل المستودع أمين، وليس على أمين ضمان.

---

(١) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص٣٨ وعن من لا يحضره الفقيه ج٢ ص١٧١ و (ط جماعة المدرسين) ج٣ ص٣٧ وراجع: تهذيب الأحكام ج٦ ص٢٠٨ وج٧ ص١٨١ والمقنع ص٣٣ و (ط سنة ١٤١٥ هـ) ص٣٩٨ والنهاية للطوسي ص٣١٤ والسرائر ج٢ ص٦٩ وجامع أحاديث الشيعة ج١٨ ص٤٠٢.

لماذا لم يعمل بالقرعة؟!:

١ ـ إن مجموع الدنانير هو ثلاثة، اثنان منها لأحد الرجلين. وقد ضاع دينار واحد، فهو إما الدينار الثاني لصاحب الدينارين أو هو دينار الرجل الآخر.. فأخذ الدينارين الباقيين هو للذي له ديناران، ويبقى دينار واحد. يحتمل أن يكون له أيضاً، ويحتمل أن يكون لذاك، ولا يحتمل أن يكون لهما معاً، لأن الذي ضاع هو قطعة واحدة، لا يمكن أن تكون إلا لأحدهما..

ولكنه «عليه السلام» قسمه بينهما نصفين، ولم يعمل بالقرعة، لعله لأجل حفظ حقهما معاً. لأن إعطاء الدينار لأحدهما استناداً إلى القرعة لا بنفي احتمال أن يكون قد أعطاه حق رفيقه الآخر، وكذلك العكس.

كما أن إعطاء نصف دينار لكل منهما معناه: أن أحدهما قد أخذ ما ليس له قطعاً.

ولكن لو نظرنا إلى كل منهما بمفرده فلا نقطع بأنه قد أخذ حق غيره بل نحتمل ذلك.

٢ ـ بناءً على ما تقدم نقول:

يحتمل أن يكون هذا الحل قد جاء على سبيل المصالحة الحبيَّة بينهما من حيث أنه «عليه السلام» كان يعلم أن الطرفين يرجحانها ويقبلان بها.. لأنهما يرضيان بنصف حقهما، ولا يلجآن إلى خيارٍ يَحتَمِلُ كل واحد منهما أنه قد يخسر فيه كل شيء..

فتكون هذه قضية في واقعة، ولا يمكن القياس عليها، ولا يستفاد منها حكم شرعي مطرد، بل هو حكم مرهون بالتراضي.

فإذا أصرا على رفض هذا الصلح، فالسؤال باق، وهو أنه هل يعمل بالقرعة؟! أم ماذا؟!

ويحتمل أن تكون هذه مصالحة إلزامية من الشارع، أي أن الحكم فيها تعبدي لازم الإجراء، لا سيما وأنه «عليه السلام» لم يطلب رضاهما بما قرره، ولا علل حكمه بشيء.

والشاهد على رجحان هذا الوجه: أنه «عليه السلام» قد عمل بهذه القاعدة في موارد أخرى.

منها: ما روي عن الصادق «عليه السلام» في رجلين كان معهم [معهما] درهمان، فقال أحدهما: الدرهمان لي.

وقال الآخر: هما بيني وبينك.

فقال أبو عبد الله «عليه السلام»: أما الذي قال: هما بيني وبينك، فقد أقر بأن أحد الدرهمين ليس له فيه شيء وأنه صاحبه، ويقسم الدرهم الباقي بينهما نصفين(١).

---

(١) وسائل الشيعة (ط آل البيت) ج١٨ ص٤٥٠ و (ط الإسلامية) ج١٣ ص١٦٩ و ١٧٠ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص١٣ و (ط جماعة المدرسين) ج٣ ص٣٥ وتهذيب الأحكام ج٦ ص٢٠٨ و ٢٩٢ وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص٣٨ ومستدرك الوسائل ج١٣ ص٤٤٤.

قاعدة اليد:

إن مسألة الدرهمين إنما تفرض لو لم يكن الدرهمان بيد من يدعيهما معاً لنفسه، إذ لو كانا بيده، فإن اليد أمارة على الملكية.

فلا بد أن يكون الدرهمان معهما معاً، كما لو كانا يسكنان في بيت واحد، وكان الدرهمان فيه، وهما تحت يد كل منهما. ويمكن لكل منهما التصرف فيهما..

للمسألة نظائر:

وهناك شاهد آخر، مروي عن الإمام الباقر «عليه السلام» في رجلٍ اشترى من رجلٍ عبداً وأقبضه فلما أراد أن يُقْبِضَه العبدُ ثَمَنَه وكان عنده عبدان قال للمشتري اذهب بهما فاختر أيهما شئت، ورد الآخر.

فذهب بهما المشتري، فأبق أحدهما من عنده.

فقال «عليه السلام» ليرد الذي عنده بينهما، ويقبض نصف الثمن مما أعطى من البيع. ويذهب في طلب الغلام، فإن وجده اختار أيهما شاء، ورد النصف الذي أخذه، وإن لم يجد العبد كان العبد بينهما: نصفه للبائع، ونصفه للمبتاع[1].

(١) الكافي ج٥ ص٢١٧ وسائل الشيعة (آل البيت) ج١٨ ص٢٦٨ و (ط الإسلامية) ج١٣ ص٤٤ و ٤٥ ومن لا يحضره الفقيه ج٣ ص١٤٨ وتهذيب الأحكام ج٧ ص٧٢ و ٨٢ وعوالي اللآلي ج٣ ص٢٢٩ وجامع أحاديث الشيعة ج١٨ ص٢٤٥.

لكن الحر العاملي «رحمه الله» قال: «وجهه بعض علمائنا بوقوع البيع على نصف العبدين»[١].

اضرب عنق العبد منهما:

وروى الطوسي «رحمه الله» بإسناده إلى قضايا أمير المؤمنين «عليه السلام»، قال: قال أبو جعفر «عليه السلام»:

توفي رجل على عهد أمير المؤمنين «عليه السلام»، وخلف ابناً وعبداً، فادعى كل واحد منهما أنه الابن، وأن الآخر عبد له.

فأتيا أمير المؤمنين «عليه السلام»، فتحاكما إليه، فأمر أن يثقب في حائط المسجد ثقبين، ثم أمر كل واحد منهما أن يدخل رأسه في ثقب. ففعلا.

ثم قال «عليه السلام»: يا قنبر، جرد السيف ـ وأشار إليه، لا تفعل ما آمرك به ـ ثم قال: اضرب عنق العبد.

فنحى العبد رأسه.

فأخذه أمير المؤمنين «عليه السلام». وقال للآخر: أنت الابن. وقد أعتقت هذا، وجعلته مولى لك[٢].

---

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) ج١٨ ص٢٦٩ و (ط الإسلامية) ج١٣ و ٤٥.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج٣ ص١٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٧ ص٢٨٧ و ٢٨٨ و (ط الإسلامية) ج١٨ ص٢١١ و ٢٠٨ و ٢٠٩ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٨٠ والكافي ج٧ ص٤٢٥ وتهذيب الأحكام ج٦ ص٣٠٧.

عن أبي عبد الله الصادق «عليه السلام»: أن رجلاً أقبل على عهد علي «عليه السلام» من الجبل حاجاً ومعه غلام له، فأذنب، فضربه مولاه، فقال: ما أنت مولاي بل أنا مولاك؟!

قال: فما زال ذا يتوعد ذا، وذا يتوعد ذا، ويقول: كما أنت حتى نأتي الكوفة يا عدو الله فأذهب بك إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلما أتيا الكوفة أتيا أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال الذي ضرب الغلام: أصلحك الله هذا غلام لي وإنه أذنب فضربته فوثب علي.

وقال الآخر: هو والله غلام لي، إن أبي أرسلني معه ليعلمني، وإنه وثب علي يدَّعيني ليذهب بمالي.

قال: فأخذ هذا يحلف وهذا يحلف، وهذا يكذب هذا، وهذا يكذب هذا.

قال: فقال: انطلقا فتصادقا في ليلتكما هذه ولا تجيئاني إلا بحق.

قال: فلما أصبح أمير المؤمنين «عليه السلام» قال لقنبر: أثقب في الحائط ثقبين.

قال: وكان إذا أصبح عقب حتى تصير الشمس على رمح يسبح، فجاء الرجلان واجتمع الناس، فقالوا: لقد وردت عليه قضية ما ورد عليه مثلها لا يخرج منها.

فقال لهما: ما تقولان؟!

فحلف هذا: أن هذا عبده.

وحلف هذا: أن هذا عبده.

فقال لهما: قوما فإني لست أراكما تصدقان.

ثم قال لأحدهما: ادخل رأسك في هذا الثقب.

ثم قال للآخر: ادخل رأسك في هذا الثقب.

ثم قال: يا قنبر، عليَّ بسيف رسول الله «صلى الله عليه وآله»، عجل اضرب رقبة العبد منهما.

قال: فأخرج الغلام رأسه مبادراً، فقال علي «عليه السلام» للغلام: ألست تزعم أنك لست بعبد؟!

ومكث الآخر في الثقب، فقال: بلى، ولكنه ضربني وتعدى علي.

قال: فتوثق له أمير المؤمنين «عليه السلام» ودفعه إليه(١).

ونقول:

المفاجأة والصدمة:

لا حاجة إلى التذكير: بأنه «عليه السلام» جعل من عنصر المفاجأة وسيلة لصدم الارتكاز العفوي لدفع العبد إلى الحركة المعبرة عن هذا الارتكاز، حين وضع رأسي الرجلين في ثقب في الحائط، وأمر بضرب عنق العبد منهما.

(١) الكافي ج٧ ص٤٢٥ وتهذيب الأحكام ج٦ ص٣٠٧ وبحار الأنوار ج٤٠ ص٣٠٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٧ ص٢٨٤ و (ط الإسلامية) ج١٨ ص٢٠٨ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٥ ص١٢٩.

إعداد وتمهيد:

١ ـ إنه «عليه السلام» بمفاجأته هذه، وتمهيده لها؛ بإحداث ثقب في حائط المسجد، ثم بوضع رأسي الرجلين في الثقبين قد أخرج الرجلين من حالة التركيز على نقطة بعينها والتشبث بها، إلى إشغالهم بحركات متباينة أوفدت صوراً مختلفة، لتختلط مع الصور التي كان يتم التركيز عليها، فزاحمتها وأزالتها عن مواقعها، ولم يعد بالإمكان العودة إليها إلا بالتخلص من مجموع هذه الصور، التي تمازجت بالمشاعر العنيفة والمتزاحمة في آن واحد.

٢ ـ إنه «عليه السلام» قد أعطاهما المهلة لكي تعود النفوس إلى هدوئها، ويراجع الكاذب منهما نفسه حتى لا يفتضح أمام الملأ. وإن لم يكن ذلك كان لا بد من معالجة الأمر بطريقة تكشف كذب الكاذب، وليكون ـ من ثم ـ جديراً بالفضيحة التي ستلحق به.

الإفتراق أولى:

إن أمير المؤمنين «عليه السلام» حين كشف مكيدة العبد كان يعلم: أن إبقاءه على الرقية لذلك الشخص، ليس بالأمر الصواب. لأن نفسه قد تسول له اللجوء إلى حركات أخرى أسوأ، بل قد يفكر بالتعاون مع أعداء علي «عليه السلام»، لينقضوا حكم علي «عليه السلام» بادعاء: أن هذا الذي جرى لا يثبت رقيته.

فبادر «عليه السلام» إلى فعل يرضي ذلك العبد، ويدعوه إلى التمسك

بحكم الرقية، لأنه أصبح طريقاً إلى الحرية الحقيقية، ألا وهو عتقه، واعتباره مولى لذلك الرجل، فيكون ولاؤه له، وربما يرثه بالولاء: كما أن هذا الإجراء يؤكد سبق عبوديته له.

علي عليه السلام لم يعزر العبد على كذبه:

ويلاحظ: أن الرواية لم تصرح بأنه «عليه السلام» قد عزر العبد على كذبته، ولعل السبب هو أن هذا يستلزم البحث عن مدى ما فعله سيده به، ولعل ذلك ينجر إلى عقوبة سيده، فكان الأولى والأصلح هو الستر على الناس، وإبقاء حالة الوئام بين السيد وعبده، حتى لا يفسد الأمر بينهما، هذا إن لم يكن ضرب عبده بغير حق، فأعتق العبد عقوبة على ذلك.

وللإمام أن يعفو عن الحد الذي يثبت بالإقرار، لا سيما إذا رأى مصلحة في هذا العفو.

وبعد.. فلعل الروايتين المتقدمتين تتحدثان عن واقعتين، ويحتمل أن تكون واقعة واحدة.

ويلاحظ أيضاً: أن العبد أقر بعد أن رأى البأس، ولم يقر مختاراً.

ثم في إحدى الروايتين لم يطلق أو يعتق العبد، بل سلمه إلى سيده بعد أن استوثق له.

لم تصرح الرواية:

غير أننا لا ندري إن كان علي «عليه السلام» حين أعتق العبد قد ضمن قيمته لسيده، أم أنه أعتقه برضا ذلك السيد. فإن كان قد أعتقه بدون رضاه،

فيكون قد استفاد من موقع ولايته، وإمامته.. ولعله أراد بذلك عقوبته على ضربه لعبده بغير حق، إن كان قد ضربه بغير حق، أو أكثر مما ينبغي.. أو أنه عالج الموضوع بالتعويض عليه من ماله، أو من بيت المال. وهذا ما عجزت الراوية عن بيانه..

ولكن الرواية الأخرى تذكر: أنه «عليه السلام» توثق للعبد، ودفعه إلى سيده.

وزن باب الحديد:

عن صفوة الأخبار: أن علياً «عليه السلام» قضى بالبصرة لقوم حدادين اشتروا باب حديد من قوم.

فقال أصحابه: الباب كذا وكذا منا، فصدقوهم وابتاعوا، فلما حملوا الباب على أعناقهم قالوا للمشترين: ما فيه ما ذكروه من الوزن، فسألوهم الحطيطة، فأبوا، فارتجعوا عليهم، فصاروا إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» فقال: أدلكم احملوه إلى الماء.

فحمل فطرح في زورق صغير، وعلم على الموضع الذي بلغه الماء. ثم قال: ارجعوا مكانه تمراً موزوناً.

فما زالوا يطرحونه شيئاً بعد شيء موزوناً حتى بلغ الغاية.

فقال: كم طرحتم.

قالوا: كذا وكذا مناً ورطلاً.

فقال «عليه السلام»: هذا وزنه[1].

وزن الفيل:

روى الشيخ، عن الحسين بن سعيد، عن بعض أصحابنا، رفعه إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» في رجل حلف أن يزن الفيل.

فأتوا به إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال: ولِمَ تحلفون بما لا تطيقون؟!

فقال: قد ابتليت.

فأمر بقرقور فيه قصب، فأخرج منه قصب كثير، ثم علم صبغ الماء بعدما عرف صبغ الماء قبل أن يخرج القصب، ثم صير الفيل إلى مقداره الذي كان انتهى إليه صبغ الماء أولاً.

ثم أمر بوزن القصب الذي أخرج، فلما وزن قال: هذا وزن الفيل[2].

---

(١) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري(ط الأعلمي) ص١٨٢ ومستدرك الوسائل ج١٧ ص٣٩٤ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٥ ص١٣٧ وبحار الأنوار ج٤٠ ص٢٨٦ عن كتاب صفوة الأخبار.

(٢) وسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٣ ص٢٨٤ و (الإسلامية) ج١٦ ص١٧٧ و ١٧٨ وتهذيب الأحكام ج٨ ص٣١٨ وبحار الأنوار ج٤٠ ص١٦٦ وجامع أحاديث الشيعة ج١٩ ص٥٢٠ ونهج الإيمان ص٢٨٠ وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٨٣ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٢٨ والصراط المستقيم ج١ ص٢٢٣ .

ونقول:

نظير هذه الحادثة:

١ـ قال التستري:

«قلت: هو نظير ما رواه الفقيه عن النضر بن سويد يرفعه: أن رجلاً حلف أن يزن فيلاً.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: يدخل الفيل سفينة، ثم ينظر إلى موضع مبلغ الماء من السفينة، فيُعَلَّم عليه، ثم يخرج الفيل، ويلقى في السفينة حديد، أو صفر، أو ما شاء، فإذا بلغ الموضع الذي علم عليه أخرجه ووزنه.

نقل المجلسي والعاملي هذا الخبر في باب قضايا أمير المؤمنين «عليه السلام» مع أن الخبر عن النبي «صلى الله عليه وآله»[1].

٢ ـ قال الحر العاملي «رحمه الله»: «هذا محمول على الاستحباب، بل التقية لما مر. أشار إليه الصدوق وغيره»[2].

---

(١) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٨٣.

(٢) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٨٣ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٣ ص٢٨٤ و (الإسلامية) ج١٦ ص١٧٨.

الحلف على غير المقدور:

في الرواية: أن علياً «عليه السلام» قد لام من يحلف بها لا يطيق. فإن كان المراد: أنهم لا يطيقون ذلك حقيقة، فينبغي أن يحكم ببطلان هذا الحلف، لأن صحته تتوقف على كون المحلوف عليه مقدوراً. ولا يحتاج بعد هذا إلى أن يتولى هو أو غيره وزن الفيل.

وإن كان المراد أنهم لا يطيقون وزن الفيل. لأنهم لا يملكون بالفعل معرفة طريقة وزنه، فلا يضر ذلك بصحة الحلف، لأنهم وإن لم يعرفوا طريقة وزنه مباشرة، ولكنهم قادرون على معرفة هذه الكيفية بسؤال العالمين بها، كأمير المؤمنين «عليه السلام»، ولا يشترط في صحة الحلف أكثر من هذا.

فلومه «عليه السلام» لهم إنما هو على تسرعهم في الحلف على أمر لا يجدون لهم حيلة فيه ساعة حلفهم، أو يتعسر عليهم، أو من غير الميسور لهم عادة.

خلل في نص الرواية:

يبدو لنا: أن ثمة خلطاً في نص الرواية.. فإن التصرف الطبيعي الموصل إلى النتيجة المتوخاة، هو أن يضع الفيل أولاً في السفينة، ثم يعلِّم موضع وصول الماء فيها..

ثم يخرج الفيل ويجعل مكانه قصباً إلى أن يبلغ الماء إلى نفس تلك العلامة، ثم يوزن القصب، فيكون الحاصل من وزنه هو وزن الفيل.

ولكن الرواية عكست الأمر، وأصبحت تحتاج إلى أن نعلم بوزن الفيل

قبل وضع القصب فيه. إذ لا معنى لوزن القصب أولاً.

ثم جعل الفيل بعده إلا إذا كان يعلم بأن الماء سيبلغ إلى نفس الموضع الذي بلغه القصب، ولو كان يعلم بذلك لم تكن حاجة إلى وضع الفيل في السفينة أصلاً.

فتلخص: أنه لا بد من وضع الفيل أولاً، ثم وضع علامة على السفينة تبين موضع بلوغ الماء حال كون الفيل فيها. ثم يوضع القصب، حتى يبلغ الماء إلى تلك العلامة كما قلنا. ثم يوزن القصب.. فيعرف بذلك وزن الفيل.

كلب أم شاة؟!:

وروي: أن أعرابياً سأل علياً «عليه السلام»، فقال: إني رأيت كلباً وطأ شاةً، فأولدها ولدا، فما حكم ذلك في الحل؟!

فقال «عليه السلام»: اعتبره في الأكل، فإن أكل لحماً فكلب، وإن أكل علفاً فشاة.

فقال الأعرابي: رأيته يأكل هذا تارة، وهذا أخرى.

فقال «عليه السلام»: اعتبره في الشرب، فإن كرع فهو شاة، وإن ولغ فكلب.

فقال الأعرابي: وجدته ولغ مرة ويكرع أخرى.

فقال: اعتبره في المشي مع الماشية، فإن تأخر عنها فكلب، وإن تقدم أو توسط فهو شاة.

فقال: وجدته مرة هكذا ومرة هكذا.

قال: اعتبر في الجلوس، فإن برك فشاة، وإن أقعى فكلب.

قال: إنه يفعل هذا مرة وهذا أخرى.

قال: اذبحه، فإن وجدته له كرشاً فهو شاة، وإن وجدت أمعاء فكلب.

فبهت الأعرابي عند ذلك من علم أمير المؤمنين «عليه السلام»[1].

ونقول:

علم الحيوان عند علي عليه السلام:

إن هذه الرواية أوضحت: معرفته «عليه السلام» بخصائص الحيوانات، وطباعها. وأيها له علاقة بتكوينه الذي يميزه عن غيره.. فإننا نعلم أن بعض الحيوانات قد تتعلم أموراً تشبه فيها بعض الفصائل الأخرى. ولكن ذلك يكون عارضاً وطارئاً، ولا يكون من خصوصيات خلقتها.

وقد ذكر «عليه السلام» هنا أربعة أمور تميز الكلب تمييزاً حقيقياً في أخلاقه وسلوكياته عن الشاة. فلما وجد أنها قد اختلطت، أو أن السائل أراد أن يتعنت عليه فيها، بما رآه مفيداً له في ذلك.. بادره بما حسم الأمر نهائياً، وبهته حين ذكر له أمراً خَلقياً، إما أن يكون أو لا يكون. فكان لا بد له من

(١) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص٥٨ عن كشكول البهائي. وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٧ ص٤٩١ عن حديقة الأفراح لإزالة الأتراح، لليماني الشيرواني (ط المطبعة الميمنية بالقاهرة) ص٥١ عن البهائي، وشجرة طوبى ج١ ص٦٧ و ٦٨.

أن يرفع اليد عن هذا التعنت رغماً عنه.

وقد ظهر بذلك شمولية علم علي «عليه السلام» لمختلف المجالات والحالات.

كما أن ذيل الرواية قد ألمح إلى أن مطلوب ذلك السائل هو متابعة الأسئلة إلى أن ينتهي إلى قطع أمير المؤمنين «عليه السلام» عن الجواب، فجاءت الأمور على عكس ما أراد، وظهر بذلك فضله «عليه السلام» بما لا مزيد عليه، وما لا سبيل لأحد غيره إلى الوصول إليه..

الفرق بين الطحال والكبد:

عن أبي يحيى الواسطي، قال: مرَّ أمير المؤمنين «عليه السلام» بالقصابين، فنهاهم عن بيع سبعة أشياء من الشاة، نهاهم عن بيع: الدم والغدد وآذان الفؤاد والطحال والنخاع والخصي والقضيب، فقال له بعض القصابين: يا أمير المؤمنين، ما الكبد والطحال إلا سواء.

فقال له: كذبت يا لكع، ائتني بتورين من ماء، أنبئك بخلاف ما بينهما.

فأتى بكبد وطحال، وتورين من ماء.

فقال: شقوا الكبد من وسطه، والطحال من وسطه، ثم رماهما في الماء جميعاً، فابيضت الكبد، ولم ينقص منها شيء، ولم يبيض الطحال، وخرج ما فيه كله، وصار دماً كله. وبقى جلد وعروق.

فقال له: هذا خلاف ما بينهما، هذا لحم، وهذا دم[1].

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٧٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص١٩٧

ونقول:

ما أخطأ به القصاب:

إن ذلك القصاب قد اخطا مرتين:

إحداهما: في تسويته بين الطحال والكبد، مع أنه إن لم يكن لديه اية معرفة بالعلوم، فقد كان عليه أن يعرف حده، فيقف عنده.. وإلا فقد كان ينبغي له أن يعرف أن مقولته لو صحت، لكانت بمثابة نسبة العبث إلى الله سبحانه حين خلقهما في جسد واحد.

الثانية: أنه اعترض على التشريع الإلهي، من دون أن يكون لديه أي اطلاع على علل التشريع، وعلى أسرار الخلقة. ومن الواضح: أن دين الله تعالى لا يصاب بالعقول.

كما أن هذا الاعتراض يستبطن الاستهانة بأحكام الله تعالى، وتسهيل مخالفتها، والعبث بها على الناس.

والثالثة: أنه يقول بغير علم، ولا هدى ولا كتاب منير، مستنداً إلى حدسه. وهذا مرفوض جملة وتفصيلاً، فكيف إذا أراد أن يبرر به اعتراضه على التشريع الإلهي؟!

وتهذيب الأحكام ج٩ ص٧٤ وفقه القرآن للراوندي ج٢ ص٢٥٩ و ٢٦٠ والكافي ج٦ ص٢٥٣ والخصال ص٣٤١ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٤ ص١٧١ و (الإسلامية) ج١٦ ص٣٦٠ وبحار الأنوار ج٦٣ ص٣٤ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٣ ص١٥٩.

لماذا وصف القصاب بالكذب؟!:

١ ـ لعل ما ذكرناه يوضح السبب في هذه الشدة التي أظهرها «عليه السلام» مع ذلك الرجل، حيث وصفه بالكذب. وهو كاذب بالفعل، فإنه يخبر بخلاف الواقع، وهو يدعي معرفته بأمر ظهر أنه يجهله جهلاً تاماً.

وهو أيضاً لكع، لأنه أحمق يتدخل فيما لا يعنيه، ويتصرف بما لا يحمد عليه، بلا روية ولا تعقل.

٢ ـ إنه «عليه السلام» قد اثبت عملياً كذب ذلك القصاب، وقد ظهر أن التفاوت بين الطحال والكبد عظيم.. فقد بينت التجربة الحسية كيف أن أحدهما دم، والآخر لحم..

ولم يكتف «عليه السلام» بمجرد إخباره بهذا الأمر، بل جعله يتلمسه بنفسه، ليزيل كل وهم يمكن أن يراود خياله، أو خيال أي كان من الناس.

٣ ـ إن ذلك القصاب قد أفتى بغير علم، بل استند إلى الحدس، والتخمين، والإستحسان، فحاله حال الذين ﴿**قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا**﴾[(١)].

تزوجت ولدها، فمنعه الله منها:

ورد: أن أمير المؤمنين قال للوشاء: ادن مني.

قال: فدنوت منه، فقال: امض إلى محلتكم، ستجد على باب المسجد رجلاً وامرأة يتنازعان، فائتني بهما.

---

(١) الآية ٢٧٥ من سورة البقرة.

قال: فمضيت فوجدتهما يختصمان، فقلت: إن أمير المؤمنين يدعوكما. فسرنا حتى دخلنا عليه، فقال: يا فتى، ما شأنك وهذه الإمرأة؟!

قال: يا أمير المؤمنين، إني تزوجتها، وأمهرت، وأملكت، وزففت، فلما قربت منها رأت الدم، وقد حرت في أمري.

فقال «عليه السلام»: هي عليك حرام ولست لها بأهل.

فماج الناس في ذلك، فقال لها: هل تعرفيني؟!

فقالت: سماع أسمع بذكرك، ولم أرك.

فقال: ما أنت فلانة بنت فلان من آل فلان؟!

فقالت: بلى والله.

فقال: ألم تتزوجي بفلان بن فلان متعة سراً من أهلك؟! ألم تحملي منه حملاً ثم وضعتيه غلاماً ذكراً سوياً، ثم خشيت قومك وأهلك، فأخذتيه وخرجت ليلاً، حتى إذا صرت في موضع خال وضعتيه على الأرض، ثم وقفت مقابلته، فحننت عليه، فعدت أخذتيه، ثم عدت طرحتيه حتى بكى وخشيت الفضيحة، فجاءت الكلاب فأنبحت عليك، فخفت فهرولت فانفرد من الكلاب كلب فجاء إلى ولدك فشمه، ثم نهشه لأجل رائحة الزهومة، فرميت الكلب إشفاقاً، فشججتيه فصاح، فخشيت أن يدركك الصباح فيشعر بك، فوليت منصرفة وفي قلبك من البلابل، فرفعت يديك نحو السماء وقلت: اللهم احفظه يا حافظ الودايع؟!

قالت: بلى والله، كان هذا جميعه، وقد تحيرت في مقالتك.

فقال: هائم الرجل، فجاء.

فقال «عليه السلام» للفتى: اكشف عن جبينك، فكشف فقال للمرأة: ها الشجة في قرن ولدك، وهذا الولد ولدك، والله تعالى منعه من وطيك بما أراه منك من الآية التي صدته، والله قد حفظ عليك كما سألتيه، فاشكري الله على ما أولاك وحباك(١).

ونقول:

١ـ لم يظهر من الرواية المذكورة أن أحداً أخبر علياً «عليه السلام» بوجود امرأة ورجل يختصمان عند باب المسجد.

فإن كان علي «عليه السلام» قد عرف بالأمر بعلم الإمامة، فلماذا لم يخبر «عليه السلام» هذه المرأة بحقيقة أمر هذا الرجل، وأنه ابنها قبل أن يتزوجها، وتحصل هذه الفضيحة لها وله؟!

ويمكن أن يجاب:

بأن هذا الإخبار لم يكن مطلوباً، بل لعل المطلوب هو إظهار علم الإمامة، الذي سيكون له أثر كبير في هداية الكثيرين إلى هذا الدين، ثم في تعميق وترسيخ إيمان من كان قد آمن منهم، فإن ذلك يستتبع توفيقات وألطاف إلهية، ما أحوجهم إليها.

على أن هذا الذي جرى للأم ولابنها من شأنه أن يزيد في درجات إيمانهما، ويرسخ قدمهما في معنى الإمامة، ويعمق علاقتهما القلبية بالإمام

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية ـ النجف) ج٢ ص١٠١ وقضاء أمير المؤمنين للتستري ص٢٣٧ و ٢٣٨ وبحار الأنوار ج٤٠ ص٢١٩.

«عليه السلام». وهذا أيضاً من لطف الله تعالى بهما، ومحبته لهما.

ويتأكد ذلك: إذا كانت تلك المرأة ستشاهد ويشاهد الناس لطف الله بها وبولدها.. باستجابة دعائها، وحفظ ولدها، حتى من الكلاب التي كانت تتأهب لنهش لحمه، وكسر عظمه.

وقد حفظه الله تعالى لها، ليدرك أصحاب الغيرة الحمقاء، التي تعبر عن أنانيتهم وخزيهم وظلمهم، الذين كانوا السبب في تعريض هذا الطفل لما تعرض له: أنهم بعيدون عن رحمة الله تعالى، وأن هذه الأم هي التي يحبها الله إلى حد أنه يحفظ لها ولدها الذي يريدون بظلمهم وبغيهم أن يجري عليه ما جرى.

٣ ـ إن هذه الحادثة تشير إلى مدى الظلم الاجتماعي الذي كان يمارس ضد الناس. حتى إن البعض ليضطر إلى تحمل أقسى أنواع الآلام، ولا يعرض نفسه لهذا الظلم الفاحش. كما فعلته هذه المرأة التي تتخلى عن فلذة كبدها، وهو نفس بريئة رغم أنها لم تفعل إلا ما أحله الله تعالى لها.

٤ ـ إن لنا أن نطلق العنان لتصوراتنا عن الحالة التي انتابت تلك المرأة، وهي ترى الكلاب تحاول الفتك بولدها الرضيع، العاجز عن الدفع عن نفسه.

ولا ندري حقيقة المعاناة التي مرت بها، وهي تفارق ذلك الطفل، الذي تحتوشه الكلاب لافتراسه، وما هي المشاعر التي كانت تنتابها حين كانت تراودها تلك الصورة المؤلمة أعني صورة الكلب وهو ينهش ولدها.. وأية نار كانت تضطرم في قلب تلك الأم المفجوعة..

وهل كانت تتردد تلك الصيحة وترن في مسامعها في كل حين.. فتدك بهولها حصون الصبر، في وجودها كله. لتعيش الألم والحرقة والمرارة،

وعقدة الذنب، وتلقي بها في مهامه الحيرة والضياع، والشرود؟!

٥ ـ والأشد ألماً، والأمض حرقةً، والأكثر مرارة، أنها رأت نفسها تشارك الكلاب في قتل ولدها، بل كانت السباقة إلى ذلك، وترى حَجَرها وهو يشج رأس ذلك الطفل، وتتفجر الدماء من رأسه، الذي كانت تتمنى أن تغمره بقبلاتها، وأن تسكنه بلمسات الحب والرضا، والأنس والحنان في كل وقت وآن..

الفصل السادس:

علي عليه السلام والمنجمون..

المنجم كالكاهن، والكاهن كالساحر:

قال الشريف الرضي «رحمه الله»:

قال له [أي لعلي «عليه السلام»] بعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج: إن سرت يا أمير المؤمنين في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم.

فقال له «عليه السلام»: أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء، وتخوف من الساعة التي من سار فيها حاق به الضر؟!

فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن، واستغنى عن الاستعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه.

وينبغي في قولك، العامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربه، لأنك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع وأمن فيها الضر.

ثم أقبل على الناس فقال:

أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدى به في بر أو بحر، فإنها تدعو الكهانة والمنجم كالكاهن والكاهن كالساحر. والساحر كالكافر. والكافر في النار. سيروا على اسم الله.

زاد في نص آخر: فخرج في الساعة التي نهاه عنها، فظفر وظهر(١).

وفيه: أنه «عليه السلام» قال لذلك المنجم: «أما والله إن بلغني أنك تعمل بالنجوم لأخلدنك السجن أبداً ما بقيت، ولأحرمنك العطاء ما كان لي سلطان..

إلى أن قال: أما إنه ما كان لمحمد منجم، ولا لنا بعده، حتى فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر.

أيها الناس، توكلوا على الله، وثقوا به، فإنه يكفي ممن سواه»(٢).

---

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ص١٢٨ و ١٢٩ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١١ ص٣٧٣ و (ط الإسلامية) ج٨ ص٢٧١ وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٣٩ و ١٤٠ والإحتجاج ج١ ص٣٥٧ وفرج المهموم ص٥٧ والفصول المهمة للحر العاملي ج٢ ص٢٣٨ وج٣ ص٣٤١ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٣٦٢ وج٥٥ ص٢٥٨ وجامع أحاديث الشيعة ج١٧ ص٢٣٦ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للنجفي ج١ ص٢١٣ وج٥ ص٦٤ وج١١ ص٢٦٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص١٩٩ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٤٠٨ والجامع لأحكام القرآن ج١٩ ص٢٩.

(٢) بحار الأنوار ج٣٣ ص٣٤٦ وج٥٥ ص٢٢٤ و ٢٥٨ و ٢٦٤ وج٤١ ص٣٣٦ ومستند الشيعة للنراقي ج١٤ ص١٢٠ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٥٥٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص٢٧٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٢٣.

ونقول:

لا نريد أن نرهق القارئ ببيانات حول الكهانة، والسحر والتنجيم، فإن لذلك موضعاً آخر، ونكتفي هنا بالإشارة إلى ما يلي:

قيمة علم النجوم:

لا بأس بالنظر فيما يلي:

١ ـ لقد أرشد القرآن الكريم إلى دور النجوم في هداية الناس إلى الجهات المختلفة، ليتمكنوا من التحرك نحو مقاصدهم، بأمان واطمئنان، وعلى أساس الوضوح والثقة والثبات قال تعالى: ﴿**وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾(١).

وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ..**﴾(٢).

٢ ـ أرشد القرآن أيضاً إلى أهمية مواقع النجوم في المنظومة الكونية العامة. حتى إنه لشدة حساسيتها أقسم بها بلسان إظهار أهميتها، فقال تعالى: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**﴾(٣).

٣ ـ إنه تعالى ذكر أيضاً: أن النجوم مسخرات بأمره، كسائر الكواكب،

---

(١) الآية ١٦ من سورة النحل.

(٢) الآية ٩٧ من سورة الأنعام.

(٣) الآية ٧٥ من سورة الواقعة.

فقال: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾(١).

وذكر: أنها تخضع وتسجد لله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ﴾(٢).

وقد وصف أيضاً بعض النجوم بـ «الثاقب»، فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾(٣).

وفي الحديث أيضاً: إشارات كثيرة إلى النجوم، وبعض ما يرتبط بها، ولسنا بصدد تتبع ذلك..

٥ ـ إن علم النجوم الذي يريد أن يربط حركة الإنسان في الحياة ربطاً حدسياً وتكوينياً بمعارف عن النجوم، حصل على أكثرها أيضاً عن طريق الحدس والتخمين. إن هذا العلم ليس بعلم، بل هو جهل وتجهيل، وتخييل وتأهيل، من دون حجة ودليل، لأنه لا يملك أية مبررات لهذا الربط الذي يقترحه ويدعيه، لأن الربط الصحيح يحتاج إلى وقوف على أسرار الخلق والتكوين، ولا يستطيع أحد أن يدعي لنفسه ذلك.. بعد النبي والأئمة الأطهار «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين» إلا كاذب.

يضاف إلى هذا وذاك: أن التسويق لهذه النظرية الإعتباطية أو تلك يؤثر على حياة الناس وعلى حركتهم، وتطلعاتهم، وخططهم، ويجعلهم عرضةً

---

(١) الآية ٥٤ من سورة الأعراف، وراجع الآية ١٢ من سورة النحل.

(٢) الآية ١٨ من سورة الحج.

(٣) الآيتان ٣ و ٤ من سورة الطارق.

لألاعيب شياطين الأنس فيهم.. بالإضافة إلى شياطين الجن.

كما أنه يحدث لديهم خللاً رئيساً، وحساساً وأساسياً في المضمون الإعتقادي لهم بالله، ويؤثر على علاقتهم به تعالى. إلى حد الشعور بالإستغناء عنه، والاستئسار للجبرية التكوينية التي أراد لها أولئك الشياطين أن تهيمن على العقول والمشاعر، وعلى حركة الناس في الحياة.

ثم هو يعطي أولئك المتحذلقين الفرصة لادعاء التحكم بالأقدار، والإشراف على الغيب، وامتلاك مفاتيح السعادة والشقاء، والسلامة والبلاء، والمرض والشفاء، والموت والحياة.

ويفسح لهم المجال للتدخل في كل كبيرة وصغيرة، والتحكم بقرار الناس، حتى يصبحوا دمى في أيديهم، وهذا ما لا يرضاه الله تعالى لعباده، ولا يريد أن يرى له أي أثر في بلاده..

وقد كذب القرآن هؤلاء حين قال: ﴿**يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[1]، وكذبهم أيضاً بأوامره وزواجره، التي لم تقيد بزمان، ولا أرشدت إلى وقت بعينه، ولا أشارت إلى مراعاة حالات النجوم في منازلها أو في حركتها، أو في غير ذلك..

وقد أرشد القرآن الناس إلى أن الله تعالى هو الذي يقرر ويقدر، وينفع ويضر، ويعطي ويمنع، ولم يقيد شيئاً من ذلك، ولا أياً مما يقدره، ويقضيه، ويفعله ويمضيه بشيء مما يدعيه المنجمون للنجوم أو لغيرها.

---

(١) الآية ٣٩ من سورة الرعد.

فالمنجم كالكاهن، يبني أحكامه على الحدس والتخمين، وقد يروق للكاهن أن يقلب الحقائق، ويخدع الناس بأباطيله وألاعيبه، ويفسد حياة الناس، حتى يكون كالساحر، في تمويهه، وخداعه، وفي التدخل في حياة الناس لإفسادها.

كما أن الساحر والكاهن والمنجم ينتهيان إلى انتهاك الحرمات الإلهية، ويفسدون اعتقاد الناس بربهم، ويقطعون علاقتهم به تعالى.. ويقدمون أنفسهم لهم على أنهم هم الذين ينفعون ويضرون، ويدفعون الناس إلى الاعتقاد بالتعطيل الإلهي والكفر بصفاته الربوبية، وتشويشها، وتشويهها..

النجوم علامات لا مؤثرات:

قال المحقق التستري «رحمه الله»:

أقول: المستفاد من كلامه «عليه السلام» وكلام المعصومين من عترته: أن النجوم علامات لا مؤثرات بالذات، ويدفع أثرهما بالتضرع إلى مبدعها، ومسخرها، ومدبرها، والتوسل إليه بالصدقات والقربات، ففي خبر ابن سبط عن الصادق «عليه السلام» قال: كان بيني وبين رجل قسمة أرض، وكان الرجل صاحب نجوم وكان يتوخى ساعة السعود، فيخرج فيها وأخرج أنا في ساعة النحوس.

فاقتسمنا، فخرج لي خير القسمين.

فضرب الرجل يده اليمنى على اليسرى، ثم قال: ما رأيت كاليوم قط.

قلت: وما ذاك؟!

قال: إني صاحب نجوم، أخرجتك في ساعة النحوس، وخرجت أنا في ساعة السعود، ثم قسمنا، فخرج لك خير القسمين.

فقلت: ألا أحدثك بحديث حدثني به أبي.

قال: قال الرسول: «من سره أن يدفع الله عنه نحس يومه، فليفتتح يومه بصدقة يذهب الله بها عنه نحس يومه، ومن أحب أن يذهب الله عنه نحس ليلته، فليفتتح ليلته بصدقة، يدفع عنه نحس ليلته. وإني افتتحت خروجي بصدقة فهذا خير لك من علم النجوم»(١).

قلت: ومن جرى عليه تقدير من الله تعالى لا ينفعه أخبار المنجم له بذلك ولا يدفع تدبيره ولا يغنى عنه من الله شيئاً، فقد عرَّف المنجمون فرعون أن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب هلاكه، فذبح الأنبياء [لعل الصحيح: الأبناء]، واستحيا النساء، لدفع ذلك، فأرغم الله أنفه حتى رباه بنفسه. وكذلك نمرود.

وكذلك أراد الحسن بن سهل دفع البلاء عن أخيه الفضل بالنجوم، فقال ياسر الخادم: لما عزم المأمون على الخروج من خراسان إلى بغداد، خرج معه الفضل بن سهل ذو الرياستين، وخرجنا مع أبي الحسن الرضا، فورد

---

(١) الكافي ج٤ ص٦ و ٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٩ ص٣٩٢ و (الإسلامية) ج٦ ص٢٧٣ وبحار الأنوار ج٤٧ ص٥٢ وج٥٥ ص٢٧٣ وجامع أحاديث الشيعة ج٨ ص٤٠٧ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للنجفي ج٦ ص٦٧ وج١١ ص٢٧٨ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٤٠٩.

على الفضل بن سهل كتاب من أخيه الحسن ونحن في بعض المنازل: إني نظرت في تحويل السنة، فوجدت فيه أنك تذوق في شهر كذا وكذا يوم الأربعاء حر الحديد وحر النار.

وأرى أن تدخل أنت، وأمير المؤمنين، والرضا الحمام في هذا اليوم، وتحتجم، وتصب على بدنك الدم ليزول عنك نحسه.

فكتب الفضل إلى المأمون بذلك، وسأله أن يسأل أبا الحسن «عليه السلام» فيه

فأجابه: لست بداخل الحمام غداً.

فأعاد عليه الرقعة مرتين.

فكتب إليه أبو الحسن: لست بداخل الحمام غداً، فإني رأيت رسول الله في هذه الليلة، فقال لي: يا علي، لا تدخل الحمام غداً، فلا أرى لك يا أمير المؤمنين ولا للفضل أن تدخل الحمام غداً.

فكتب إليه المأمون: صدقت يا أبا الحسن، وصدق رسول الله، لست بداخل الحمام غداً، والفضل أعلم.

قال ياسر: فلما أمسينا وغابت الشمس قال لنا الرضا: قولوا نعوذ بالله من شر ما ينزل في هذه الليلة، فلم نزل نقول ذلك.

فلما صلى الرضا «عليه السلام» الصبح قال لي: اصعد السطح، فاستمع هل تجد شيئاً.

فلما صعدت سمعت صيحة، وكثرت وزادت، فلم نشعر بشيء، فإذا نحن بالمأمون قد دخل الباب الذي كان من داره إلى دار الرضا، وهو يقول:

يا سيدي، آجرك الله في الفضل، فإنه دخل الحمام، ودخل عليه قوم بالسيوف فقتلوه.

وأخذ ممن دخل عليه ثلاثة نفر، أحدهم: ابن خالة الفضل بن ذي القلمين(١).

علم الأنبياء والأوصياء:

عن يونس بن عبد الرحمن قال: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: جعلت فداك، أخبرني عن علم النجوم ما هو؟!

فقال: هو علم من علم الأنبياء.

قال: فقلت: كان علي بن أبي طالب يعلمه؟!

فقال: كان أعلم الناس به(٢).

---

(١) راجع: بحار الأنوار ج٤٩ ص١٦٨ والكافي ج١ ص٤٩٠ و ٤٩١ وعيون أخبار الرضا ج٢ ص١٦٣ و ١٦٤ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٣٤٦ و ٣٤٧ وروضة الواعظين ص٢٧٢ و ٢٧٣ وكشف الغمة ج٣ ص٦٩ و ٧٠ وإعلام الورى ص٣٢٣ و ٣٢٤ وأعيان الشيعة ج٤ ق٢ ص١١٠ و ١٤٠ ومعادن الحكمة ص١٨٣ وشرح ديوان أبي فراس ص١٩٨ و ١٩٩ والإرشاد للمفيد (ط النجف) ص٣١٤. وراجع: قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٤٠ و ١٤١ وفرج المهموم ص١٣٤ و ١٣٥.

(٢) فرج المهموم ص٢ و ٢٤ وبحار الأنوار ج٥٥ ص٢٣٥ والحديقة الهلالية

الإمام الكاظم عليه السلام وعلم النجوم:

روي: أن هارون الرشيد أنفذ إلى موسى بن جعفر «عليه السلام» ، فأحضره، فلما حضر عنده قال: إن الناس ينسبونكم يا بني فاطمة إلى علم النجوم، وإن معرفتكم بها معرفة جيدة، وفقهاء العامة يقولون:

إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: إذا ذكرني أصحابي فاسكتوا، وإذا ذكروا القدر فاسكتوا، وإذا ذكروا النجوم فاسكتوا.

وأمير المؤمنين «عليه السلام» كان أعلم الخلائق بعلم النجوم. وأولاده وذريته الذين يقول الشيعة بإمامتهم كانوا عارفين بها.

فقال له الكاظم «صلوات الله عليه»: هذا حديث ضعيف، وإسناده مطعون فيه. والله تبارك وتعالى قد مدح النجوم، ولولا أن النجوم صحيحة ما مدحها الله عز وجل والأنبياء «عليهم السلام» كانوا عالمين بها. وقد قال الله تعالى في حق إبراهيم خليل الرحمن «صلوات الله عليه»: ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**﴾[(١)]

وقال في موضع آخر: ﴿**فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ**﴾[(٢)]، فلو لم يكن عالماً بعلم النجوم ما نظر فيها، وما قال: إني سقيم.

للشيخ البهائي ص١٤٣ وجواهر الكلام ج٢٢ ص١٠٠ وكتاب المكاسب للشيخ الأنصاري ج١ ص٢٢٨.

(١) الآية ٧٥ من سورة الأنعام.

(٢) الآيتان ٨٨ و ٨٩ من سورة الصافات.

وإدريس «عليه السلام» كان أعلم أهل زمانه بالنجوم.

والله تعالى قد أقسم بمواقع النجوم: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾(١).

وقال في موضع: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾(٢) يعني بذلك: اثني عشر برجاً، وسبعة سيارات.

والذي يظهر بالليل والنهار بأمر الله عز وجل، وبعد علم القرآن ما يكون أشرف من علم النجوم. وهو علم الأنبياء والأوصياء، وورثة الأنبياء الذين قال عز وجل: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾(٣) ونحن نعرف هذا العلم وما نذكره.

فقال له هارون: بالله عليك يا موسى هذا العلم لا تظهره عند الجهال وعوام الناس، حتى لا يشنعوا عليك. وانفس عن العوام به. وغط هذا العلم، وأرجع إلى حرم جدك.

ثم قال له هارون: وقد بقي مسألة أخرى بالله عليك أخبرني بها.

قال له: سل.

فقال: بحق القبر والمنبر، وبحق قرابتك من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أخبرني أنت تموت قبلي؟! أو أنا أموت قبلك؟! لأنك تعرف هذا من

---

(١) الآية ٧٦ من سورة الواقعة.

(٢) الآيات ١ ـ ٥ من سورة النازعات.

(٣) الآية ١٦ من سورة النحل.

علم النجوم.

فقال له موسى: آمني حتى أخبرك!

فقال: لك الأمان.

فقال: أنا أموت قبلك، وما كذبت ولا أكذب. ووفاتي قريب الخ..[1].

ونقول:

دلت هذه الرواية على ما يلي:

ما يريده هارون:

١ ـ كأن هارون المبغض لآل علي «عليه السلام» يريد أن يدعي أن ما يصدر عن أهل البيت «عليهم السلام» هو مجرد تكهنات، وتنجيم، وليس علماً من ذي علم.. ولكنه نسب ذلك إلى الناس لأجل التعمية، وإبعاد التهمة

٢ ـ إن هارون أثار ما يوجب التهمة والريب بصحة ما يصدر عن المنجمين، لأنهم لا سبيل لهم إلى إثباته حين نقل عن فقهاء العامة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» الرواية، التي تأمر بالسكوت عند ذكر النجوم.

---

(١) بحار الأنوار ج٤٨ ص١٤٥ و ١٤٦ وج٥٥ ص٣٥٢ و ٣٥٣ ومستدرك الوسائل ج١٣ ص١٠٢ ـ ١٠٤ وجامع أحاديث الشيعة ج١٧ ص٢٢٩ و ٢٣٠ وفرج المهموم ص١٠٧ ـ ١٠٩ عن نزهة الكرام، وبستان العوام، تأليف محمد بن الحسين بن الحسن الرازي.

حيث يحتمل أن يراد به السكوت الإتهامي، لأجل الصدق والكذب فيه.

٣ ـ إن هذا الجو الذي أثاره هارون دعا الإمام «عليه السلام» للتصدي لإثبات صحة علم النجوم الذي يمتلكه الأنبياء وأوصياؤهم. مستظهراً بالعديد من الآيات المادحة للنجوم، مسهباً في الاستدلال على ذلك.

وهذا يدل على أن الرشيد كان بصدد تلمس مبرر لاتهام أهل البيت «عليهم السلام»، بما يراه منقصةً وخطلاً.

٤ ـ إن هارون قد صرح للإمام بأن علياً «عليه السلام» كان أعلم الخلائق بعلم النجوم، وكأنه يريد أن يتهمه في إخباراته عن الغيوب بأنها مجرد تخرصات تستند إلى التنجيم، حيث لا يمكنه الجهر بأنها نوع من الكهانة، أو السحر.

وهارون يعلم: أن علياً «عليه السلام» هو الأساس والمحور في دعوة أهل البيت، وهو المنشأ لكل ما قيل ويقال في أمر الإمام والإمامة، فالتشكيك والطعن فيه يغنيه عن التوسل بأي شيء آخر.

علم النجوم للأنبياء وأوصيائهم:

١ ـ ومن جهة أخرى: إنه «عليه السلام» بين لهارون الرشيد أمراً بالغ الحساسية والخطورة بالنسبة إليه حين ذكر له: أن هذا العلم هو من مختصات الأنبياء وأوصيائهم وورثة الأنبياء..

وهذا ما صرحت به رواية يونس عن الإمام الصادق أيضاً.

٢ ـ ثم ترقى في البيان ليصرح بأنه «عليه السلام» وأهل البيت يعرفون

هذا العلم، لكي يستنتج هارون وغيره: أنه «عليه السلام» وأهل بيته، وعلى رأسهم أمير المؤمنين هم ورثة الأنبياء، وهم الأئمة والأوصياء.

فما يدعيه هارون، والعباسيون وأي كان من الناس غيرهم ما هو إلا ادعاء زائف، وباطل وافتئات، وعدوان، يستبطن التدليس على الناس والخداع لهم..

هارون للإمام: لا تظهر هذا العلم:

١ ـ وهنا وجدنا هارون يقسم على الإمام «عليه السلام» بالله أن لا يظهر هذا العلم لأنه يعرف عواقب إظهاره للناس. فإنه سينتهي بتعلق الناس بأهل البيت، وانصرافهم عمن عداهم. ولن يرضى هارون وبنو أبيه بذلك أبداً.

٢ ـ إنه حاول أن يغلف هذا الطلب بما يوهم أنه صادر عن حسن نية، وسلامة طوية، وأن الهدف هو الحفاظ على سمعة الإمام وكرامته، حيث أراد حفظه من التشنيع والطعن والتهمة.

لا يبقي هارون الإمام عنده:

إنه أمر الإمام «عليه السلام» بأن يعود إلى حرم جده وهو المدينة، لأنه يريد أن يبعده عن محيط العلم والعلماء، لأنهم سيدركون قيمة ما يملكه «عليه السلام» من علوم، وأن يعزله عن السياسة والسياسيين، وعن مركز القرار والنشاط في المجال العام. لأنه لا يريد لكنوز علمه أن تظهر، وعظيم فضله أن يتجلى.

هارون يريد أن يموت الإمام قبله:

وقد طلب هارون من الإمام «عليه السلام» أن يخبره عن وقت موته. ربما لأنه أراد أن يطمئن إلى عدم وصول أمر الخلافة إلى الإمام «عليه السلام» من بعده، فكشف عن أنه يعتقد: بأن الأئمة يعرفون علم المنايا.

ولكن هارون قد نسب معرفة الإمام هذه إلى علم النجوم لا إلى الغيب الذي اختصه الله تعالى بعلمه، ووصل إليه عن الرسول «صلى الله عليه وآله» بوسائل خاصة، لا تتيسر لسائر الناس.

١١ ـ إن هذا القسم والطلب من قبل هارون يدل على أن مناوئي أهل البيت «عليهم السلام» كانوا على قناعة تامة بها لدى أهل البيت من علوم اختصهم الله بها، ولكنهم كانوا يكابرون في هذا الأمر، لأن الإعتراف به يجعلهم في مأزق.

١٢ ـ إن إخباره «عليه السلام» بموته قبل هارون لا يتصادم مع الآية الكريمة التي تقول: ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾(١) فإن المقصود بالآية: أن النفوس لا تملك الدراية بذلك، لا ذاتاً، ولا فيما تملكه من وسائل، إلا إذا أخبرها الله تعالى به. أو أتاح لها وسيلة من الوسائل التي تمكنها من معرفة ذلك.

وإخبارات الأنبياء والأئمة عن موتهم، وأزمنته، وأمكنته كثيرة تدل على أنه تعالى قد عرَّفهم ذلك، أو أتاح لهم وسائل تمكنهم من هذه المعرفة،

---

(١) الآية ٣٤ من سورة لقمان.

وهو بنفسه قرينة على أن المقصود ما قلناه.

الدهقان المنجم:

بالإسناد إلى الشيخ السعيد محمد بن جرير الطبري، عن الحسين بن عبد الله الجرمي، ومحمد بن هارون التلعكبري، عن محمد بن أحمد بن محروم، عن أحمد بن القاسم، عن يحيى بن عبد الرحمن، عن علي بن صالح بن حي الكوفي، عن زياد بن المنذر، عن قيس بن سعد، قال: كنت كثيراً أساير أمير المؤمنين «عليه السلام» إذا سار إلى وجه من الوجوه، فلما قصد أهل النهروان وصرنا بالمدائن، وكنت يومئذ مسائراً له، إذ خرج إليه قوم من أهل المدائن من دهاقينهم، معهم براذين قد جاؤوا بها هدية إليه، فقبلها، وكان فيمن تلقاه دهقان من دهاقين المدائن يدعى: (سرسفيل). وكانت الفرس تحكم برأيه فيما مضى وترجع إلى قوله فيما سلف، فلما بصر بأمير المؤمنين «عليه السلام» قال له: يا أمير المؤمنين، لترجع عما قصدت!

قال: ولم ذاك يا دهقان؟!

قال: يا أمير المؤمنين! تناحست النجوم الطوامع، فنحس أصحاب السعود، وسعد أصحاب النحوس، ولزم الحكيم في مثل هذا اليوم الإستخفاء والجلوس، وإن يومك هذا يوم مميت، قد اقترن فيه كوكبان قتالان، وشرف فيه بهرام في برج الميزان، واتقدت من برجك النيران، وليس الحرب لك بمكان.

فتبسم أمير المؤمنين «عليه السلام» ثم قال: أيها الدهقان المنبئ بالإخبار، والمحذر من الأقدار، ما نزل البارحة في آخر الميزان؟! وأي نجم

حل في السرطان؟!

قال: سأنظر ذلك، واستخرج من كمه أسطرلاباً وتقويماً.

قال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: أنت مسير الجاريات؟!

قال: لا.

قال: فأنت تقضي على الثابتات؟!

قال: لا.

قال: فأخبرني عن طول الأسد وتباعده من المطالع والمراجع، وما الزهرة من التوابع والجوامع؟!

قال: لا علم لي بذلك.

قال: فما بين السراري إلى الدراري؟! وما بين الساعات إلى المعجرات؟! وكم قدر شعاع المبدرات؟! وكم تحصل الفجر في الغدوات؟!

قال: لا علم لي بذلك.

قال: فهل علمت يا دهقان: أن الملك اليوم انتقل من بيت إلى بيت بالصين، وانقلب برج ماجين، و احترق دور بالزنج، وطفح جب سرانديب، وتهدم حصن الأندلس، وهاج نمل الشيح، وانهزم مراق الهندي، وفقد ديان اليهود بإيلة، وهدم بطريق الروم برومية، وعمي راهب عمورية، وسقطت شرفات القسطنطنية، أفعالم أنت بهذه الحوادث وما الذي أحدثها، شرقيها أو غربيها من الفلك؟!

قال: لا علم لي بذلك.

قال: وبأي الكواكب تقضي في أعلى القطب؟!

وبأيها تنحس من تنحس؟!

قال: لا علم لي بذلك.

قال: فهل علمت أنه سعد اليوم اثنان وسبعون عالماً، في كل عالم سبعون عالماً، منهم في البر، ومنهم في البحر، وبعض في الجبال، وبعض في الغياض، وبعض في العمران، وما الذي أسعدهم؟!

قال: لا علم لي بذلك.

قال: يا دهقان، أظنك حكمت على اقتران المشتري وزحل لما استنارا لك في الغسق، وظهر تلألؤ شعاع المريخ وتشريقه في السحر، وقد سار فاتصل جرمه بجرم تربيع القمر، وذلك دليل على استحقاق ألف ألف من البشر كلهم يولدون اليوم والليلة، ويموت مثلهم ـ وأشار بيده إلى جاسوس في عسكره لمعاوية، فقال ـ : ويموت هذا، فإنه منهم.

فلما قال ذلك، ظن الرجل أنه قال خذوه، فأخذه شيء بقلبه، وتكسرت نفسه في صدره، فمات لوقته.

فقال «عليه السلام»: يا دهقان، ألم أرك غير التقدير في غاية التصوير؟!

قال: بلى يا أمير المؤمنين.

قال: يا دهقان! أنا مخبرك أني وصحبي هؤلاء لا شرقيون ولا غربيون، إنما نحن ناشئة القطب، وما زعمت أن البارحة انقدح من برجي النيران، فقد كان يجب أن تحكم معه لي، لأن نوره وضياءه عندي، فلهبه ذاهب عني يا دهقان هذه قضية عيص، فأحسبها وولدها إن كنت عالماً بالأكوار والأدوار.

قال: لو علمت ذلك، لعلمت أنك تحصي عقود القصب في هذه الأجمة، ومضى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فهزم أهل النهروان وقتلهم، وعاد بالغنيمة والظفر.

فقال الدهقان: ليس هذا العلم بما في أيدي أهل زماننا، هذا علم مادته من السماء.

أقول: وروى السيد الخبر أيضاً عن الأصبغ بن نباتة، قال: لما رحل أمير المؤمنين «عليه السلام» من (نهربين) أتينا النهروان وقد قطع جسرها، وسمرت سفنها، فنزل «صلى الله عليه وآله» وقد سرح الجيش إلى جسر بوران ومعه رجل من أصحابه، وقد شك في قتال الخوارج، فإذا برجل يركض، فلما رأى أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: البشرى يا أمير المؤمنين!

قال له: وما بشراك؟!

قال: لما بلغ الخوارج نزولك البارحة نهر بين ولوا هاربين.

قال علي «عليه السلام»: أنت رأيتهم حين ولوا؟!

قال: نعم.

قال علي «عليه السلام»: كلا، والله لا عبروا النهروان ولا تجاوزوا الأنثلات ولا النخيلات حتى يقتلهم الله على يدي، عهد معهود، وقدر مقدور، ولا يقتلون منا عشرة، ولا ينجو منهم عشرة.

إذا أقبل عليه رجل من الفرس يقتدى برأيه في حساب النجوم لمعرفته بالطوامع والمراجع، وتقويم القطب في الفلك، ومعرفته بالحساب والضرب، والجبر والمقابلة، وتاريخ السندباد وغير ذلك، وهو الدهقان.

فلما بصر بأمير المؤمنين «عليه السلام» نزل عن فرسه وسلم عليه، فقال له: أيها الأمير! لتعرجن عما قصدت إليه، وكان اسم الدهقان (سرسفيل سوار)، وكان دهقاناً من دهاقين المدائن.

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: ولم يا سرسفيل سوار؟!

قال: تناحست النجوم الطالعات، وتباعدت النجوم الناحسات، ولزم الحكيم في مثل هذا اليوم الاختفاء والقعود، ويومك هذا مميت يقلب فيه رجمان، وانكشفت فيه الميزان، واقتدح من برجك النيران، وليس الحرب لك بمكان.

قال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: أخبرني يا دهقان عن قصة الميزان، وفي أي مجرى كان برج السرطان؟!

قال: سأنظر لك في ذلك، ثم ضرب يده إلى كمه، فأخرج منها زيجاً واصطرلاباً.

فتبسم أمير المؤمنين «عليه السلام»، ثم قال له: يا دهقان! أنت مسير الثابتات؟!

قال: لا.

قال: فأنت تقضي على الحادثات؟!

قال: لا.

قال له: يا دهقان! فما ساعة الأسد من الفلك؟! وما له من المطالع والمراجع؟! وما الزهرة من التوابع والجوامع؟!

قال: لا علم لي أيها الأمير.

قال: فعلى أي الكواكب تقضي على القطب؟! وما هي الساعات المتحركات؟! وكم قدر الساعات المدبرات؟! وكم تحصل المقدرات؟!

قال: لا علم لي بذلك.

قال له: يا دهقان! إن صح لك علمك [علمت] أن البارحة انقلب بيت في الصين، وانقلب بيتانسين [بيت انسين]، واحترقت دور الزنج، وانحطم منار الهند، وطفح جب سرانديب، وهلك ملك إفريقية، وانقض حصن أندلس، وهاج نمل الشيح، وفقد ديان اليهود، وجذم شطرنج الرومي بأرمنية، وعتاعب عمورية، وسقطت شرفات القسطنطنية، وهاجت سباع البحر واثبة على أهلها، ورجعت رجال النوبة المراجيح، والتفت الزرق مع الفيلة، وطار الوحش إلى العلقين، وهاجت الحيتان في الأخضرين، و اضطربت الوحوش بالأنقلين، أفأنت عليم بهذه الحوادث وما أحدثها من الفلك شرقية أو غربية؟! ومن أي برج سعد صاحب النحس؟! وأي برج انتحس صاحب السعد؟!

قال الدهقان: لا علم لي بذلك .

قال: فهل دلك علمك أن اليوم فيه سعد سبعون عالماً، في كل عالم سبعون ألف عالم، منهم في البحر، ومنهم في البر، ومنهم في الجبال، ومنهم في السهل والغياض والخراب والعمران؟! فأبن لنا ما الذي من الفلك أسعدهم؟!

قال الدهقان: لا علم لي بذلك.

قال له: يا دهقان! أظنك حكمت على اقتران المشتري بزحل حين لاحا لك في الغسق قد شارفها واتصل جرمه بجرم القمر، وذلك دليل على استحقاق ألف ألف من البشر كلهم مولدون في يوم واحد، ومائة ألف من البشر كلهم يموتون الليلة وغداً، [وفي الرواية السابقة: يموت مثلهم. أي مثلهم في العدد، وهو ألف ألف] وهذا منهم. وأومأ بيده إلى سعد ابن مسعود الحارثي وكان في عسكره جاسوساً للخوارج.

فظن أن علياً «عليه السلام» يقول: خذوا هذا، فقبض على فؤاده فمات في وقته.

فقال علي «عليه السلام»: لم أرك عين التوفيق، أنا وأصحابي هؤلاء لا شرقيون ولا غربيون، إنما نحن ناشئة القطب، و أعلام الفلك، وأما ما زعمت: أن البارحة اقتدح من برجي النيران، فقد يجب عليك أن تحكم به لي، لأن ضياءه ونوره عندي، ولهبه وحريقه ذاهب عني، فهذه قضية عميقة، فأحسبها إن كنت حاسباً، واعرفها إن كنت عارفاً بالأكوار والأدوار، ولو علمت ذلك لعلمت عدد كل قصبة في هذه الأجمة وكانت عن يمينه أجمة قصب.

فتشهد الدهقان وقال: يا مولاي! الذي فهم إبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً «عليهم السلام» مفهمهم مفهمكما يا أمير المؤمنين، فهو والله المشار إليه ، ولا أثر بعد عين ، مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنك الإمام والوصي المفترض الطاعة(١).

(١) راجع الحديثين في: بحار الأنوار ج٥٥ ص٢٢٩ ـ ٢٣٤ وص٢٢١ وراجع

توضيح المحقق المجلسي رحمه الله:

قال العلامة المحقق المجلسي «رحمه الله»: «أكثر السؤالات المذكورة في الرواية، على تقدير صحتها وضبطها، مبنية على اصطلاحات معرفتها مختصة بهم «عليهم السلام»، أوردها «عليه السلام» لبيان عجزه[١]، وجهله، وعدم إحاطة علمه بما لابد منه في هذا العلم.

«وكم تحصل الفجر في الغدوات» يحتمل أن يكون المراد به: زمان ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فإن ذلك يختلف في الفصول.

«وطفح جب سرنديب» أي امتلأ وارتفع، ومنه «سكران طافح». والشيح: نبت معروف، ويحتمل أن يكون المراد هنا: الوادي الذي هو منبته، والمعمودية[٢] ماء للنصارى يغمسون فيه أولادهم.

«وما الذي أحدثها«عليه السلام» أي بزعمك «شرقيها» أي الكواكب.

ج٤٠ ص١٦٧ وج٤١ ص٣٣٦ عن الإحتجاج وغيره، وفرج المهموم ص١٠٢ ـ ١٠٧ ودلائل الإمامة ص٥٧ ـ ٦١ وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٣٧ و ١٣٨ ومشارق أنوار اليقين، ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٣ ص٢١١ ـ ٢١٤.

(١) الضمير راجع إلى الدهقان.

(٢) في الرواية المتقدمة «عتاعب عمورية»، ولعل الرواية قد اختلفت أو أن الكلمات صحفت..

وفي توضيحات المجلسي مواضع كثيرة يظهر فيها هذا الإختلاف.

«لم أرك غِيَرَ التقدير» ـ بكسر الغين وفتح الياء ـ أي التغيرات الناشئة من تقديرات الله تعالى، وفي بعض النسخ «عين التقدير» أي أصله.

«هذه قضية عيص» بالإضافة أي أصل.

في القاموس: العيص ـ بالكسر ـ: الأصل.

وفي بعض النسخ «عويصة» أي صعبة شديدة.

«وولدها» بصيغة الأمر، وتشديد اللام، أي استنتج منها، والعمورية ـ مشددة الميم ـ: بلد بالروم.

ولعل المراد بالعب الماء العظيم، وبعتوه طغيانه وكثرته، والمراجيح: الحلماء.

والزرق كسكر طائر صياد، ذكره الفيروزآبادي.

وفي حياة الحيوان: طائر يصاد به بين الباز والباشق، وقيل: هو الباز الأبيض «انتهى». والفيلة ـ بكسر الفاء، وفتح الفاء ـ جمع الفيل. «فهو والله» أي مفهمك الله «المشار إليه» بالدلائل والآيات «ولا أثر بعد عين» أي لا أطلب الآثار والدلائل والاخبار على حقيتك بعد ما عاينت.

أقول: وكان في الخبرين فيما عندنا من النسخ تصحيفات كثيرة تركناها كما وجدنا(١).

بطلان فرضية بطليموس:

قال المعلق على بحار الأنوار ما يلي:

---

(١) راجع: بحار الأنوار ج٥٥ ص٢٣٤ و ٢٣٥.

«قال بعض علماء العصر ما حاصله: إن هذا الكلام يدل على بطلان الفرضية البطلميوسية، حيث إن الظاهر منه إمكان اقتراب الكواكب بعضها من بعض، واتصال جرم المريخ بتربيع القمر وهو مستحيل على تلك الفرضية، لأن كل واحد من الكواكب بناء عليها مركوز في ثخن فلك من الأفلاك لا يتحرك من مكانه ولا يتغير وضعه إلا بتبع فلكه، والأفلاك كرات متداخلة كطبقات البصل لا يتغير شيء منها عن مكانه.

وفلك القمر هو الفلك الأول، وفلك المريخ هو الفلك الخامس وبينهما ثلاثة أفلاك، فيستحيل اقتراب أحدهما من الآخر.

وأما على مباني الهيئة الجديدة فالأرض أحد السيارات، وأقرب الكواكب منها هو المريخ، والقمر يدور حول الأرض، ومدار الجميع على الشكل البيضي المستطيل.

ومدار الأرض في داخل مدار المريخ.

وعلى هذا يمكن للمريخ أن يقترب من القمر في بعض الأوضاع بحيث يتوهم اتصالهما من شدة قربهما، وعند ذلك يكون المريخ في غاية التلألؤ، لكونه في أقرب نقطة من الأرض ومن الشمس أيضاً، ومن هنا يظهر سر جملة أخرى من كلامه «عليه السلام» وهي هذه: «وظهر تلألؤ شعاع المريخ وتشريقه في السحر»..»(١).

---

(١) راجع بحار الأنوار ج٥٥ هامش ص٢٣١.

توضيحات المحقق التستري:

قال العلامة المحقق التستري، تعقيباً على الرواية المتقدمة ما يلي:

قلت: قوله «عليه السلام» في الخبر: «وما الزهرة من التوابع والجوامع»، ذكر في الهيئة والإسلام له شرحاً، فقد اشتهر بين المتأخرين إطلاق التوابع على الأقمار، من جهة أنها تابعة في السير للكرات السيارة، وفي المولد أيضاً على ما يقولون، كمتابعة السيارات للشموس، وقد يصفون الشموس بالجوامع نظراً إلى أنها هي الجامعة بنظامها شمل السيارات والمحافظة بجذبها بناتها عن الشتات.

ويعتقدون توسط عنوان السيارات بين عنوان الأقمار التابعة، وبين عنوان الشموس الجامعة، وإن السيارات بنات الجوامع، وأمهات التوابع، ومجذوبات لتلك وجاذبات لهذه.

وهكذا في أكثر الجهات ترتبط السيارات مع الجوامع والتوابع، ويتوسط بينهما في السير والجذب، وفي التكوين، وفي الحجم، وفي غير ذلك.

قال: وعلى هذا يتضح معنى قوله: وما الزهرة إلخ..

أي وما نسبة عنوان سيارة الزهرة من عنوانيهما

قال: ولو كان سرسفيل عالماً بالهيئة العصرية لقال: نسبة عنوانها هي التوسط بين التوابع والجوامع. أي أن نسبة الأقمار إلى السيارات كنسبة السيارات إلى الشموس كما فصلناه.

وبناء على هذا يكون المقصود من ذكر الزهرة مطلق السيارات وكلها إنما خص الزهرة بالذكر، لكونها أظهر أفراد السيارات لدى الحواس،

وأعرفها بين الناس.

وقال أيضاً: قوله «عليه السلام»: البارحة سعد سبعون ألف عالم..

إلى قوله «عليه السلام»: والليلة يموت مثلهم هذا الإحصاء القريب من الإحصاءات الأخيرة في عصرنا، على ما قاله الفاضل جرجي زيدان[١] من صفحة ٦٦٨ من أهل سنة (١٣١٥) أنه يموت على وجه أرضنا كل ليلة تسعون ألفاً إلخ..[٢].

ونقول:

إن المتتبع لما ذكرته الرواية التي نحن بصدد الحديث عنها من أمور جرت بين الأئمة وبين أصحابهم وغيرهم ـ وهي كثير ـ يلاحظ: أن الأئمة كانوا مهتمين بإقناع الناس بأن في هذا العلم أسراراً لا يهتدون إليها، وأن ما بأيديهم وما يعلمونه منه ما هو إلا أقل القليل، وأن فيه ما هو حق ولكنه قليل نفع فيه، وفيه ما هو باطل وفيه ضرر لا يقدم عليه إلا أرعن أو سفيه. وهذا ما فهمه العلماء، فراجع.

---

(١) قد يقال: إن كلام جرجي زيدان لا قيمة له، لأنه لا يقدم أموراً واقعية. كما أن المقصود بالعالم في الرواية ليس هو الشخص العادي.. بل المراد بالعالم: الجماعة الكبيرة والكثيرة من الناس.. ولو كان المراد الشخص، فلا بد أن يتصف بصفة العلم لا مجرد كونه فرداً من البشر.

(٢) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط الأعلمي) ص١٣٨ و ١٣٩.

فلاحظ بالإضافة إلى ما قدمناه ما جرى بين هشام الخفاف والإمام الصادق «عليه السلام»[١].

وأسئلة الإمام الرضا «عليه السلام» لذي القلمين: الحسن بن سهل[٢].

وأسئلة الإمام الصادق «عليه السلام» لبياع السابري[٣].

وأسئلة سعد المولى اليماني للإمام الصادق «عليه السلام»[٤].

---

(١) الكافي ج٨ ص٣٥١ و ٣٥٢ وبحار الأنوار ج٤٧ ص٢٢٤ وج٥٥ ص٢٤٣ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٧ ص١٤١ و ١٤٢ و (الإسلامية) ج١٢ ص١٠٢ وجامع أحاديث الشيعة ج١٧ ص٢٢٥ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للنجفي ج١١ ص٢٦١ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٤٠٩.

(٢) فرج المهموم ص٩٤ وبحار الأنوار ج٥٥ ص٢٤٥ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٥٥٥.

(٣) فرج المهموم ص٩٧ و ٩٨ وبحار الأنوار ج٥٥ ص٢٥٠ ومستدرك الوسائل ج١٣ ص١٠١ وجامع أحاديث الشيعة ج١٧ ص٢٢٧ و ٢٢٨.

(٤) الخصال ص٤٨٩ والإحتجاج للطبرسي ج٢ ص١٠٠ ومناقب آل أبي طالب (المطبعة الحيدرية) ج٣ ص٣٧٩ ومدينة المعاجز ج٦ ص٦٦ وبحار الأنوار ج٥٥ ص٢١٩ و ٢٦٩ وج٢٦ ص١١٢ وج٤٧ ص٢١٨ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٥٥٠ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للنجفي ج١١ ص٢٦٢.

وما جرى بين الطبيب الهندي والإمام الصادق «عليه السلام» في رسالة الإهليلجة[١].

وما جرى بين الإمام الصادق «عليه السلام» وصاحب علم النجوم في قسمة الأرض[٢].

---

(١) بحار الأنوار ج٣ ص١٥٢ فما بعد.

(٢) الكافي ج٤ ص٦ و ٧ وبحار الأنوار ج٤٧ ص٥٢ وج٥٥ ص٢٧٣ و ٢٧٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٩ ص٣٩٢ و (الإسلامية) ج٦ ص٢٧٣ وجامع أحاديث الشيعة ج٨ ص٤٠٧ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للنجفي ج٦ ص٦٧ وج١١ ص٢٧٨ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٤٠٩.

الفهارس:

١ ـ الفهرس الإجمالي

٢ ـ الفهرس التفصيلي

١ ـ الفهرس الإجمالي

الباب الثالث:

حوارات وأسئلة من بعض المسلمين

الفصل الأول: لا تسأل تعنتاً ٧-٦٢
الفصل الثاني: ابن الكواء وعلي (عليه السلام) ٦٣-١٠٤
الفصل الثالث: سلوني قبل أن تفقدوني ١٠٥-١٣٦
الفصل الرابع: أسئلة ذعلب ١٣٧-١٥٢
الفصل الخامس: امتداد نسل آدم (عليه السلام) ١٥٣-١٩٦

الباب الرابع:

لولا علي (عليه السلام)

الفصل الأول: ابن الأصفر يحرج معاوية ١٩٩-٢٢٢
الفصل الثاني: معاوية يسأل علياً (عليه السلام) ٢٢٣-٢٤٦
الفصل الثالث: معضلات حسابية ٢٤٧-٢٦٦
الفصل الرابع: كيفية اكتشاف أنه لا يسمع ٢٦٧-٢٩٦
الفصل الخامس: مشكلات وحلول ٢٩٧-٣٢٠
الفصل السادس: علي (عليه السلام) والمنجمون ... ٣٢١-٣٥٦

٢ ـ الفهرس التفصيلي

الباب الثالث:
حوارات وأسئلة من بعض المسلمين..

الفصل الأول:
لا تسأل تعنتاً..

أسئلة شامي وآخرين: ٩
توضيحات العلامة المجلسي : ٢٢
سل تفقهاً، ولا تسأل تعنتاً: ٢٤
ما لا طريق لمعرفته إلا النقل: ٢٥
مكة أم القرى: لماذا؟! ٢٦
أحجام النيرات: ٢٧
دموع آدم مثل دجلة: ٢٨
حياء الثور من الله تعالى: ٢٨
رومان ملك المد والجزر: ٣١
ملاحظة: ٣٢
إسم إبليس في السماء: ٣٣
المختونون من الأنبياء: ٣٦

الخفاش يلد: ٣٩
عصا موسى: ٣٩
يوشع بن نون وذو الكفل: ٤٠
الصرد دليل آدم: ٤١
عمر آدم: ٤١
اسم نوح: ٤٥
لغة أهل النار: ٤٧
للذكر مثل حظ الأنثيين: ٤٧
عصا موسى: ٤٩
أول شجرة نبتت في الأرض: ٥٠
يوسف أكرم الناس نسباً: ٥١
أكرم وادٍ على وجه الأرض: ٥٣
أين هبط آدم؟!: ٥٧
الصلاة على ظهر الكعبة: ٥٩
كسر رباعية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله): ٦١
هاجر تجر ذيلها: ٦١

الفصل الثاني:
ابن الكواء وعلي (عليه السلام)

ابن الكواء: هل كلَم الله جميع خلقه؟!: ٦٥
طرح المسائل المشكلة على علي (عليه السلام): ٦٦

حيرة ابن الكوا: ٦٦
المضمون العام للآية: ٦٧
عالم الذر.. والإشهاد: ٦٧
علي (عليه السلام) لابن الكوا: سل عما يعنيك: ٦٩
أسئلة ابن الكواء الخارجي: ٧٢
ابن الكواء يسأل علياً (عليه السلام): ٧٤
إشكالات في تاريخ الحادثة: ٨٢
خصوصيات ظاهرة: ٨٣
الإخبار عن أهل النهروان: ٨٤
قريش تبدل نعمة الله كفراً: ٨٤
علي (عليه السلام) ذو قرنيها: ٨٦
شرج السماء، والثقوب السوداء: ٨٦
توضيحات ضرورية: ٨٧
وطأ دجاجة، فحرمت بيضتها: ٨٨
ماذا يريد ابن الكواء؟!: ٨٨
ظاهرة سؤال الناس عن المبررات: ٨٩
مبررات حرمة البيضة: ٨٩
نحن باب الله: ٩٠
فأتوا البيوت من أبوابها: ٩٢

آيات سور الأعراف: ٩٥
على الأعراف رجال: ٩٦
التعريف بالواسطة: ٩٨
العيون الكدرة: ٩٩
نعرف أنصارنا بسيماهم: ١٠١
دخول النار بإنكارهم (عليهم السلام): ١٠٣

الفصل الثالث:
سلوني قبل أن تفقدوني

سائل آخر.. وأسئلة أخرى: ١٠٧
أخبرني عن القدر: ١٠٨
لو عرف حده فوقف عنده: ١١١
من خصوصيات القدر: ١١٢
القدر في التكوينيات لا في الأحكام: ١١٢
القدرية مجوس هذه الأمة: ١١٤
ليس لك من المشية شيء: ١١٦
كم شعرة في لحيتي ورأسي؟!: ١١٦
هذا هو سعد: ١١٨
بنو بناتنا أبناؤنا: ١١٨
علي (عليه السلام) عالم بالفتن وبأهلها: ١١٩
التركيز على ما فيه نجاة: ١١٩

المحنة الكبرى: ١٢٠
لا يريد لعلي أن ينشر علمه: ١٢١
جواب علي (عليه السلام) لكسر غرور سعد: ١٢١
علي (عليه السلام) عالم بعدد الشعرات: ١٢٣
علي (عليه السلام) خليل رسول الله (صلى الله عليه وآله): . ١٢٣
سلوني قبل أن تفقدوني: ١٢٣
توضيحات: ١٢٤
هل يجهل علي (عليه السلام) طرق الأرض؟!: ١٢٥
يريد تحصينهم من الفتن: ١٢٨
يقطع سبع مئة فرسخ لأجل سبع كلمات: ١٢٨
وثمة نص آخر: ١٣٠
سل وإن كانت أربعين: ١٣٢
أنت الكريم، والعالم، والطبيب: ١٣٤

الفصل الرابع:
أسئـــلة ذعـــلـــب

أسئلة ذعلب: ١٣٩
للتوضيح فقط: ١٤٥
علي (عليه السلام) يمثل الرسول (صلى الله عليه وآله): ١٤٦
لا تجهلك قريش: ١٤٨
الحسنان يخطبان: ١٥٠

خطبة الحسنين (صلى الله عليه وآله): ١٥١

الفصل الخامس:

امتداد نسل آدم (عليه السلام)

زواج أبناء آدم (عليه السلام): ١٥٥
بداية توضيحية: ١٥٥
أكرم الخلق على الله: ١٥٦
قبح تزويج الأخوة بالأخوات: ١٥٦
الصحيح من القول: ١٥٨
ماذا عن الروايات؟!: ١٥٩
روايات الرأي المعتمد: ١٦٢
ملاحظة سندية: ١٦٤
تناقضات في الروايات المتقدمة: ١٧٤
هل هذا تناقض؟!: ١٧٦
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً: ١٧٧
الضرورة تفرض تزويج الإخوة والأخوات: ١٧٨
هذا الزواج.. والفطرة: ١٨٠
لا إجماع على تزويج الإخوة بالأخوات: ١٨٧
لا سنخية بين الجن والإنسان!!: ١٨٧
لزوجت زينب من القاسم: ١٩٠
موازنة بين الروايات: ١٩٠

الروايات التي نعتمدها: ١٩١
النتيجة المتوخاة: ١٩١
آدم وحواء أبوا البشر: ١٩٢
لماذا قتل هابيل؟!: ١٩٢
توضيح للمجلسي: ١٩٣
إشارات ودلالات: ١٩٤

الباب الرابع:
لــولا عــلي (عليه السلام)

الفصل الأول:
ابن الأصفر يحرج معاوية

معاوية وأسئلة ابن الأصفر: ٢٠١
بنو الأصفر: ٢٠٨
معاوية أرسلك؟!: ٢٠٩
الإمام الحسن (عليه السلام) يخبر بالغيب أيضاً: ٢١٠
من أنت؟!: ٢١٠
الأمن قبل كل شيء: ٢١١
حكم الله بيني وبين الأمة: ٢١٢
قطعوا رحمي، كيف؟!: ٢١٢
أضاعوا أيامي، كيف؟!: ٢١٢
هل كان الإمام الحسن صبياً؟!: ٢١٣

فلاح علي (عليه السلام) وخذلان معاوية: ٢١٣
ملك الروم وشرائط الإمامة: ٢١٥
معاوية بنظر علي (عليه السلام): ٢١٦
هذا ابني، وهذان ابنا الرسول (صلى الله عليه وآله): ٢١٨
من قال غير هذا فكذبه؟!: ٢١٩

الفصل الثاني:
معاوية يسأل علياً (عليه السلام)

معاوية يسأل علياً مباشرة: ٢٢٥
سؤال معاوية عمن قتل من يزني بزوجته: ٢٢٦
أحكام الشريعة بنظر معاوية: ٢٢٧
معاوية يضطر لسؤال علي (عليه السلام): ٢٢٩
علي (عليه السلام) يسخو بعلمه: ٢٣٠
تواطؤ أبي موسى: ٢٣١
واقعة واحدة أم وقائع؟!: ٢٣٢
معاوية لا يعرف أن الحق لصاحب البينة: ٢٣٣
ملك الروم يسأل معاوية ويجيب علي (عليه السلام): ٢٣٦
ملك الروم لمعاوية: أخبرني عن لا شيء: ٢٣٩
حرب الفكر والثقافة في عهد علي (عليه السلام): ٢٤٠
من أين يأتي العلم لمعاوية؟!:............................... ٢٤٢
لعلها ليست كرامة: ٢٤٣

علي (عليه السلام) يشتري الخيل للحرب: ٢٤٤
اذهب فخبره، لماذا؟!: ٢٤٤

الفصل الثالث:

معضلات حسابية..

قسمة السبعة عشر بعيراً: ٢٤٩
تسعة عشر بعيراً أيضاً: ٢٥٠
لا بد من إمام: ٢٥٠
توضيحات للمحقق التستري: ٢٥١
الفعل أقوى دلالة: ٢٥١
لمزيد من التبصُّر والإهتمام: ٢٥١
أضرب أيام أسبوعك في سنتك: ٢٥٢
المسألة الدينارية: ٢٥٤
الجواب بناءً على التعصيب، ولا تعصيب: ٢٥٥
التعصيب لتصغير شأن الزهراء (عليها السلام): ٢٥٦
جوابه من دلائل إمامته: ٢٥٩
صار ثمنها تسعاً: ٢٥٩
العول باطل عند علي (عليه السلام): ٢٦٠
ما المراد بالعول؟!: ٢٦١
قسمة الدراهم في الأرغفة الثمانية: ٢٦٣

الفصل الرابع:

كيفية اكتشاف أنه لا يسمع:

كيفية اكتشاف أنه لا يسمع: ٢٦٩
قياس البصر: ٢٧١
مولود له رأسان: ٢٧٣
كيف يعرف العنين؟!:...................................... ٢٧٤
معرفة سلامة حاسة الشم والبصر، واللسان: ٢٧٥
لا بد من التثبت: ٢٧٦
لكل معضلة حل: ٢٧٧
قياس الأنفاس؟!: ٢٧٧
مقدار الإستحقاق يتبع مقدار النقص: ٢٧٨
الطريقة التي اختارها علي (عليه السلام): ٢٧٨
ليس الإمام مجرد فقيه: ٢٧٩
خنثى ولدت، وأولدت!!: ٢٨٠
الجرأة على الله!!: ٢٨٢
لماذا أربع نساء؟!: ٢٨٢
عد الأضلاع هل ينافي الإحتياط؟!:............................ ٢٨٣
النظر إلى العورة عبر المرآة: ٢٨٣
خلق حواء من ضلع آدم (عليه السلام): ٢٨٤
آيات قرآنية: ٢٨٤

من روايات خلق حواء: ٢٨٦
هل هذه فكرة توراتية؟!: ٢٩٢
الدواء الشافي: ٢٩٣

الفصل الخامس:

مشكلات وحلول..

ضاع دينار من ثلاثة: ٢٩٩
ليس على أمين ضمان: ٢٩٩
لماذا لم يعمل بالقرعة؟!: ٣٠٠
قاعدة اليد: ٣٠٢
للمسألة نظائر: ٣٠٢
اضرب عنق العبد منهما: ٣٠٣
المفاجأة والصدمة: ٣٠٥
إعداد وتمهيد: ٣٠٦
الإفتراق أولى: ٣٠٦
علي (عليه السلام) لم يعزر العبد على كذبه: ٣٠٧
لم تصرح الرواية: ٣٠٧
وزن باب الحديد: ٣٠٨
وزن الفيل: ٣٠٩
نظير هذه الحادثة: ٣١٠
الحلف على غير المقدور: ٣١١

خلل في نص الرواية: ٣١١
كلب أم شاة؟!: ٣١٢
علم الحيوان عند علي (عليه السلام): ٣١٣
الفرق بين الطحال والكبد: ٣١٤
ما أخطأ به القصاب: ٣١٥
لماذا وصف القصاب بالكذب؟!: ٣١٦
تزوجت ولدها، فمنعه الله منها: ٣١٦

الفصل السادس:
علي (عليه السلام) والمنجمون..

المنجم كالكاهن، والكاهن كالساحر: ٣٢٣
قيمة علم النجوم: ٣٢٥
النجوم علامات لا مؤثرات: ٣٢٨
علم الأنبياء والأوصياء: ٣٣١
الإمام الكاظم (عليه السلام) وعلم النجوم: ٣٣٢
ما يريده هارون: ٣٣٤
علم النجوم للأنبياء وأوصيائهم: ٣٣٥
هارون للإمام: لا تظهر هذا العلم: ٣٣٦
لا يبقي هارون الإمام عنده: ٣٣٦
هارون يريد أن يموت الإمام قبله: ٣٣٧
الدهقان المنجم: ٣٣٨

توضيح المحقق المجلسي (رحمه الله): ٣٤٥
بطلان فرضية بطليموس: ٣٤٦
توضيحات المحقق التستري: ٣٤٨

الفهارس:

١ ـ الفهرس الإجمالي ٣٥٥
٢ ـ الفهرس التفصيلي ٣٥٦